الجمهوريــة الجزائريــة الديمقراطيــة الشعبيــة
وزارة التعليــم العالــي والبحـث العلمـي
جامعـة الحـاج لخضـر- باتنة
كليــة الآداب واللغــات
قسم اللغة العربية وآدابها

أدب الشيخ محمد الطاهر التليلي

جمع ودراسة وتحقيق

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في المسرح الجزائري

إعداد الطالـــــب:
العيــد حنكــة

إشـــــراف الأستاذ الدكتور :
عبد السلام ضيف

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د عبد الرزاق بن سبع	أستاذ تعليم عالي	جامعة باتنة	رئيسا
أ.د عبد السلام ضيف	أستاذ تعليم عالي	جامعة باتنة	مشرفا ومقررا
أ. د محمد منصوري	أستاذ تعليم عالي	جامعة باتنة	عضوا ومناقشا
أ.د لبوخ بوجملين	أستاذ تعليم عالي	جامعة ورقلة	عضوا ومناقشا
د البشير مناعي	أستاذ محاضر	جامعة الوادي	عضوا ومناقشا
أ.د مشري بن خليفة	أستاذ تعليم عالي	جامعة الجزائر	عضوا ومناقشا

الموسم الجامعي :1435/1436هـ -2014/2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الأدب رسالة مشفرة يفك شفرتها المتلقي تطهيرا وتغريبا، يرصد الصور الناتجة من المجتمع غربيه وعربيه، عبر لوحاته النثرية والشعرية، وإن كان الشعر أوفر حظا من صنوه النثر لما فيه من إيقاع موسيقي يصنع له فسيفساء تشد الناظرين، تجعله يلج الأذن دون إذن، وكثير من الدراسات الحديثة سلطت الضوء على الموروث الأدبي تحليلا وتأصيلا، وتنظيرا وتطبيقا، وربطت بينه وبين واقعه ومبدعه بداية ومتلقيه نهاية، علها تمكن المتلقي من إيجاد خيط يربطه والحدث.

ولقد شهدت الساحة الأدبية في الجزائر نماذج مما اشرنا لهم، فانبرى لها نقاد سجلوا أسماءهم بقلم من ذهب في تاريخ الأدب، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا، ونشيد بفحول تركوا بصمات مثيرة وكثيرة من أمثال محمد بن أبي شنب وعبد الله الركيبي، ومحمد ناصر وأبو القاسم سعد الله وعبد الملك مرتاض وغيرهم، ولقد جعلوا ما وصلت له أيديهم من مدونات مرجعا للدارسين.

ولعلي أحذو حذو هؤلاء الأفذاذ وأضم صوتي لهم، وإن كان ضعيفا، لأنفض الغبار على عالم مغمور له تواليف كثيرة في مجالات مختلفة اخترنا منها ما يخص الأدب إثراء للمكتبة الجزائرية وتعظيما لما قدمه لإرساء أفكاره الإصلاحية وجهاده للاحتلال الفرنسي الذي لم يدخر جهدا في طمس الهوية الجزائرية، إنه الشيخ محمد الطاهر التليلي هذا الأديب الزيتوني التكوين الإصلاحي المذهب، فكان عنوان رسالتي في الدكتوراه **"أدب الشيخ محمد الطاهر التليلي جمع ودراسة وتحقيق"**.

وككل باحث هناك دواعي ذاتية جعلتني أرخي العنان لقلمي للبحث والدراسة، وأسباب أخرى موضوعية، ومن هذه الأخيرة رصد أعيان الحركة الأدبية الجزائرية وما قاموا به من جهود خدمة للسان العربي ودفاعا عن المقومات التي بنت الشخصية الجزائرية، وإثراء للمكتبة العربية عامة والجزائرية خاصة.

وأما الأسباب الذاتية فميولي إلى الأدب الجزائري لما فيه من محفزات، ولكون الشيخ ابن منطقتي فكيف أترك القريب وأبحث عن الغريب، ثم هذه فرصة لتكريم شيخ قضى نحبه بعيدا عن الأضواء وترك إرثا لم يشأ إخراجه للنور إلا النزر اليسير منه فلعلي أجد في ذلك فسحة وفي البحث منحة لا يقدرها إلا الذي اكتوى بلظاها.

وما قصدت من خلال العنوان التحقيق المعلوم سلفا الذي يعتمد أصلا على مقابلة النصوص لسبب بسيط تمثل في أن الشيخ -عليه رحمة الله- أوقف أعماله لصالح مكتبة الشيوخ بجامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بقسنطينة فتعذر علي مقابلة النص بالنص لوجود نص واحد مخطوط، وعليه اعتمدت على نسخة واحدة مصورة طبق الأصل.

الإشكالية:

حاولت رصد أسئلة تفسح لي مجالا لدراسة أعمال الشيخ التليلي وتمكنني من ربط أفكاره بتاريخ الجزائر وأحوال شعبها أثناء فترة الاحتلال وبعد الاستقلال ومن جملة ما وضعت.

- هل استطاع الشيخ التليلي إبراز أفكاره الإسلامية من خلال أعماله الشعرية والنثرية؟
- كيف نقرأ أدبه في ظل الدراسات الحديثة؟
- ما مدى توظيف الشيخ لمكتسباته القبلية، وهل حقق الامتاع في ذلك والإقناع.
- في خضم المعترك السياسي هل دافع الشيخ عن اعتقاداته؟

هي أسئلة وضعت لي معلما سرت عليه في دراستي.

الهدف من الدراسة:

ككل باحث يطمح أن يرسم له صورة يعبر بها عن أفكاره، فلقد شدني هذا الأديب الزيتوني لأبرز قدرته في مجال الإبداع، ولأظهر للعالم بعدما ألف الركون في الظل، وليطلع الجزائريون على أدبائهم وكثير من الباحثين الجزائريين لا يمجدون أعلامهم فنجدهم يشرقون ويغربون ونسو أن للجزائر ثمة رجالا لا يمكن للآخر تهميشهم.

وعليه كانت دراستي لأدب الشيخ منتهجة للمنهج التاريخي الذي يرصد الظاهرة الأدبية ويرفل في تحليلها فكانت الرسالة قد افتتحتها **بمقدمة** بينت فيها الموضوع وليس اختياري له والإشكالية والمنهج المتبع والخطة، ثم **مدخل** فيه الحركة الأدبية وبيئة الشيخ تاريخا وفكرا. وجاء **الفصل الأول** عنونته بالشيخ محمد الطاهر التليلي حياته وآثارهن فذكرت نشأته، ورحلته العلمية ورجوعه من تونس مدرسا ومربيا، ثم ذكرت وظائفه وأخلاقه وأقوال العلماء فيه وآثاره.

ثم كان **الفصل الثاني** الموسم أدب السيرة عند الشيخ التليلي الذي عهدت فيه إلى عمل نثري فريد وهو مخطوط (هذه حياتي) وهو من قبيل السيرة الذاتية التي ترجمت لها سلفا وذكرت أسلوبه فيها.

ثم عرجت إلى **الفصل الثالث** الذي عنونته بشعر الشيخ التليلي واتجاهاته الإصلاحية حيث ذكرت الحركة الإصلاحية ورجالاتها ورصدت ما في ديوان (الدموع السوداء) من قصائد إصلاحية وكيف عالج الشيخ قضاياه.

ثم كان **فصل رابع** خصصته لدراسة مسرحية شعرية رسم فيها الشيخ جملة من الأفكار وبث خلالها رسائل المتلقي فنظرت فيها من جهة التلقي وجمالياته فكان عنوان الفصل جماليات التلقي في مسرحية الشيخ العجوز وقصة زواجه.

ثم ختمت البحث بحوصلة لما ورد من ثمرات ونتائج مما ظهر لي من خلال تتبع لأدب الشيخ.

ومما أعانني في البحث أعمال الشيخ بداية من مخطوط "هذه حياتي" والديوان " الدموع السوداء" وهما رأس الأمر في الدراسة وإن كان ديوانه قد تم طبعه حديثا بعدما كنت سجلت من المخطوط ما سجلت ولكني آثرت عملي على المطبوع.

ومن الدراسات السابقة رسائل جامعية لثلاث طلبة كانت تخص أعمال الشيخ وهم محمد طالبي ورسالته قواعد البيان في الثابت والمحذوف في القرآن وهي رسالة ماجستير من جامعة باتنة، وفضيلة بوجلخة ورسالتها الظواهر المعنوية من خلال الدموع السوداء وهي رسالة ماجستير من جامعة باتنة، والطالبة كرام قمرة ورسالتها المصطلح النحوي عند الشيخ التليلي من جامعة ورقلة.

ولقد اعترضت سبيلي – ككل دارس- بعض العراقيل منها أن الشيخ لما أوقف أعماله لصالح جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية تعرضت المركبة التي تقل هذا الإرث إلى حادث مرور أتلف كثيرا منها، والصعوبة في قراءة نص مصور بطريقة تستوجب تركيزا بصريا حادا، وسبب آخر هو أني لما زرت جامع الزيتونة لعلي أظفر بما يعينني لتحليل تلك الفترة التي درس فيها الشيخ وجدت جميع أعمال الجامع قد تمت مصادرتها من قبل النظام التونسي فرجعت كما ذهبت خالي اليدين.

كما لا يفوتني أن أنوه بالأستاذ الدكتور عبد السلام ضيف الذي احتضنني في مسيرتي الجامعية فالشكر موصول له بداية ونهاية وما من حسنة في هذه الدراسة فهي له وما من نقص أو مثلبة فهي لي وليس له فيها جرم.

والله أسأل السداد والتوفيق.

مدخل

أولا: لمحة عن وادي سوف

1/ الموقع والتسمية:

في الجزائر،وعندما تغوص نحو الصحراء ،باتجاه العرق الشرقي بالجنوب ،وبين خطي الطول6°-8°وخطي العرض 33°-34° وعلى مساحة 82ألف كلم²[1].وبين إقليم الزاب (ولاية بسكرة وتبسة وخنشلة) شمالا ،و واحات غدامس وما والاها (أي الجمهورية الليبية)جنوبا .وبين تقرت ، وادي ريغ (ولاية ورقلة)غربا ،وجنوب الجمهورية التونسية شرقا[2].ترامت أطراف وادي سوف على أرض «كانت ....بساطا مفروشا من رمل بها شطوطٍ قليلة »[3]،وصعوبة في المناخ وقساوة في الطبيعة .

هذا عن جغرافية وادي سوف ، و كما نلاحظ أنه ممتد المساحة ، يتصل بدولتين جارتين هما تونس و ليبيا حيث أن كان و لازال لهما دور ثقافي و تاريخي و اقتصادي منذ غابر الأزمان مع سوف .

أما عن أصل تسمية (وادي سوف) فقد اختلفت و تنوعت التفسيرات و المرجعيات حول أصل هذه التسمية منهم من يذهب إلى أنّ :

وادي :هو نسبة إلى وادي الجر دانية الذي كان يجري قبل عدة قرون في هذه .

---

(1)ينظر : ثريا تجاني ، دراسة اجتماعية لغوية لقصة شعبية ـ وادي سوف أنموذجا ـ دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ،1998م ، ص06.و ينظر: على غنابزية ،مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية ق13هـ/ 19 ، (رسالة دكتورا) ،جامعة الجزائر ، 2000م/ 2001م ، ص 11 .

(2)نظر: إبراهيم العوامر ، الصروف في تاريخ صحراء وسوف ، تعليق الجيلاني بن إبراهيم العوامر . منشورات شالة الأبيار .الجزائر .2007..ص41.

(3)المرجع نفسه ،ص14.

أما كلمة **سوف** فحملت الكثير من الدلالات منها من يرى أنها مشتقة من **سيوف** «جمع سيْف والتي تعني الكثبان الرملية »[1]،أو أنها تعود إلى رجل ذي حكمة يقطن المنطقة اسمه **''ذا سوف "**[2] فسميت المنطقة باسمه.

وقد تكون سميت كذلك نسبة إلى الكلمة الأمازيغية **''ايزوف''أو''آسيف"**[3] التي تعني مجرى الماء أو الأرض المنخفضة.فأُدغمت كلمة وادي العربية مع مرادفتها بالأمازيغية ،فكانت وادي سوف .

وقد تنسب التسمية إلى القبائل البربرية التي تدعى**"المسوفة "**[4]،وهم أهل اللثام أو النقاب الذين كانوا يسكنون المنطقة.

كما يمكن أن ترجع التسمية إلى**" الصوف "**[5] وهو اللباس الغالب على أهل المنطقة ثم لحنت الكلمة .أوأنها كانت مكان**"لأهل الصوفة "**لأن كل عابد من أهل التصوف ينقطع للعبادة فيها"[6].

2 / وادي سوف تاريخيا :

الموقع الذي احتلته وادي سوف موقعا استراتيجيا هاما .وتعدد مرجعيات تسميتها –كما مر بنا– أكد لنا أن لها تاريخا متنوعا وزاخرا .سنحاول في هذا المبحث تسليط الضوء باختصار على أهم المراحل التاريخية التي ميزت المنطقة وساهمت في صنع بيئة أفرزت لنا مادة بحثنا.

رغم العزلة التي فرضتها الطبيعة الصحراوية إلا أن الكثير من الأبحاث والشواهد الأثرية تثبت أن المنطقة عرفت الإنسان ما قبل التاريخ[1]. وقبل الفتح الإسلامي تعاقبت على المنطقة أجناس

---

(1)السعيد ديدي : نظرة عامة حول وادي سوف ، ج01 ، (د ط) ، 1424هـ ، ص06 .

(2)إبراهيم العوامر : الصروف في تاريخ صحراء و سوف ، ص42.

(3)المرجع نفسه.ص:42.

(4)المرجع نفسه.ص:43.

(5)المرجع نفسه.ص:42.

(6)المرجع نفسه .الصفحة نفسها .

بشرية أولها البربر[2]،وهم يعتبرون أول سكان للمنطقة[3]، ثم تعرضت المنطقة لمختلف أشكال الغزو والهجرة ،ابتداء من الفينيقيين[4] (الكنعانيون)وطالت إقامتهم بها[5]إلى أن أتى الرومان [6]،في القرن الأول الميلادي وقاتلوا من كان فيها وشردوهم .وعلى أرض سوف شيد الرومان الكثير من القرى[7]."ولم يزل الرومان هنا نحو الستمائة عام إلى أن تسلط عليهم الفندال سنة 427م"[8].وأجلوهم من كل شمال إفريقيا بداية من المغرب الأقصى إلى مدينة قرطاجنة،وفي طريقهم هدموا وأحرقوا وقتلوا ، ولما كانت أفعالهم شنيعة ،أضمر لهم البربر العداوة ،وتربصوا بهم وثاروا عليهم وقاتلوهم في حرب ثلاثة سنوات وأجلوهم عن المنطقة[9].

وبعدهم وفي سنة 555م،احتل الرومان شمال إفريقيا،ووصلوا إلى مناطق سوف حيث انتشرت المسيحية ،وبنوا أمكنة فيها للعزلة والعبادة والاستيطان[10].

(1)ينظر :إبراهيم مياسي ، من تاريخ وادي سوف ،مجلة الثقافة ، تصدر عن وزارة الثقافة ، الجزائر ، .سنة 21/ العدد113 ،1996، ص 199.

(2)ينظر: إبراهيم العوامر ،المرجع السابق ، ص127.

(3)ينظر: إبراهيم مياسي ، المرجع السابق .ص202 . لم يبق من آثارهم إلا بعض الآثار المتمثلة في عدة أسماء لقرى: كتغزوت،زقم،...وأسماء بعض التمور: تاكرمست ،تانسليت ...

(4)ينظر: إبراهيم العوامر ،المرجع السابق ، ص132.

(5)ترجع الأخبار أنهم بلغوا سوفا وكانت مساكنهم في وادي الجردانية المدينة التي شيدها برابرة زناتة .ينظر :إبراهيم مياسي، المرجع نفسه ، ص202.

(6)ينظر : إبراهيم العوامر ، الصروف في تاريخ صحراء و سوف ، ص135.

(7)هناك عدة قرى وجدت فيها آثار رومانية منها :سندروس ،قمار ،الرقيبة ،غرد الوصيف.

(8)المرجع نفسه ، ص138.

(9)ينظر : إبراهيم العوامر ، الصروف في تاريخ صحراء و سوف ،ص: 140.

(10)المرجع نفسه،ص:142.

و المنطقة قبل الفتح الإسلامي مر بها الكثير من الغزاة ، بدءا بالفنيقيين ثم الرومان ثـم الونـدال ....الخ .

وبمجيء الفاتحين ،«عين عقبة رضي الله عنه حسان بن النعمان على رأس جيش ،أمره بالتوغل بين بسكرة و ورقلة وفي ضمنها منطقة سوف »[1]. وهذا يؤكد أن سوفا فتحت في عهد عقبة بن نافع ،وهذا الجيش نقل النواة الأولى للعرب من خلال بعض قبيلة عدوان التي بقيت في المنطقة لنشر تعاليم الإسلام .

وفي سنة 758م ،وعلى يد " عبد الله بن رستم " تأسسـت أول دولـة إسـلامية مسـتقلة بـالجزائر ،هي الدولة الرستمية عاصمتها تيهرت ،وقد «امتد نفوذها إلى الأوراس والجنوب التونسي- وكانـت وادي سوف الحد الجنوبي للمملكة الرستمية»[2] ،وكذلك كانت هي «أبعد نقطة في المملكـة»[3] التـي أسسها بنو حماد بشرق الجزائر وذلك بعد رحيل الفاطميين من المغرب ليستقروا في القاهرة .ولأجـل الانتقام أرسل الفاطميون القبائل الهلالية لاكتساح المغرب العربي ،وتشير «المصادر التاريخية عـلى أن القبائل الهلالية قد توافدت على الوادي منذ هجرتها الأولى »[4].

أما في العهد العثماني (1518 ~1830م)فكل المصادر التاريخية تجمع على استقلالية المنطقة عـن «الحكم المركزي المتمثل في بابليك الشرق تحت سلطة الباي وعاصمته قسنطينة ...»[5].وممثلة في شيخ العرب في الصحراء ،وذلك راجع إلى الموقع الجغرافي الجنوبي والطابع الصحراوي للمنطقة والعزلـة المفروضة عليها ، فلم يهتموا بها لأن «النفوذ التركـي لم يكـن يتجـاوز الحـواضر الكـبرى في المنـاطق

(1)المرجع نفسه ، ص:145.

(2)ابراهيم مياسي ، من تاريخ وادي سوف ، ص110.

(3)ابراهيم العوامر: المرجع السابق ،ص212.

(4)المرجع نفسه ،ص212.

(5)المرجع السابق ، ص218.

الساحلية ، أما المناطق الأخرى فكانت مستقلة تماما عن الحكم التركي »[1].وهذا ما جعلها لا تدفع الضرائب لشيخ تقرت الذي قام بضغط عرش بن جلاب على المنطقة لجمع الضرائب في الفترة بين 1700م/ 1844م.

وعند دخول المستعمر الفرنسي إلى الجزائر في 5جويلية 1830م،لم تخضع لسلطته إلا بعد 51سنة من دخوله ، و باءت الكثير من المحاولات بالفشل منها :

فشل محاولة العقيد ديسفو سنة 1854م بعد أن أخضع تقرت ، وأعلن في نفس السنة«في 26ديسمبر 1854م على أن " سي علي باي بن فرحات " ممثل فرنسا وكقائد على تقرت ووادي ريغ ووادي سوف »[2].

وفي سنة 1881م تمكنت القوات الفرنسية من احتلال سوف وتمركزت بداية بالدبيلة ، ولم تتمركز بمدينة الوادي إلا سنة 1887م.ولم تقبل المنطقة هذا الوضع بل قاومته مقاومة شديدة وثارت عليه بشكل ثورات وانتفاضات شعبية[3].

وهكذا شكلت سوف مع كل جزء من هذا الوطن حلقة دائمة الحضور في كل مراحل الجهاد و الثورة قبل[4] وبعد[5] ثورة التحرير الكبرى التي توجت الجزائر باستقلالها.

---

(1)ثريا تجاني : المرجع نفسه ،ص 84. نقلا عن : أحمد بن النعمان ، التعريب بين المبدأ والتطبيق .في الجزائر والعالم العربي – الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر ،1981،ص145.

(2)إبراهيم مياسي : من تاريخ وادي سوف ، ص221.

(3)مثل : هدة اعميش الأولى سنة 1918م ، وهدة اعميش الثانية سنة1938م ، ينظر :السعيد ديدي ، ص16.

(4)قبل الثورة : تمثل في النشاط الثوري في تأسيس أول مكتب لجمعية العلماء المسلمين ،وتأسيس أول خلية لحزب الشعب سنة1942 ، وتأسيس أول فوج كشفي تابع للكشافة الإسلامية تحت اسم فوج الرمال سنة1947م ،وتأسيس خلية للمنظمة السرية سنة1947م.

(5)بعد الثورة : عند اندلاع الثورة جادت وادي سوف بخيرة أبناءها ،وانتقم المستعمر من المنطقة شر انتقام ،لدور الجهادي الذي كانت تمثله فرغم خصائص المنطقة التي تجعلها غير صالحة لخوض المعارك ،كذلك رغبة قادة الثورة في بقاءها آمنة حتى تؤدي دورها في توريد السلاح والتموين ، لكنها أبت إلاأن تشارك وتسجل معارك طاحنة مع العدو وكانت أولها بحاسي خليفة في

3 / وادي سوف اجتماعيا و اقتصاديا :

الثقافة الشعبية بعمومها مرتبطة بحياة الجماعة ، وهي«تعد المنتج و المستهلك في نفس الوقت»[1]. و الموروث الشعبي « يتداوله الشعب في المناسبات الدينية و الاجتماعية ، و يعبر به عن انشغالاته مما يلح عليه إلحاحا مباشر من واقع مجتمعه و بيئته المحلية و المشاكل المحيطة ، في حدود تطوره و إدراكه لأسبابها ، كما يعبر عما يريد أن يكون عليه هذا الواقع »[2].

إن الحياة على أرض سوف كثيرا ما تتحكم فيها البيئة و المناخ الذي تميزت بهما المنطقة من قساوة ، و المجتمع باعتباره « مجموعة من العلاقات الاجتماعية بين الناس »[3] تشكل على هذا الأساس المجتمع السوفي ، بداية « بعد قدوم القبائل العربية للمنطقة مع الفتح الإسلامي و كان يغلب عليه الطابع الرّعوي .... وسكن الخيام[4] ،و التنقل من مكان إلى آخر بحثا عن الماء و الكلأ »[5] .فالخيمة كانت سكن البدو الرحل « فضاء ملئ بالقيم التي تحمل دلالة الهوية و التميز ... و شكلاً من أشكال المأوى مشبعا بالقيم الرمزية ...»[6]. وبعد الاستقرار الذي طبع المنطقة ، وباتجاه السكان إلى العمل

---

07 نوفمبر54.

(1)عبد الحميد بورايو : قضايا الشعر الملحون الجزائري ، الملتقى الوطني الأول حول التصوف في الأدب الشعبي الجزائري ، دور الشاعر أحمد بن معطار، منشورات الرابطة الوطنية للأدب الشعبي ، الجزائر ، 2008 ، ص 27 .

(2)أحمد زغب : الشعر الشعبي الجزائري ـ من الإصلاح الى الثورة ـ مطبعة مزوار ، الوادي ، الجزائر ، ط1 ، 2009 ، ص 09 .

(3)فاروق مداس : قاموس مصطلحات علم الاجتماع ، دار مدني للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2003 ، ص 232 .

(4)شرح الخيمة: هي سكن البدو الرحل وتسمى العشة وهي مصنوعة من عدة شرائط طويلة يتم نسجها من شعر الجمل الممزوج بشعر الماعز ،وتخاط هذه الأشرطة الخمسة أو الستة على شكل مستطيل وتحمل أطرافها بأعمدة من الرتم ،وتشد بحبال مثبتة بأوتاد ، ومن الداخل ترفع بثلاث أعمدة ،وفي الوسط يوجد ساريتين من خشب العرعار وتفصل برداء يدعى الحايل .(ينظر: عثمان زقب ، الهوية الثقافية لمجتمع وادي سوف من خلال تطور ثقافة العمران ، الملتقى الوطني الثالث حول التراث الثقافي ،مطبعة مزوار ،الوادي ،الجزائر، ط01 ،2011.ص139.138.) .

(5)بوبكر منصور : من العائلة إلى التعاقدية – نظرة سوسيولوجية للتغيير الاجتماعي بوادي سوف – مطبعة مزوار ،الوادي ، الجزائر ، 2004 ، ص 31

(6)سليم دردوني :دور الخيمة كموروث ثقافي في رسم ملامح الأنا و الهوية ، الملتقى الثالث ،التراث الثقافي و الهوية ، مطبعة مزوار ،

التجاري « نظرا للموقع الحدودي للمنطقة واشتراكها في الحدود مع تونس وليبيا الذي أتاح لسكانها الاحتكاك و التبادل التجاري »[1] . وكذلك الاهتمام بالفلاحة وانتشار زراعة النخيل «حيث عايش الإنسان الصحراوي النخلة و استفاد من ثمرها و بقية أجزائها فمنها مأكله و مسكنه ، ولا أظن أن هناك شجرة على هذه البسيطة خدمت الإنسان مثلما خدمته النخلة »[2]. فغابة النخيل أو الهود أو الغوط[3] لعبت دورا هاما في المجتمع السوفي فهي « تحدد المركز الاجتماعي للفرد و مقياسا للغنى والرفاهية ، لأن قيمة الشخص تقاس بمايملك من عدد الغابات و النخيل »[4]. وكان هذا الاستقرار في المورد الاقتصادي كانت له انعكاساته على المجتمع فجعلته يميل إلى إبداع شكل معماري وقف به مجددا معجزا لطبيعته القاسية و كان « التوسع العمراني في سوف في أواخر القرن 19 م و بداية القرن 20 م في معظمه يتجه نحو الشمال ، يتجه بحكم وجود (اللوس و التافزة) المستخدمة في البناء بالمناطق الشمالية الشرقية ، و ارتفاع حجم الكثبان الرملية جنوبا لا يشجع على التوسع في زراعة النخيل »[5]. فكان البناء و العمران في سوف إحدى المميزات التي جعلت المنطقة تتفرد به في هذا المجال ، حتى عرفت بمدينة ألف قبة[6] فكل السطوح قباب ، البعض منها نصف

الوادي ، ط1 ، 2011 ، ص 50 .

(1)ثريا تجاني : دراسة اجتماعية لغوية لقصة شعبية – وادي سوف أنموذجا – ص 11.

(2)سناء سعيد : فن النخلة بين التراث و العولمة ، الملتقى الوطني الثاني حول التراث الثقافي ، مطبعة مزوار ، الوادي ، ط1 ، 2009 ، ص 102.

(3)شرح الغوط: هو حفر مساحة واسعة بمعدل 03هكتار ، وعلى عمق يصل إلى 20 مترا من أجل زراعة النخيل قريبا من المائية بحيث يستغني عن السقي ،كما يوفر مساحة من الظل والجو المعتدل الهادئ وقد كان له أثر مركزي في حياة سوف .(ينظر :السعيد ديدي ، ص48.) .

(4)ثريا تجاني : دراسة اجتماعية لغوية لقصة شعبية – وادي سوف أنموذجا – ، ص 10 .

(5)عثمان زقب : الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في منطقة وادي سوف 1918/ 1947،(مذكرة ماجستير)، إشراف يوسف مناصرة ، جامعة الحاج لخظر ، باتنة ،(2005 ـ 2006)، ص 21 .

(6)هذا اللقب أطلقته الكاتبة الروسية ايزابيل ابرهاردت (1877/ 1904م) ،وصلت إلى الوادي في 04 أوت 1899م . وقد صورت المنطقة وعاداتها في كتاباتها .

اسطواني (الدمسة) والأخر نصف كروي (القبة)[1] . وقد تنوع كذلك المنزل بمختلف أشكاله حتى يتلاءم مع الأوضاع المختلفة من تحديات المفروضة من الطبيعة على المنطقة ، فنجد الزريبة[2]،والمساكن الريفية[3] ومنازل الحضر بالقرى والمدن،وهذا الأخير يمثل النموذج الحقيقي للمنزل السوفي،حيث يتضمن بالضرورة «فناء مغلق مع عدم انفتاح المنزل على الشارع بنافذة ..وتصطف حول هذا الفناء الغرف بالديار والمدخل دائما محجوب عن النظر بواسطة حائط متعرج (ساتر)...وفي الجهة الجنوبية للمنزل يتم بناء أقواس مفتوحة للشمال تعرف بالساباط الظهراوي ويخصص للجلوس في الصيف ... وأقواس في الجهة الشمالية ، تعرف بالسباط القبلاوي ، ويخصص لفصل الشتاء ،ويوجد في المنزل غرفة للمئونة تعرف بدار الخزين .وعادة ما تكون بالجنوب لكي تتلقى أقل حرارة لحفظ الأغذية .أما الجهة ،وحسب إمكانيات المالك لها غرف للشرق ...أما المدخل الخارجي للمنزل فيكون متبوعا برواق واسع يسمى السقيفة .حيث يستقبل فيها الضيوف ... وغرفة ملحقة بالسقيفة تعرف بدار الضياف.كما يشمل البيت السوفي على فناء داخلي يعرف بالحوش ، وبئر وحوله غرف وأقواس »[4].

هذا النسيج العمراني والاستقرار المعيشي عكس مجتمعا بشريا متراصا ومتكتلا ،ينزع إلى العيش في قبائل وجماعات يحكمها نظام الجماعة «يرتكز على كبار العروش والأعيان لكل قبيلة وبلدة

(1)عثمان زقب : الهوية الثقافية لمجتمع وادي سوف من خلال تطور ثقافة العمران ،الملتقى الوطني الثالث حول الهوية و التراث الثقافي في ظل العولمة انتماء أم انكفاء،مطبعة مزوار، الوادي الجزائر ،ط01 ،2011، ص138.

(2)الزريبة :هي عبارة عن سكن مؤقت مناوب يستخدم من طرف البدو و الحضر ، يصنع من جريد النخيل وهو سكن وسط ما بين الخيمة والمنزل (ينظر :المرجع نفسه ، ص140.)

(3)هي مساكن تبنى من طرف الحضر قرب الغيطان ليتنقلوا اليها في الصيف طلبا لاعتدال الجو وموسم جني التمور وهو تطور للزريبة ويستخدم في بناءه الجبس .(ينظر المرجع نفسه، ص141.)

(4)عثمان زقب : الهوية الثقافية لمجتمع وادي سوف ،ص:141.

،يمثلون المرجعية الاجتماعية للسكان ،ويتأكد دورهم في الأوقات العصيبة والمواقف الحاسمة كتهديد خارجي أو خلافات أو نزاعات داخلية أو أعمال جماعية »[1].

وبالنظر للمجتمع السوفي نجده يتكون من«العرش الذي يتكون من مجموعة صغيرة من القبائل والعائلات الكبيرة ،التي تتكون بدورها من مجموعة من العائلات الصغيرة التي تسكن منطقة واحدة على شكل منازل متجاورة ...يجمع كل منزل الأب والأم والأولاد المتزوجون وزوجاتهم والأولاد غير المتزوجون ... وتسمى المنطقة بالنزلة ويطلق عليها اسم العرش الذي يقطنها ...»[2] ، والعرش يتكون من الأسرة الممتدة (الكبيرة) إلى الأسرة النواة (الصغيرة)،ولقد شكلت الأسرة الدعامة الأولى التي قام عليها المجتمع وعملت على استقراره وإصلاحه فهي« نظام اجتماعي له قواعده الخاصة به التي تعمل على تنظيم وتناسق العلاقات بين الناس كعلاقات الدم والقرابة ،التي تحدد حق الوالدين على الأبناء وواجبات الأبناء نحو والديهم»[3].

ونختم حديثنا بكل تلك الخصائص والمميزات التي اتسمت بها الأسرة السوفية[4]:

1.حياتها غير متكلفة تتصف بسهولة المعاشرة والاتصال بين أفرادها ،كما يسودها التضامن الاجتماعي والتماسك العائلي .

2.كثيرا ما تتمسك الأسرة السوفية بعاداتها وتقاليدها ولا تتخلى عنها مهما كانت الظروف أي أنها محافظة .

3.وفيها ينفرد الجد و الأب بقيادة الأسرة مدة حياته فهو يتصرف في حياة الأبناء ، ويفرض عليهم طاعته واحترامه .طبقا للتعاليم الإسلامية .

---

(1)السعيد ديدي : نظرة عامة حول وادي سوف ، ص:48.

(2)ثريا تجاني : دراسة اجتماعية لغوية لقصة شعبية – وادي سوف أنموذجا –ص:22.

(3)المرجع نفسه ،ص:20.

(4)ينظر:المرجع نفسه، ص: 27، 28.

4.الأسرة السوفية تقدس الرجل على حساب المرأة .ويتجلى ذلك في الاهتمام بمولد الذكر وإهمال مولد الأنثى .وإن كان ذكر تكرم الوالدة ،وإن كانت أنثى تؤنب، ويكون مصيرها الزواج عليها أو الطلاق.

5.المرأة السوفية ترتدي الحجاب منذ سن البلوغ ،لا تقابل الرجال الغرباء ،حتى الأقارب أحيانا ،خاصة المتزوجة فهي حبيسة المنزل تقوم بالأعمال المنزلية ،وبعض الأشغال اليدوية كصناعة الصوف .

6.الأسرة السوفية يكون الزواج فيها في سن مبكرة، بتأثير العادات والتقاليد وقلة تكاليف تكوين الأسرة ،وهي أسرة محبة للنسل ،لذلك يتراوح عدد أطفالها بين 06إلى08 أطفال ، والمرأة قليلة الإنجاب لا قيمة لها في الأسرة .

4 / وادي سوف فكريا وثقافيا :

وجود القبائل العربية ،وتشرُّبْ الثقافة الإسلامية التي لم يقطعها الوجود التركي أو المستعمر الفرنسي ،لأنه كان يحكمها «حكما غير مباشر ،فقد كان يسيرها بواسطة القياد و شيوخ الزوايا ،مما جعل أهل المنطقة لا يحتكون بالمعمرين »[1]،وكذلك الحكم التركي الذي كان اهتمامه منصبا على الحواضر ، أتاح لأهل المنطقة فرصة الاحتفاظ بعروبتهم وإسلاميتهم نقية صافية ،شكل بها مجتمع سوفي« محافظ له ثقافة مجتمعية ذات الأصول الإسلامية كان الباطن فيها والمتمثل في الثوابت والمبادئ يعكس الظاهر ما دامت الثقافة من صنع ذات المجتمع »[2].

ومما ساهم في مد هذه الروافد ذلك الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي ،«الذي مكن المجتمع السوفي من الاهتمام بطلب العلم ،إذ شيدت المساجد والزوايا ،و أُعطيت لها عناية فائقة .فحرص

(1)المرجع السابق ، ص85.

(2)بوبيدي لامية: الشباب الجزائري بين الحفاظ على الهوية والوقوع في الهوة الثقافية ، الملتقى الوطني الثالث حول الهوية و التراث الثقافي في ظل العولمة انتماء أم انكفاء، ص119.

الآباء على تعليم الأبناء القرآن واللغة وعلوم الدين »[1]. وبعدما كانت رحلاتهم نحو أماكن الخصب والماء ،أصبحت بعد ذلك نحو المدارس ومنارات العلم مثل جامع الزيتونة بتونس ،والأزهر بمصر- ،وأيضا منطقة الزاب ببسكرة .

كما عكست البيئة القاسية شخصية«تتميز بالذكاء وسرعة البديهة ،ولها روح المثابرة والطموح اللّامحدود والإصرار على تحقيق النجاح .كما تتميز بطابعها الاجتماعي »[2].وأيضا سمة التحدي والمثابرة والإصرار على تحقيق النجاح المستمدة من «الطبيعة التي عايش فيها الأبناء الآباء ،و الإصرار على النجاح في مقارعة الظروف الطبيعية والمناخية الصعبة (رفع الرمال، حفر الغيطان ...)»[3].

وكان للتنشئة الاجتماعية ،والنسيج الأسري ،وأسلوب التربية دور كبير ،حيث كانت تقوم على نظام الجماعة والولاء . وتمثل هذا في شكلين : التجمع والولاء لكبير العرش ،أو التجمع والولاء لشيخ الزاوية « فشيخ الطريقة أو الزاوية يصبح هو العنصر المشترك الأعظم الذي يعود إليه كل الناس للفصل في قضاياهم ،وقد ينوبه في ذلك شخص آخر يسمى المقدم ، إذا كان مكانه بعيد ا...»[4].

وهذا التفاعل والالتحام بين البيئة والإنسان في منطقة سوف أنتج الكثير من المظاهر الثقافية . فكانت «المساجد المنتشرة في كل الأحياء والقرى بما فيها من تعليم ووعظ و إرشاد ، والزوايا وما فيها من توجيه وذكر وإنشاد ، والمدارس الحرة والمكتبات الخاصة... كما كانت الساحات العامة

(1)بوبكر منصور : من العائلية إلى التعاقدية ،ص 43.

(2)المرجع نفسه ، ص38.

(3)المرجع السابق ، ص35.

(4)ثريا تجاني : دراسة اجتماعية لغوية لقصة شعبية – وادي سوف أنموذجا –، ص23.

والمقاهي الشعبية وبعض المنتديات الخاصة ،حيث يتجمع الناس في المناسبات الخاصة والعامة فتكثر المناقشات والمناظرات في قول الشعر والألغاز والقصص وحفظ الأمثال والحكم .»[1].

وفي هذا الجو ولد الكثير من عباقرة الفكر والأدب والدين والتاريخ ... مثل "إبراهيم العوامر" (1881/ 1934م) ،صاحب كتاب"الصروف في تاريخ صحراء وسوف" ،وأيضا الشاعر محمد الأمين العمودي (1980/ 1957م) الأمين العام لجمعية العلماء المسلمين ،وصاحب جريدة الدفاع بالفرنسية . والمؤرخ محمد العدواني (1133هـ) صاحب كتاب التاريخ العدواني ... والشيخ محمد الطاهر التليلي (1910/ 2003م) [2].

ولأن الثقافة هي :"أسلوب حياة الأسلوب المشترك لمجتمع بأكمله من علمائه إلى فلاحيه "[3] فقد حوى المجتمع السوفي كثيرا من أعلام الفكر والأدب شقوا طريقهم إلى المجد عبر تدوين مظاهر التراث الثقافي الذي يضمن لهم الخلود في الذاكرة الشعبية والأدبية على حد سواء.

(1)السعيد ديدي : نظرة عامة حول وادي سوف ، ص:25.

(2)ينظر: بن سالم بلهادف ، سوف تاريخ و ثقافة ، ص:60 ، 66 . والسعيد ديدي ، المرجع السابق ، ص:26 ،28.

(3)مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، ترجمة عبد الصابور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط11، 2005، ص138.

الـفصـل الأول:

الشيـخ محمـد الطـاهـر التليلـي حياته وآثاره

تـــوطـــئـــة

لقد سايرت الجزائر موكب العلم و الحضارة ، فشهدت حركة علمية ضمت طائفة كبيرة من نوابغ العلماء و أرباب القرائح ،الذين زخرت بهم، لذا كانت على مدار التاريخ موئلا لاستقرار العلوم.

ومن المدن الجزائرية التي حضيت بنصيب وافر من الأعلام في مختلف العلوم و المعارف العربية

والاسلامية في الفكر و الثقافة و الأدب،مدينة **وادي سوف** فقد كانت هذه المدينة كغيرها من المدن الجزائرية التي عايشت ظروف سياسية و اجتماعية و ثقافية جرّاء ما خلّفه الاستعمار الفرنسي.فلا يسعنا الحديث عن هذه الظروف قبل ذكر الإطار الجغرافي للمدينة:

تقع **وادي سوف** في الجنوب الشرقي من **الجزائر**؛يحدها من الشمال: إقليم الزّاب **(بسكرة والزرائب)** وتمتد حتى جبال الأوراس والنمامشة الى منطقة نقرين،ومن جهة الشرق: الحدود التونسية عبر **(نفطة ونفزاوة)** و بلدة **نقرين** التابعة لولاية **تبسة**، ومن الجنوب: الحدود **الليبية** عبر واحات غدامس، و من الغرب: **(تقرت و تماسين)** بمنطقة **ورقلة**.

و هذا الموقع الذي تميزت به **وادي سوف** أعطاها بعدا تجاريا وتاريخيا و ثقافيا زاهرا [1].

دفعت تلك الأوضاع المتردية الى نهوض أبناء وطن يغارون على وطنهم؛ فلم تلبث هذه الحركة الوطنية إلاّ أن توسعت و انتشرت في كل القرى و المدائن من قطر الجزائر؛ولم يقتصر هذا النهوض على الشمال فقط؛ بل امتد الى الجنوب أيضا ومن جنوبها منطقة **وادي سوف** فقد شارك في ظهور هذه الإرهاصات الإصلاحية شخصيات عديدة تكوّنت لديهم رغبة في رفع رايات الإصلاح بها مطلع القرن العشرين[2].

(1)ينظر،محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف،منشورات شالة،الأبيار، الجزائر،(دط)، ت:2007،ص: 37.

(2)ينظر،إعداد مجموعة من المختصين، العلامة المصلح محمد الطاهر تدليلي، قراءات في سيرته و فكره و آثاره،شركة مزوار، الوادي،(دط)،ت: 2005، ص: 27 .

ومن أبرز ممثلي هذه الحركة الإصلاحية :

"**عمار بن الأزعر**[1]، **حمزة بوكوشة** ، **محمد الأمين العمودي**" حيث كان هذا الأخير أمينا عاما للجمعية.كما تأسست في المنطقة أول مكتب بالجمعية بقيادة نخبة من الشيوخ:

"**الهاشمي الدراجي،الهاشمي حميداتو،حمزة بوكوشة،عماربن الأزعر،عبد الكامل النجعي**" ثم التحق بهم الشيخ "**عبد الشريف** "سنة 1937.

كما زار "**عبد الحميد بن باديس** "**وادي سوف** و العديد من مناطقها منها " **قمار – تغزوت – كوينين-تكسبت-الرباح**..." و كان ذلك في شهر ديسمبر من سنة 1937،وكان لهذه الزيارة أثر عميق على كل المستويات: الثقافية و الاجتماعية و السياسية ومن نتائجها:

- ✓فتح مداس حرة.
- ✓إرسال البعثات العلمية إلى الزيتونة.

فقد اشتهر أهالي **وادي سوف** بالتدين و الأخلاق الفاضلة وتميزوا بتعطشهم للعلم و التعليم، كما عرفوا بالذكاء في الميدان العلمي و الاقتصادي ،و بكم كبير من العلماء و المصلحين المثقفين ثقافة إسلامية ؛و الطابع العربي واضح في تفكيرهم و تقاليدهم و بارز في عاداتهم و سلوكهم ،فهم كرماء أوفياء للعهد و الأمانة غيورين على لغتهم و وطنهم غيرة نابعة من نفس طاهرة خالصة لله و الوطن[2].

ونتيجة لتلك التأثيرات الاجتماعية المتمثلة في الروابط المتينة بين العائلات السوفية والتونسية وكذا دورها الهام في ميدان التعليم، وأما الثقافية من خلال الحدود المتاحة للإقليم اتّسم الوضع

(1)عمار بن عبد الله بن الطاهر بن أحمد الهلالي(1898م- 1968م):بقمار، تعلم وحفظ القرآن التحق بجامع الزيتونة، نال شهادة التطويع، تفرغ للتدريس والوعظ،كان من أول مؤسسي فرع جمعية علماء المسلمين بالوادي، عمل مدرسا بالمدينة المنورة. ينظر:من إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي ،أعلام سوف،شركة مزوار، الوادي،ط: 1،ت:2006، ص:30.

(2)ينظر،إعداد مجموعة من المختصين، العلامة المصلح ،المرجع السابق ص: 28 – 29 .

الثقافي **بوادي سوف** بحركية فاعلة و نشطة كما أن غالبية رجال الطرق الصوفية قد وفدوا الى المنطقة من الجريد التونسي[1].

كما ساعدت كلا من المدارس القرآنية و المعاهد الإسلامية التي انتشرت **بالوادي** بظهور نهضة ثقافية و أدبية لتربية النشء و تثقيف الشعب ككل، وكذا كانت حاضرة **قمار** كغيرها من القرى الجزائرية التي كانت بها كتائب لتحفيظ الناشئة القرآن الكريم، فقد كانت زاخرة بالمنتديات العلمية و المجالس الأدبية و الدينية،فهي تميزت بحيوية أكثر من غيرها، نتيجة الاستقرار الذي عرف به الأهالي لارتباطهم بالزراعة،و الدور الذي قامت به الطرق الصوفية في نشرا لتعليم الديني و اللغوي و الثقافي العربي خاصة الطريقة التجانية و عنايتها بالعلم؛ بفتحها مدرسة حرة تعلم الكبار و الصّغار، هذا بدوره ساهم في إيجاد عدد من المساجد القديمة التي تحمل طابع التصوف مثل مسجد الشابية[2].

ولذا عرف أهالي **قمار** بشغفهم الكبير للعلم و التعلم ،لذلك فقد كان النشاط التعليمي ذا حركة متميزة و فعّالة و هذا ما جعل التعليم يلقى قبولا واسعا لدى الآباء و البنين، كما تعد البلدة من بين المناطق التي عاشت حركة علمية دؤوبة لتنشئة الشباب رغم محاولات القضاء على هذه الحركة في مهدها من طرف أعداء العلم.

رغم كل العوائق و الصعوبات إلا أن **الجزائر** كان فيها علماء يعتد بهم و مصلحين ناضلوا وجاهدوا في سبيل تحرير الشعوب من عبودية الجهل و الظلال الذي يعيشونه، دون علم منهم فحاولوا إيقاظهم من سباتهم و أخذهم الى النّور، فمن بين هؤلاء المصلحين **الشيخ الطاهر التليلي** الذي سنتعرف على سيرته الإصلاحية الحافلة و الزاخرة بالأعمال القيّمة و العظيمة التي أثرت في نفوس العديد من النّاس و لازالت تؤثّر فيهم لحد الآن.

(1)ينظر،فضيلة بوجلخة،"الظواهر المعنوية و الفنية في ديان الدموع السوداء للشيخ محمد الطاهر التليلي"،جامعة الحاج لخضر،باتنة،إ: عبد السلام ضيف،2008-2009،رسالة ماجستير في الأدب الجزائري،ص: 8-9.

(2)ينظر، إعداد مجموعة من المختصين، العلامة المصلح، المرجع السابق، ص: 60 – 61 .

الشيخ محمد الطاهـر التليلي القمـاري

أصله ونشأته :

كانت مدينة **وادي سوف** من المدن الجزائرية التي حظيت بنصيب وافر من الأعلام؛ في مختلف العلوم والمعارف العربية والإسلامية في الفكر والثقافة والأدب، حيث قام هؤلاء العلماء بدورهم في التعليم والتدريس فيما يعرف بالفترة المستنيرة للعلم، وقد كانت منطقة قمار تعرف دوما نشاطا ثقافيا نتيجة لدور المساجد والكتاتيب وزوايا العلم والأدب، مما جعلها تعرف باستمرار بروز شخصيات وأعلام ساهموا في تفعيل الحركة الإصلاحية منهم: الشيخ "**عمار بن عبد الله الأزعر**"،والفقيه "**خليفة بن حسن القماري**".[1]

ومن الأعلام المغمورة والمصلحين الذين آثروا الإبعاد عن الأضواء والاهتمام بما يفيد النّاس من علم ودين، الشيخ "محمد الطاهر التليلي القماري" الذي سنحاول أن نلخّص أهم محطات حياته العلمية والتعليمية في أسطر متواضعة، بالنسبة لما حققه هذا العلاّمة من إنجازات مستهلين هذه الأسطر بالتعريف بأصل أسرته.

أصـل أسرتـه :

يروي الشيخ "**محمد الطاهر**" بن "**بلقا سم التليلي**" بأنّ أسرته انحدرت من بلدة **فريانة**[2] بالقطر التونسي، وأنّ لقب هذه الأسرة عرف **بأولاد تليل**، تفرّعت هذه الأسرة إلى فرعين:فرع في **قمار** وآخر في **تاغزوت**.حيث انحدرت هذه الأسرة إلى **وادي سوف** في حدود النصف الأخير من القرن الثاني عشر للهجرة (12ه)،وبقيت شجرة هذه العائلة مغروسة في **فريانة** بالزّاوية التي أنشأها في بداية

(1) خليفة بن حسن القماري،(1123ه- 1207ه): بقمار، حفظ القرآن الكريم، رحل إلى خنقه سيدي ناجي،كان مرجعا في الفتوى. ينظر: محمد الطاهر التليلي، إتحاف القارئ، بحياة الشيخ خليفة بن حسن القماري،منشورات المجلس الإسلامي الأعلى،الجزائر،ت:2007، ص: 12- 20 .

(2)فريانة: هي بلدة بالقرب من قفصه في الجنوب الغربي لتونس، وهي تابعة إداريا لولاية القصرين التونسية.ينظر،هذه حياتي،ص:2

القرن السابع عشر للميلاد(17م)، جدّ الأسرة الشيخ الصوفي" **أبو العباس أحمد التليلي**" وبها ضريحه، وقد اشتهر "**أولاد تليل**" بالعلم والتعليم وبرز فيها علماء كان أكثر تمركزهم في البلاد **التونسية** والشرق الجزائري .

لمّا قدم الشيخ" **أحمد التليلي**" إلى **وادي سوف** طاب له المقام ببلدة **قمار** وعمل بها قاضي ومعلما، رزق بصبي حوالي عام 1749م سماه "**بلقاسم**" فسار الولد على مسار أبيه، وأصبح له شأن كبير وتولى خطة القضاء بـ:**قمار** و **تاغزوت** [1].

وقد ولد للقاضي" **بلقاسم التليلي**" عدد من الأبناء منهم: "**أحمد**" ومن "**أحمد**" ،ولد "**عمر**" ومن "**عمر**" ولد "**الأخضر**" ،ومن "**الأخضر**" **ولد بلقا سم**" ،ومن "**بلقا سم**" ولد "**محمد الطاهر التليلي**" ،ويرجع أصل الشيخ إلى الخليفة الثالث ذي النورين "**عثمان بن عفان**"رضي الله عنه. [2].

مـولـده ونشـأتـه:

لقد تخرج من أسرة " **التليلي**"علماء أجلاء جاهدوا في سبيل تنوير وإصلاح النّاس، ومن هؤلاء العلماء المناضلين في سبيل الحركة الإصلاحية والدعوة الإسلامية الشيخ" **محمد الطاهر التليلي القماري**" الذي سنورد حياته ونشأته ومسيرته الإصلاحية .

مولده:

لقد أذن الله سبحانه وتعالى بميلاد الشيخ "**محمد الطاهر التليلي**" وإنزاله إلى هذه البسيطة، عند منتصف الليلة السادسة من شهر ذي الحجة أي قبل عيد الأضحى بأربعة أيام سنة 1328هـ من هجرة المصطفى ﷺ، الموافق لـ:1910م في مدينة **قمار** إحدى المدن المشهورة بالعلم والعلماء **بوادي سوف** بالجزائر.[3].

(1)ينظر، إبراهيم رحماني، الشيخ محمد الطاهر التليلي وجهوده في البحث الفقهي الإفتاء، مطبعة صخري ،الوادي ، الجزائر، ط:1، ت:2011،ص:16.

(2)محمد الطاهر بن بلقاسم التليلي القماري، مخطوط، هذه حياتي،ص:3 .

(3)ينظر، إبراهيم رحماني، المرجع السابق،ص: 15.

وحسب ما ذكر الشيخ في مخطوطته (**هذه حياتي**)؛ بأنّ اسمه كان رغبة من والده منذ الصّغر، ووعد قطعه على نفسه.وبعد فترة الرضاع التي كان الشيخ يتأرجح فيها بين الحياة والموت ،دون النطق بأي حرف إلى أن صار عمره خمس سنوات .[1]

نشأته :

لقد نشأ الشيخ "**محمد الطاهر التليلي القماري**" بين أحضان أسرة عريقة شريفة دنيا ودينا، وقد كان اهتمام جدّه "**الأخضر بن عمر**" به كبيرا خاصة في الدراسة، وكما يقول الشيخ في كتابه المخطوط (**هذه حياتي**):«... أدخلني والدي باستشارة من جدّي لأبي كتّاب القرية، المعروف آنذاك **بجامع الطلبة**، وكان المؤدب فيه الشيخ المرحوم السيد "**أحمد بن حم الأخضر بن لمحنط** "»[2]، ولحسن حظّ الفتى فإنّ الجدّ كان من حفظة القرآن الكريم وله قسط معتبر من العلوم

الدينية والعربية ،فقد كان الجدّ حريصا كل الحرص على تنشأت حفيده نشأة صالحة والوصول به إلى العالم التقي المصلح،لأنّه يرى في حفيده مظاهر الذكاء والنبوغ وشغف التعلم وحسن السلوك، لذلك فقد خصّ الجدّ حفيده بمزيد من الرّعايا وأعطاه من وقته الكثير، فاهتم بتعليمه وأشرف عليه في حفظ القرآن الكريم وإجادته إياه وهو في سن مبكرة ،ولذلك أمر بإخراج الفتى من الكتّاب الذي اعتبر نظامه عبارة عن نظام يضيع معه عمر الصبي، بقدر ما يخـيب أمل والده فيه.[3] ومن هنا باشر "**الأخضر بن عمر**" بتعليم حفيده بنفسه على حسب ما يراه الأنجع والاصوب ،إذ لا يمحي لوحا ولا يخرج من سورة إلاّ بعد الحفظ المتقن ،وبعد أن أتمّ الفتى حفظ نصف القرآن أمره جدّه بـأنّ يعيد الحفظ نزولا من سورة **مريم** إلى سورة **الناس** .[4]

وقد برر الجدّ هذا النزول غير المنظّم بأنّه – أي الجدّ – ولم يكن له من العمر ما يستطيع معه مواصلة تعليمه القرآن كلّه، ولذا أراده أن يعيد ما يحفظه ويتقنه ،ورغم هذا كلّه إلا أنّ طموح الجدّ لم

(1)ينظر، محمد الطاهر بن القاسم التليلي القماري ، مخطوط ،هذه حياتي،ص: 4 .

(2)ينظر ، المرجع نفسه،ص: 5 .

(3)ينظر،محمد الطاهر بن القاسم التليلي القماري ،مخطوط ،هذه حياتي ،المصدر السابق، ص: 5 .

(4)ينظر، محمد بن سعد طالبي، المرجع السابق، ص: 18 .

ينته في تعليم حفيده إلى هذا الحد، إنّما كان في نيته -رحمه الله- أن يرسله إلى **جامع الزيتونة بتونس** لإتمام تعليمه ولذا كلّفه بقراءة متون الكتب الدراسية الابتدائية، فسار الفتى على هذه الخطة إلى أن وصل في حفظ القرآن إلى سورة **الأعراف** وهنا اكتفى الجدّ بهذا القدر نظرا لكبر سنّه وسوء صحّته ،حيث يورد الشيخ **"محمد الطاهر التليلي"** هذا قائلا:«... عجز الجدّ كل العجز عن إتمام ما كان يأمله من تأديبي وتعليمي مباشرة وعلى يده، فأشار عليّ بالذّهاب إلى كتّاب الشيخ **"الطيب بن الحاج علي بن الزا"**».[1] ولما عجز الجدّ تماما توجه الفتى رسميا إلى الشيخ **"الطيب الزا"**[2] ولقد حضر بعض دروس **"محمد بن السائح اللقاني"**،[3] وكذا دروس الشيخ **"عمار بن الحاج بن عبد الله بن الأزعر"** المصلح الكبير، وقد لازم أيضا دروس الشيخ **"أحمد القا"**[4] في النحو خصوصا .

ولتنفيذ وصية الجدّ التي أوصى بها ابنه قائلا:(... إذا قدّر الله لي الوفاة فلتتولى أنت تحقيق ذلك، وتكون نفقة التعليم والمصاريف الكاملة مدة سنوات الدراسة من مالي الخاص).[5].

وما كان الأمر إلا كذلك حيث لم يجد **"بلقاسم التليلي"** إلاّ أن يقوم بوصية والده أحسن قيام، حيث توجه الفتى **"محمد الطاهر"** إلى **جامع الزيتونة بتونس** عن طريق **بلاد الجريد** 1927م-1346هـ.[6].

وكان **جامع الزيتونة بتونس الخضراء** بلد العلم والعلماء، قبلة لطلاّب العلم من قرية **قمار** خاصة

(1)ينظر، محمد الطاهر بن القاسم التليلي القماري، مخطوط،هذه حياتي،المصدر السابق، ص: 8 .

(2)الطيب بن الحاج بن الزا،(ت: 1389هـ):قضى أكثر عمره في تحفيظ القرآن الكريم، عمل إماما في مسجد يسمى بيت الشريعة، كان خياطا،ينظر،محمد الطاهر التليلي، مخطوط ،مجموع مسائل تاريخية متفرقة تختص بسوف،ص:98.

(3)محمد بن السائح اللقاني،(1895م – 1970م): بتونس، درس في جامع الزيتونة تحصل على الشهادة العالميةسنة1338هـ رجع إلى الجنوب الجزائري ،عمل مدرسا .ينظر،رابح خدّوسي،المرجع السابق،ص:97 .

(4)أحمد بن محمد القا ،(1305هـ-1884م/ 1360هـ-1939م):قرأ على شيوخ قمار كالشيخ عمار بن الأزعر، حفظ أغلب المتون المقروءة.ينظر،محمد الطاهر التليلي، مخطوط ،مجموع مسائل تاريخية متفرقة،المصدر السابق،ص:89.

(5)ينظر، محمد الطاهر بن القاسم التليلي القماري،مخطوط ،هذه حياتي، المصدر السابق، ص،: 10 .

(6)إبراهيم رحماني، المرجع السابق، ص: 18.

ولم يتجاوز الفتى "**محمد الطاهر التليلي**" أثناء التحاقه به السابعة عشر من عمره، وبقى ملازما للتحصيل متفرغا للدراسة مدة سبع سنوات توّجها بشهادة التطويع سنة 1934م.[1] وهكذا استسقى الشيخ "**التليلي**" مختلف العلوم و المعارف وعلى أيدي نخبة من العلماء والمشايخ كما يلقبهم الشيخ نذكر منهم :

- ✓ محمد بن الامين .
- ✓ معاوية التميمي .
- ✓ عبد السلام التونسي [2]

كان هذا في العلوم أما عن علوم التجويد فذكر :

- ✓مختار المؤدب
- ✓محمد الهادي الكلبوسي .
- ✓التجاني زفزوف.[3]

ولقد قرأ ودرس الشيخ العديد من الكتب مثل

- ✓شرح الكفاية على الرسالة لابن أبي زيد القيرواني.
- ✓شرح القطر في النحو.
- ✓لياجوري على جوهرة التوحيد.
- ✓الزنجاني في الصرف .
- ✓ميارة على ابن عاشر نفقة.
- ✓الماكودي في النحو على ألفية أبن مالك .
- ✓الأشموني على الألفية في النحو .
- ✓مراح الأرواح في الصرف .

---

(1)المرجع نفسه، ص: 19.

(2)محمد الطاهر بن القاسم التليلي القماري،مخطوط ،هذه حياتي، المصدر السابق، ص: 3 .

(3)المصدر نفسه، ص: 84.

✓تفسير الجلالين في الصرف .

✓تفسير الكشاف للزمخشري .[1]

وكتب أخرى وعديدة جدا قرأها الشيخ لشهيته في زيادة العلم والتثقف، وكان للشيخ" **التليلي**" قدرة كبيرة على استيعاب المعلومات أكثر وأكبر قدر ممكن، إذ أنّه لم يكتف بدراسته في **جامع الزيتونة** بل تعلّم أيضا خارجه المزيد من العلوم المختلفة، حيث لازم الحضور لمحاضرات ودروس الشيخ "**العربي الكابادي**".وقرا أيضا دروسا في الإنشاء على الشيخ "**الحسن بن شعبان**" .

حضر بعض المحاضرات التاريخية على الأستاذ "**عثمان الكعاك**" وتلقى الشيخ بعضها من دروس الموسيقى على الأستاذ "**الدرويش**" والأستاذ" **إسكندر شلفون**" المصري، حيث سمع تلحين نشيد **أقبل البدر علينا** قبل تسجيله فلم يترك الشيخ علما إلا واقتطف منه البديع والرائع ليستفيد ويفيد، وقد عاش مع الشيخ هذه اللحظات رفقاء متعطشين للعلم والثقافة فممن عاش معهم في المسكن ذاته نذكر :

_عبد القادر الياجوري.

_علي بن بلقاسم الشابي التو زري[2]

في سنة 1351هـ الموافق لـ:1932م كان زميله في السّكن "**محمد الحفناوي سي الأخضر**"بن "**مبارك هالي**"،وهو من أصدقائه المقربين في ثمار، بالإضافة الى:

✓محمد علي ترعة

✓لخضر لشهب

✓سي عمار العمري[3].

(1)محمد بن سعد طالبي ، المرجع السابق، ص: 28-30 .

(2)محمد الطاهر بن القاسم التليلي القماري،مخطوط ،هذه حياتي، المصدر السابق، ص: 15-16.

(3) المصدر نفسه، ص: 16.

حيث أعجب الشيخ "**التليلي**" بشخصيته وأخلاقه المحمودة ،فكان الأمر أن طلب منه أن يقترب منه ويناسبه بما أنّ هدفه إصلاحي ،فقد أراد الشيخ أن يفاجئ عائلته بهذا الخبر وأن ينزع فكرة الطرقية من عقول أهله .

بعد إتمام الشيخ دراسته بـ:**تونس** عزم على العودة إلى مسقط رأسه بلدته **قمار** حاملا معه الكثير من الآمال والأمنيات، ليشكر البلد الذي تعلمه وهذا للنّهوض بالبلد وإنبات النبات الحسن من الشباب نصائح المصلح .

إنجـــــازات الشـيخ التـليـلي:

الشيخ "**محمد التليلي**" هذا العالم الجليل الذي كرّس حياته لنشر العلم والحثّ على تحصيله ،ومحاربة البدع والخرافات، فآثر على نفسه تكوين جيل صالح يكون فخرا للمجتمع عبر الزمن، فيكون الحامي والعون له، فهو يعتبر نفسه حاملا لأمانة يجب إيصالها للأجيال فيقول عند عودته من **تونس**:«... فعللت نفسي في طريق الإيّاب إلى البلد بأنّني سأرجع إلى بلدي فأخدمها وأنشر فيها كل ما تعلمته وتلقيته من ثقافة ودين وآداب، كما خدمها غيري وعمل لها سواء من الشيوخ القدماء أو المحدثين ،وقلت - في نفسي- ليس تعلّمي إلاّ وسيلة لتعليمي وما تعليمي إلاّ وسيلة للنّهوض بالبلاد ،وإنبات النبات الحسن من الشباب الصالح المصلح ،والنّخبة المختارة، و والزبدة والعصارة التي بها تسمو البلاد، وعليهم تعتمدا وما أنا إلاّ ابن من أبنائها يجب عليّ لها ما وجب عليهم.»[1].

لقد اتخذ شيخنا من التدريس وسيلة لنشر الوعي بين أفراد المجتمع، فبعد عودته من **تونس** إلى مسقط رأسه **قمار** صدمه الوضع الذي وجده وهو الجهل و عدم اهتمام النّاس بالتعلّم وانشغالهم بالفلاحة، فرحل إلى **بجاية** حيث زاول التدريس في مدرسة الإصلاح في قرية **كمبيطة** كما تولى الإمامة والخطابة بالمسجد في تلك القرية، لكنّه تعرّض للعديد من المضايقات والسجن،مما دفع به إلى العودة لمدينة **قمـار** حيث حل محل "**عبد القادر الياجوري**" في مدرسة **النجاح** التي تولى فيها الإدارة

(1)محمد الطاهر التليلي،مخطوط، هذه حياتي ، المصدر السابق ،ص: 30-31 .

والتعليم وقد بدأ عمله في 20 محرم 1357هـ الموافق لـ: 18 مارس 1938م، ولضمان السير الحسن للدروس فقد وضع برنامجا كما يلي :

السنة الأولى :يعلم فيها مبادئ الحروف أيام السبت والأحد والاثنين والثلاثاء، ويعلّم فيها الأناشيد المدرسية صبيحة يوم الأربعاء،ومراجعة عامة مساء يوم الأربعاء،الخميس مبادئ حساب[1]، وقد يغير هذا البرنامج حسب الظروف.

تخرج على يديه أجيال من أبناء المنطقة نذكر منهم :

- محمود سعداني[2] وهو من رفقاء الشيخ وأعز أصدقائه .
- البشير مفتاح حمَّ علي البني.
- بوجلخة أحمد ألمولدي
- أحمـــــد درداخ .
- محمد مجحودة
- بوخاري حمانة
- علي سعد الله[3]

دام تولي الشيخ "**محمد الطاهر التليلي**" لإدارة المدرسة في الفترة ما بين 1948م-1961م اجتهد فيها الشيخ مع زملائه على تكييف مناهج **جمعية العلماء المسلمين** وفق الواقع التعليمي في المدرسة، وقدرات التلاميذ البسيطة، فقد عمل على إيجاد مفردات ووسائل تساعد هؤلاء التلاميذ المتعلمين على فهم وحفظ ما يعلّمهم، وكمثال على ذلك فقد نظم منظومات علمية تساعد التلاميذ على حفظ القواعد، مثل قوله في نظم الجمل التي لها محل من الإعراب :

جُمَلٌ إِنْ أُوِّلَتْ بِمُفْـــــرَدٍ لَهَا مَحَلٌّ فَاعْرِفَتَّهَا تَهْتَـد
عَدَدُهَا تِسْعٌ كَمَا سَيَأْتِـــي نَظَمْتُهَا لِلْحِفْظِ فِي أَبْيَـــاتٍ

(1)لقاء مع الشيخ محمود سعداني في بيته الكائن بقمار ، 28/ 12/ 2010، 11:00-12:30 .

(2)محمود سعداني،(م: 1924):من تلامذة الشيخ النجباء والمقرّبين إليه،مارس التعليم عدة سنوات،ولا يزال على قيد الحياة.

(3) لقاء مع الدكتور أبي القاسم سعد الله بعد عصر الجمعة في بيت أحد أقاربه بقمار يوم05/ 11/ 2010.

كَجُمْلَةِ الحَالِ وَجُمْلَةِ الخَبَـــرْ وَجُمْلَةِ الوَصْفِ كَذَلِكَ تَشْتَهِـرْ
وَجُمْلَةُ الْمَفْعُولِ وَالتَّابِعِ مَـــا لَهَا مَحَلٌّ وَالْجَوَابُ عُلِمَا
لِفِعْلِ الشّرطِ جَازِمٌ وَمَا يُضَفْ إِلَيْهَا مِثْلَ حَيْثُ أَنْتَ لاَ تَقِــفْ
وَجُمْلَةُ الْمُسْتَثْنَى وَالْمُسْنَدِ لَــهُ كَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ إِلاَّ فَانْتَبِــهْ.[1]

وقد واصل الشيخ التدريس فأشرف سنة 1965م على التدريس والإدارة؛ بالمعهد الإسلامي **بالوادي**.ثم التحق بمدارس وزارة التربية الوطنية مثل بقية زملائه مدرسي مدارس **جمعية العلماء المسلمين**، فقد كان تجواله بين عدة مدن، ففي سنة 1964م دّرس بمدرسة **سلام** رحل إلى **عنابه** وعمل أستاذا بثانوية **سان اوغستان** ،ثم عيّن أستاذا في ثانوية مبارك الميلي.[2].

وفي أكتوبر 1967م سافر الشيخ إلى مدينة **تقرت** دّرس بثانوية **الأمير عبد القادر**، طيلة خمس سنوات أي إلى غاية تقاعده المبكّر الذي كان في أكتوبر 1972م.[3] .

وهكذا كانت رحلة الشيخ التعليمية مفحمة بالأحداث والمشاق والمضايقات التي تعرّض لها من طرف أعدائه، ظنّا منهم أنّه سيتخلى عن عمله، لكن ذلك لم يثني من عزيمته شيئا .

لم يكن التدريس هو المسلك الوحيد الذي سلكه شيخنا الفاضل لنشر الوعي بين النّاس وإصلاح أحوالهم الدينية والدنيوية، بل اتخذ من الإمامة والخطابة والإفتاء في شتى المجالات وسيلة لذلك، فقد كان إماما في جامع السوق الذي يسميه بعضهم **الجامع الكبير** بـ:**قمار**، قدّم فيه دروسا لأهل المنطقة كان ذلك وفق المخطط الذي رسمه وهو كالأتي :

- ✓ليلة الأحد وليلة الاثنين :تفسير القرآن بكتاب الجلالين بمعونة تفسير المنار.
- ✓ليلة الثلاثاء وليلة الأربعاء: الأحاديث النبوية بكتاب صحيح البخاري بمعونة شرح القسطلاني.

(1)محمد الطاهر التليلي ،رسالة المقتطفات المنظومة من مؤلفاتي المعلومة، مخطوط، س:2001، ص: 14 .

(2) المصدر نفسه، ص:

(3)من إصدارات دار الثقافة بولاية الوادي ، أعلام سوف،ص: 28-29 .

✓ليلة الخميس وليلة الجمعة: فقه مالك بجواهر الإكليل نظم مختصر الشيخ خليل للشيخ خليفة بن حسن القماري، بمعونة شرح الدر دير للمختصر الشيخ خليل المذكور آنفا، ففي درس الفقه يستعين الشيخ بنبل الأوطار وسبل السلام لتؤخذ المسألة الفقهية من منبعها .[1].

فمن خلال عرضنا لانجازات الشيخ هاته،والتي كانت على سبيل التخصيص لا الحصر، أدركنا أنّه كرّس حياته لخدمة الوطن وإصلاح حال أبنائه وضحّى بنفسه ليحيى غيره، وكدليل على ما نقول نأخذ هذه الأبيات التي يقول فيها:

لبِثْتُ دَهْـرًا أُنَادِي لِلْعِلْـمِ أَهْـلَ بِـلاَدي
أَقَمْتُ فِيهِـمْ سِنِـينَا مِنَ السِّنِـينِ الْعَـوَادِي
لِنَشْـرِ عِلْـمٍ وَفِقْـهٍ وَيَقْظَـةٍ مِنْ رُقَـادِ.[2]

وفـاتـه وآثـاره

أولا: وفاته :

بعد هذا العمر الحافل بالعطاء لشيخنا الكريم "**محمد الطاهر التليلي**" الذي سخّره الله تعالى لخدمة الوطن وإصلاح أحوال مجتمعه، انتقل إلى جوار ربّه بعد أن أقعده المرض وألزمه الفراش، في مساء ليلة السابعة عشر من شهر رمضان المعظم عام 1424هـ الموافق للحادي عشر من شهر نوفمبر 2003[3] دفن في مساء اليوم الموالي في مسقط رأسه في **قمار** في جنازة حضرها المئات من تلاميذه ومحبيه إلى جانب عدد كبير من رجال الفكر والثقافة والسلطات المحلية نسأل الله أن يتغمده بواسع رحمته ومغفرته

وقد نظم الشاعر الجزائري" **أحمد الطيب معاش** "[4] قصيدة بعنوان **وداع ورثاء النّضو** التي يقول فيها:

---

(1)محمد الطاهر التليلي،مخطوط، هذه حياتي، المرجع السابق، ص: 51.

(2) محمد الطاهر التليلي، مخطوط الدموع السوداء، ص:

(3)أبو القاسم سعد الله، خارج السرب ، مقالات وتأملات ، دار البصائر ،الجزائر، ط:2 ، ت:2009، ص: 259.

(4)أحمد الطيب معاش (20-10-1926): في ولاية باتنة، التحق بصفوف جيش التحرير سنة 1955، قام بمهمات عديدة ضمن

قد قَصَّـــرتُ في حقّ التليلي فلم أُنْصِفْه حتى بالقليل
وقد ألّغيتُ عقـدا بين شعر وبيني منذ سـافر جيلـي.
وكنتُ نذرتُ إهداء،رفاقي وأشيـاخي، مديحي، وعويلي
وغادرنا المحاضر والـمربّي وجامعُ كلِّ أوصافِ الجَليـل
فلم أسمـعْ بخطْبٍ أو مُصـابٍ ولم أُرسلْ من المنفَى رَســولي
فـ(طاهرُ) وادِ سوفٍ كان فذًّا بِعِلمٍ أو حديثٍ أو أصـــول
قضى دهرًا يُصارع ظلمَ دَهـرٍ وأهـوالَ (المُعمِّـرِ) والمغـول..
ونابُ الفقرِ يَنهش منه عظْـما ونَصلُ الغدرِ يفتك بالعليـــل
فهاجَر كالرسول لجَمْعِ عِلـمٍ بِرغمِ الآسِـرين أو البديـل..
فتُوِّجَ بانتصار في اغتراب وفازَ، من المعـارف بالجزيـل
وعاد لـ(سوفه) في سوق رمْلٍ ليشري أو يبيـع برغمِ قيـل
ولّما لمْ ينلْ حظًّا بِمـــالٍ تَحـوّل للمُقفَّـعِ والخَليـلَ
يصنّف أو يُصفِّف أو يُصلـي ويخْلـو للنوافِـلِ والهَليـل
قبل القرْنِ ناطِـح كلَّ قرنٍ..[1] وعاش مُصارعًا كل(الوعـول)..
ولم يُوقفْه عن حَلبات (لكْمٍ).. سوى غـزْوِ الهُزَالِ أو النحـولِ
وحاور بعضَ أقطابٍ كِبَـارٍ كسعـد الله أو وفْـدٍ نَزيـل
وأنجب للجـزائر خيـرَ جيلٍ وفاخـر كلَّ غِيلٍ بالشُّبـول
وفي هذا الشتـاءِ تَغيب شمسٌ ويصْبـو فرْقَـدٌ نحو الرحيـل..
ويترك مثل (جـاحظِهِ) جِبالاً من التصْنيـف والعِلـم الأصيـل
فيا قُطْباً بعِلـمٍ أو بشِعـرٍ سـلامَ الشعـر من نِضْوٍ عليـلِ
فقد فقدتْ جزائـرنا عظيمًا صَبـورًا في الشدائدِ والمَهـولِ

وفود في عدة أقطار عربية، بدا نظم الشعر سنة1963، له ثلاث مخطوطات معدة للطبع . ينظر ، أحمد الطيب معاش ، التراويح و أغاني الخيام ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ، (دط) ،ت:1986، (الغلاف).

(1)أي سابق أقرانه في علو الهّمة و نيل المطالب العالية.

إذا قصّرتُ في حقٍ لجَهلي ... بِأصداءِ الرحيلِ أو العويلِ
فجزءٌ من حياتي في اغترابٍ ... وجُزءٌ في مَنامٍ.. أو مَقيلِ..
وأضْنَاني التطبُّبُ والتداوِي ... كأنّي والسِقامَ بلا عقول..
وتجمَعُنا مطامِعُ سوقِ طِبٍّ ... فنُصْبح للتجارب.. كالحقول..
إذا هان العليل أو(الكوبايُ) [1] ... سيلتحِق النِّطاسيُّ[2]بالعميل!
وإن غاب الضميرُ وغرّ مالٌ ... تزول مناقبُ الماضي الطويلِ
وعُذرًا يا إمَامِي تاه مُهْري ... وجَنَّحَ طائِري واهْتاجَ غولي..
وعَفْوًا يا مربّي بعض جِيلي ... كـ(سعْدٍ) أو سعيدٍ أو خليل..
فلا تعتبْ عليَّ فسوء حالي ... وأيامي البطيئة مثل ليلي
وسامحني على مُرِّ التنائي ... فترْحالي غدا كالمستحيل
وأسقامي تُكبِّلُني بِرُكْني ... وأحلامي كنجمي في أفُولِ[3]

ثانيا:آثاره :

عن **أبي هريرة** ﷺ أنّ الرسول ﷺ يقول: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ مِنْ ثَلاَث صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ نَافِعٍ يُسْتَنْفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».رواه مسلم

فشيخنا الفاضل جمع هذه الفضائل الثلاث فقد ترك مورثا علمي يعدّ كنزا من كنوز العلم التي لا تفنى وعائل المسلم في أمور دينه ودنياه وهي :

المطبوع منها :

- ✓مسائل قرآنية بحياة بن حسن القماري .
- ✓إتحاف القارئ .[4]

(1)رعاة البقر .

(2)النّطاسيّ والنظيس : العالم بالطبّ وهو الرومية النّسطاس .ينظر أحمد الفراهيدي،كتاب العين، دار الإحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان، ط: 1،ت: 1421هـ-2001م، ص: 968 .

(3)مأخوذة من نسخة بخط يد الشاعر.

(4)محمد الطاهر التليلي، إتحاف القارئ بحياة الشيخ خليفة بن حسن القماري، تح وتع أبو القاسم سعد الله، منشورات المجلس

المخطوط منها :

- ✓مجموعة تشتمل على مسائل في رسم القرآن وضبطه .
- ✓قواعد وكلمات في الثابت والمحذوف في القرآن الكريم .
- ✓رسائل في رسم الألف في القرآن كما في المصحف .
- ✓تجريد كتاب الحجة من كل دليل وحجة وبهامشه التعليق المفيد في تخريج قراءة ورش .
- ✓التعليقات البيانية على منظومات مسائل قرآنية .
- ✓قواعد البيان في الثابت والمحذوف في القرآن الكريم على رواية ورش .
- ✓سلوة المهموم والمختار في قراءة هذه الأشعار من مختلف الأقطار الإعصار .
- ✓منظومات تربوية للمدارس الابتدائية
- ✓سلم الوصول إلى ورقات الأصول .
- ✓نظم متن الاستعارات للسمرقندي .[1] (1)
- ✓ديوان الدموع السوداء .
- ✓المقتطفات المنظومة من مؤلفاتي المعلومة .
- ✓الفوائد المنثورة من المطالعات المبتورة .
- ✓المسائل الفقهية فتاوي .
- ✓رسالة النماذج الهامة لأمثلة المطابقة العامة .
- ✓شواهد الكلمات العامية من اللغة العربية الفصحى .
- ✓زهرات لغوية من الألفاظ الكتابية لعبد الرحمان الهمداني .[2]
- ✓رسالة الرموز .
- ✓هذه حياتي .

الإسلامي الأعلى، العدد 4، ربيع الأول 1248 / أفريل 2007، الجزائر، 2007

(1)إبراهيم رحماني ،المرجع السابق، ص: 48.

(2)أبو القاسم سعد الله، خارج السرب، المرجع السابق، ص: 260 .

- ✓الدرة المعارة لقراء الاستعارة .
- ✓تلخيص فقرات من كتاب الأصداء للمتوزي .
- ✓قصة الشيخ والعجوز وزواجه
- ✓رسالة الدرر الملكية في الدراري الفلكية .
- ✓مدخل في غريب القران.
- ✓حديث السامر من صروف أبن عامر .
- ✓رسالة الأذكار الشرعية .
- ✓رسالة الأمثال العامية .
- ✓مجموعة تاريخ سوف منذ القديم[1]

إنّ ما يحز في النفس أنّ آثار الشيخ لم تلق العناية الكافية ولم تجد من يقوم لنشرها وطبعها، فظلّت جلّها مخطوطة في الأوراق، ولم يُكتب لها الانتشار والإشعاع بعد .

وقد قاربت مكتبة الشيخ 600 كتاب، وهذا عند اطلاعنا على مكتبة الشيخ بجامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، في جناح مكتبة الشيوخ ، وقد أتلفت بعض مؤلفاته إثر حادث مرور في نقلها إلى قسنطينة، على حد قول ابنته وكما جاء في التعليق على قصيدة : تحبيس مكتبتي بالديوان المطبوع حديثا [2].

أخـــلاقـه وآراء العـلـمـاء فـيـه.

أولا:أخـــلاقـه:

إن الله إذا أحبّ عبدا اصطنعه لنفسه، وسخّره لعبادته واجتباه لمحبته، فشغل همّه به وجوارحه بخدمته، وميّزة بخصال وفضائل عن غيره، وهذا ما يتجلّى في شخصية شيخنا:"**محمد الطاهر التليلي**"، مفخرة من مفاخر منطقة **قمار** و**الوادي**، كان –رحمه الله– شخصية فذّة متعددة الجوانب فقد

(1)إبراهيم رحماني، المرجع السابق، ص: 51 .

(2) محمد الطاهر التليلي، الدموع السوداء، تح: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، ط:2011، ص:231

حباه الله تعالى سجايا وأخلاقا عالية قلّما تجتمع في غيره ،فعاش-رحمه الله- ورعا تقياً، زاهداً حيياً من العلماء الربانيين الذين تركوا الدنيا ومتاعها وراء ظهورهم، وآثروا ما عند الله تعالى، ناظرا للدنيا و سرعة زوالها وللآخرة وقدومها ودوامها ، وكل من عرف الشيخ- رحمه الله- يدرك أنّه ليس من النّاس الذين يعيشون على الأنساب، فقيمة الإنسان عنده تقوم على علمه وعمله لا على حسبه ونسبه [1]. كما عاش -رحمه الله ونور ضريحه- حميدا محمودا ،أرضى الحق وأهله وأسخط الباطل، فلا يخشى في الله لومة لائم.وما ميزه أيضا أنّه كان وقورا ربانيا قرآنيا، ناشرا للعلم باذلا للنّصح ،داعيا للخير خير الفرد والمجتمع والوطن .[2]

ومن صفاته الحميدة أيضا: الثبات على المبدأ و العقيدة فلا يساوم ولا يزايد في ذلك مهما كلفه الأمر، وما شهد عليه الصدق مع نفسه وعلى النّاس في أقواله وأعماله، فظاهره باطنه وباطنه ظاهره ،حريصا على ما ينفع وطنه و مواطنيه، وما يرفع من شأنهم ويسدد من خطاهم دينا ودنياكما وهبه الله بذاكرة أمينة وحافظة واعية وذكاء حاد، وبصيرة نافذة وعقلا راجحا ،وجدّية صارمة ، فهو لا يعرف العجز ولا الخمول. فقد عرفه القاصي والداني بالعلم الرفيع، والتواضع الجمّ الذي يذكرك بأصحاب السير العطرة .

ويذكر لنا أحد تلاميذه وهو:الشيخ **"محمود سعداني"**، بتواضعه مع الجميع خصوصا مع الأطفال الذين يدّرسهم ، رغم صرامته وجديته في التعليم. فيقول فيه:

«كان بمثابة الأب ومن أعز الناس لدي فهو شيخنا ماديا وروحيا أحبه الله وفي الله ولا أنساه ولن أنساه والشيء الذي أطلبه أن يتغمده الله برحمته ... كان شيخ علم وخلق ».[3]

ومن الفضائل والعطايا الربّانية التي رسخت في شخصه ، صدق الوعد والوفاء بالعهد ، فقد كلّفه ذلك ما كلّفه ،كما أنّه لا يحب أن يكون لأحد عليه يد أو فضل ، فشعاره الصبر على شدائد الحياة ، و راحته التعب مع العلم، فهو غير مائل مع لذّة المدح ولا ألم الذّم .

---

(1)ينظر، إبراهيم رحماني ، المرجع السابق ، ص:40.

(2)ينظر، مجموعة من المختصين، العلامة المصلح ،المرجع السابق، ص: 22.

(3)مقابلة مع الشيخ محمود سعداني ، في بيته الكائن بقمار، 28/ 12/ 2010 ، 11:00-12:30.

ومن الأخلاق والسجايا التي وهبها الله إياها ، أنّه لا يذكر أحدا بسوء في مجلسه وإن كان من ألد خصومه الكائدين له ، فهو لا يخالط النّاس إلا على حذر فلم يقحم نفسه في شؤون الآخرين ، كما أنّه لا يشكو لأحد ما هو فيه من ضيق وإقلال .[1]

ومن فضائل فقيدنا التي ارتضاها لنفسه ، إدراكه العميق لقيمة الوقت وأهميته في حياة الإنسان . وحرصه على استغلاله فيما ينفع أو يفيد .[2]

ثانيا:أقــوال العــلمــاء فــيه :

لقد احتل الشيخ **"محمد الطاهر التليلي"**- رحمه الله وطيّب ثراه- منزلة رفيعة بفضل أخلاقه الطيّبة ومثله الفاضلة ، المذكورة آنفا، التي ألزم بها نفسه و التزم بها في علاقته مع الآخرين .

فبرغم من عدم مخالطته للعلماء (إلا وهو طالب مستفيد) بسبب اعتزاله في بيته في أواخر عمره ، لكنّ هذا لم يمنعه من بعض الكتابات و الأقوال من قبل محبيه الذين عرفوا قدره وقالوا فيه كلمة الحق التي يجب أن تقال :

✓-قال **"أبو القاسم سعد الله** :« جمع الشيخ التليلي أطراف العلم بمعناه الواسع ...لذلك كان عميق المعرفة بالقرآن وعلومه ، والحديث الشريف وفروعه ، والفقه وأصوله ، وآراء المفسرين وكذلك كان واسع المعرفة بالأدب وفنونه والفرائض والفلك والتاريخ والتراجم».[3]

✓وقال أيضا:« لو كان المرحوم الشيخ **التليلي** ، قد عاش في عصر بعيد عنّا ، عصر ازدهار الحضارة العباسية أو الأندلسية ، لكان ربّما من كبار الموسوعيين الذين لا يشق لهم غبار فقد جمع الذكاء الخارق والذاكرة الحية والحافظة التي لا تعرف الكلّ ولا النّسيان إلى آخر لحظة في حياته .[4]

وفي موضع آخر يقول:« ومن الصعب في الوقت الحاضر، أن يحلّ محلّه عالم آخر، ومن ثمّة الشّعور بقداحة الخطب من غيابه ، رحمه الله.»[1]

---

(1)ينظر ، إعداد مجموعة من المختصين، العلامة المصلح،المرجع السابق ، ص: 21.

(2)المرجع نفسه، ص: 20 .

(3)أبو القاسم سعد الله ، خارج السرب، المرجع السابق ، ص: 161.

(4)محمد بن سعد طالبي ، المرجع السابق ، ص: 23.

✓كما يقول **سعد الله** أيضا: « وإذا كنا نسمع ونقرأ أن بعض العلماء القدامى قد ألّف موسوعات بلغت المجلدات الضخمة فظنّنا أن الشيخ **التليلي** كان في مقدوره أن يتفوق على بعضهم فيما أنجزوا من أعمال مع ابتكار وتجديد لو توفّر .له ما توفّر لهم من مكتبات»[2]

✓ويقول **إبراهيم مياسي** في الشيخ :« لقد كان الشيخ **التليلي** مثالا للأخلاق العالية والصدق في العمل ، وهو من أعلام الجزائر الذين دفنوا – للأسف- وهم أحياء ، حيث عاشوا وماتوا في الظل».[3]

ومن محبي الشيخ أيضا الأستاذ الشيخ **"محمد التجاني زغودة"**- رحمه الله- يقول:« ...هذا الرجل العظيم الذي قلّما يجود الزمان بمثله، فهو فريد عصره ومصره »[4] ويضيف قائلا:« ...من العلماء الربّانيين المجاهدين، لا يبالون بالدنيا أقبلت أو أدبرت ، سعادتهم في تبليغ الرسالة و أداء الأمانة نحو أمّتهم ووطنهم ودينهم» .[5]

(1)أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ، ص :163.

(2)محمد بن سعد طالبي، المرجع السابق ، ص: 23 .

(3)ينظر، إبراهيم رحماني، المرجع السابق ، ص:42 – 43 .

(4)إعداد مجموعة من المختصين ، العلامة المصلح،المرجع السابق، ص: 18.

(5)إبراهيم رحماني ، المرجع السابق ، ص: 07.

الـفصـل الثاني:

أدب السيرة عند الشيخ محمـد الطـاهـر التليلـي

المبحـــث الأول: السيـرة الذاتيـة في الأدب العـربي

المطلـــب الأول: مفهـــوم السيـــرة الذاتيـة

1- السيـرة في اللغـة:

بالرجوع إلى معاجم اللغة للبحث عن مدلول كلمة "سيرة" نجـد أنهـا قـد أفاضـت في تباينهـا، مشتقة من الفعل "سير" والفعل "سير" ومشتقاته له عدة معان منها:

جاء في "مجمل اللغة": (السير: مصدر) سار يسير سير، والسيرة: الطريقة و السيراء: ضرب مـن البرود.

والسير من الجلد، ويقال: سيرت الجل عن الدابة: ألقيته عنه، وثوب مسير: فيه خطوط[1].

وفي "لسان العرب": "السير" الذهاب، سار يسير سيرا ومسيرا، وتسايرا، وفي حـديث حذيفـة تساير عنه الغضب أي سار وزال ويقال: سار القوم يسيرون سيرا ومسيرا إذا امتد بهم السير في جهـة توجهوا لها، وسيَره من بلده أخرجه و أجلاه.

والسيرة الضرب من السير والسيرة: الكثير السير، والسيرة: السـنة وقـد سـارت وسرتهـا، قـال خالد بن زهير:

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها فأول راض سنـة مـن يسيـرها

والسيرة: الطريقة، يقال سار بهم سيرة حسنة والسـيرة: الهيئـة وفي التنزيـل العزيـز: « سـنعيدها سيرتها الأولى» وسير سيرة حدث أحاديث الأوائل.[2]

ويقال سير، تسييرا : جعله يسير، سيره عن موطنه: أخرجه منه، وسار المثل: جعله يسير بين الناس، وسير الثوب: جعل فيه خطوطا كالسيور، وسير الجل عن ظهر الدابة: ألقاه عنه.[3]

---

(1)أحمد بن فارس، مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 2، 1986، ج1، مادة "سير".

(2)ابن منظور ، لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ج6،مادة "سير" .

(3)خليل الجر، لاروس – المعجم العربي الحديث –، مكتبة لاروس، باريس، (د.ط)، 1987م، مادة "سير" .

2 – أما في الاصطلاح :

يعرف "قاموس أوكسفورد" السيرة الذاتية كما يلي: «كتابة الشخص لتاريخه وقصه حياته بقلمه. » وقد ورد في معجم مصطلحات الأدب أن السيرة الذاتية: «سرد متواصل يكتبه شخص ما عن حياته الماضية. »[1]، وجاء في المعجم الأدبي: «السيرة الذاتية كتاب يروي حياة المؤلف بقلمه وهو يختلف مادة ومنهجا عن المذكرات أو اليوميات. »[2]

وعن الوصول إلى تعريف جامع مانع للسيرة الذاتية، تقر تهاني عبد الفتاح شاكر بوجود صعوبة في ذلك، والسبب يعود إلى تداخل السيرة الذاتية بالأجناس الأدبية الأخرى، وعلى الأخص الرواية، المذكرات، المقال الأدبي، الرسائل، التأملات، الخاطرة ...الخ، وليس لحداثة نشأتها كما يرى "جورج ماي"[3]، وهو ما أدى بالدارسين إلى الاختلاف والتباين في مفهومها، فيرى "فيليب لوجون" "Philippe le jeune" الذي يعتبر حجة في السيرة الذاتية وجميع أشكال الكتابة الحميمية « أن السيرة الذاتية ممارسة فردية واجتماعية. »[4]، ونجده يرسم لها حدودا ضمن كتابه " Le pacte auto biographique" وهو الحد الذي يجعل السيرة الذاتية عبارة عن: «حكيٌّ نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته، بصفة خاصة »[5]إلا أنه يعود عن هذا التعريف محاولا إيجاد حد جديد لها « بواسطة سلسلات من التعارضات بين مختلف النصوص المقترحة للقراءة»[6] ويضع في سبيل ذلك قيودا صارمة للوصول

(1)نقلا عن: محمد يوسف، السيرة الذاتية وحقائقها في التاريخ،10جانفي 2011 م،الساعة 21:00 .www.iid-alraid.de.

(2)جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979، ص 143 .

(3)تهاني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي، المؤسسة العربية، للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2002 ، ص 9.

(4)ميشال دولون، " من أجل السيرة الذاتية "، ترجمة: محمد يحاتن، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو دار الأمل للطباعة والنشر، ماي 2006، العدد الأول، ص 250.

(5)فيليب لوجون، السيرة الذاتية – الميثاق والتاريخ الأدبي –، ترجمة: عمر حلي، المركز الثقافي العربي بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1994 ص 8.

(6)فيليب لوجون، السيرة الذاتية – الميثاق والتاريخ الأدبي –، ص 22.

إلى حد جامع مانع للسيرة الذاتية، ومع ذلك نجده يعترف في النهاية، أنه لابد من وجود نصوص يحار فيها الدارسون أهي رواية؟ أم سيرة ذاتية؟

ولعلَ أكثر الدارسين احتراسا من الوقوع بالخلط أو النقص هم الذين أحجموا عن وضع تعريف للسيرة الذاتية، بحيث يقول إبراهيم خليل: «والحق أن واضعي النظريات الأدبية منذ أرسطو حتى يومنا هذا، باستثناء محاولات يسيرة ... لا نجد منهم من يهتم بتحديد هذا النوع الأدبي. »[1] فنجد "جورج ماي" قد أحجم عن تقديم تعريف للسيرة الذاتية رغم اهتمامه بهذا الفن في كتابه "السيرة الذاتية".

في حين نجد العديد من الباحثين العرب قد وضعوا مفاهيم متباينة لهذا الفن، فنجد إحسان عباس يرى: «أن السيرة الذاتية ليست حديثا ساذجا عن النفس ولا هي تدوين للمفاخر والمآثر. » وفرق بين المتحدث عن نفسه، وكاتب السيرة الذاتية: «فالأول لا يزال كلما أمعن في تيار الحديث يثير شكنا والثاني يستخرج الثقة الممنوحة له منّا. »[2]

وتعتبر "أمل التميمي" السيرة الذاتية بمثابة: «تسجيل كتابي أو شفهي يدون كتابة يقوم فيه شخص واقعي بشكل معلن، في عمر ناضج نسبيا، باستعادة موقف أو مواقف من خبراته وأفعاله وتفاعلاته، وأحاسيسه مرتبطة بدور فاعل له في الزمان والمكان اللذين يعيش فيهما، على أن تكون بواعث هذه الكتابة هي السبيل في تنظيم الذكريات وتحديد نوعية الكتابة. »[3]

أما "يمنى العيد" ترى أن السيرة الذاتية: « عمل أدبي قد يكون رواية أو قصيدة أو مقالة فلسفية يعرض فيها المؤلف أفكاره ويصور إحساساته بشكل ضمني أو صريح. »وهنا الكاتبة

(1)تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص 10.

(2)إحسان عباس ، فن السيرة الذاتية ، دار صادر ، بيروت ، دار الشروق ، عمان ، ط1 ، 1996 ، ص91- 93 .

(3)أمل التميمي ، السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط1 ، 2005، ص 204 .

توظف الشعر في عرض السيرة الذاتية وهذا ما أغفله كثير من الكتاب الذين حددوا النثر وسيلة للترجمة الذاتية أمثال "فيليب لوجون" في تعريفه السابق.[1]

أما "يحي عبد الدايم" يقدم تعريفا يشترط فيه أن يكون للسيرة بناء فني متماسك إذ يقول: «الترجمة الذاتية الفنية هي التي يصوغها صاحبها في صورة مترابطة على أساس من الوحدة والاتساق في البناء والروح،...وفي أسلوب أدبي قادر على أن ينقل إلينا محتوى وافيا كاملا عن تاريخه الشخصي، على نحو موجز حافل بالتجارب والخبرات الممنوعة الخصبة، وهذا الأسلوب يقوم على جمال العرض، وحسن التقسيم وعذوبة العبارة وحلاوة النص الأدبي، وبث الحياة والحركة في تصوير الوقائع والشخصيات وفيما يتمثله من حواره مستعينا بعناصر ضئيلة من الخيال لربط أجزاء عمله، حتى تبدو ترجمته الذاتية في صورة متماسكة محكمة، على ألا يسترسل مع التخيل والتصور حتى لا ينأى عن الترجمة الذاتية. »[2]

ومن هذا التعريف نلاحظ أن "يحي إبراهيم عبد الدايم" أسهب و أطال في وصف الأسلوب الأدبي أكثر من وصف البناء الفني للسيرة الذاتية، رغم أن الأسلوب الأدبي غير مقصور الاستعمال على السيرة الذاتية بل يحتاجه جميع الفنون الأدبية ولعلَ السمة التي ذكرها "يحيى عبد الدايم" وتقتصر على السيرة الذاتية وهي الخيال المقيد، وذلك لأن السيرة الذاتية لا تسترسل مع التخيل فإنه يدخل في إطار عدم الموضوعية وعدم صدق العمل وبالتالي فإنه يتداخل مع الفنون الأدبية الأخرى كالرواية أو القصة فلا تعد من قبيل السيرة الذاتية التي تعد من أكثر خصائصها الصدق لأنه يعبر عن ما عاشه فعلا.[3]

(1)نقلا عن: سامر صدقي محمد موسى، رواية السيرة الذاتية في أدب توفيق الحكيم، مذكرة نيل شهادة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية فلسطين، 2010، ص 09 -11 .

(2)يحي إبراهيم عبد الدايم ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي ، مكتبة النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، (د.ط) ، (د ت) ص 10.

(3)تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص 12، 13 .

وذهب "أنيس المقدسي" إلى أن السيرة الذاتية: « نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي والإمتاع القصصي ويراد به درس حياة فرد من الأفراد ورسم صورة دقيقة لشخصه. »[1]

والسيرة الذاتية هي أيضا: « تعريف بفصول في حياة المفكر أو الأديب لم يكن بالإمكان إدراكها والوصول إليها في غياب كتابة السيرة الذاتية ... ثم إنها إضاءة لما يمكن أن يكون معتما في المسيرة الفكرية أو الإبداعية مما لا يقوله النص ولكن يرد كاعتراف وشهادة ضمن السيرة الذاتية... وهي ثالثا بمثابة استكمال للجهود السابقة ... »[2]

أما "عبد العزيز شرف" يرى أن السيرة الذاتية: « تعني حرفيا ترجمة "حياة إنسان" كما يراها هو ورأى فيها تعبيرا عن "النشاط الذهني" والنشاط العملي في حياة الإنسان من خلال نشاط لغوي الأمر الذي يجعل من السيرة قصة حياة نرويها للآخرين. »[3] ويقول: «إن حياة الإنسان قد تبدو له مثل قصة يرويها للآخرين وكأن من طبيعة الحياة أن تتخذ طابع الرواية المسرودة أو القابلة للسرد. ».

ثمة إذن تفاوت وتباين يمتاز به مفهوم السيرة الذاتية، وهو ما يسمح أن نعدَ هذا الجنس مرنا، ومراوغا، لما يكتنف المصطلح من غموض، و هذا بادٍ من خلال المفاهيم والتعريفات السابقة و كذلك لتعدد الأشكال الأدبية التي توظفها، موضوعاتها والعناصر التي تستعيرها من أجناس أدبية أخرى، كالرواية، واليوميات، والرسائل، والمذكرات، والذكريات، والحوارات الشخصية والمقالات وغيرها. وهذا تداخل يجعل النص كرنفالا من الأجناس المتخللة التي تسهم في خلق بنية جديدة مستقلة عن تلك الأجناس.[4]

وربما كان "فيليب لوجون" من أكثر الباحثين تحريا للدقة في صياغة تعريفه للسيرة الذاتية عندما عرفها بقوله: «حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص وذلك عندما يركز

(1)أنيس المقدسي ، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة ، دار العلم للملايين ، لبنان ، ط3 ، 1980 ، ص 547 .

(2)صدوق نور الدين ، سير المفكرين الذاتية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط1 ، 2000 ، ص32 .

(3)عبد العزيز شرف ، أدب السيرة الذاتية ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لوجمان – مصر ، (د. ط) ، 1992 ، ص 28 .

(4)سامر صدقي محمد موسى ، رواية السيرة الذاتية في أدب توفيق الحكيم ، ص 11 .

على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته، بصفة خاصة. »[1] حيث بين شكل اللغة هو سرد لحياة صاحب السيرة، كما بين موضوع السيرة، وهو حياة الكاتب بصفة خاصة وكذلك بين وجوب التطابق بين المؤلف والراوي والشخصية الرئيسية في السيرة وقد لاحظ "لوجون" أننا في بعض الأعمال الأدبية لا نستطيع أن نتأكد من مسألة التطابق، وذلك عندما لا يحتوي العمل الأدبي على عنوان فرعي بين نوعه هل هو سيرة ذاتية؟ أم رواية ولا يتضمن أي إشارة تبين جنسه الأدبي، وفي الوقت نفسه لا يذكر المؤلف اسم الشخصية الرئيسية في العمل، ففي هذه الحالة لا نستطيع أن نصنف العمل الأدبي هل هو رواية؟ أم سيرة ذاتية؟

ولكي نتلافى هذه الإشكالية، التي يقع بسببها الخلط بين السيرة الذاتية والرواية ترى "تهاني عبد الفتاح شاكر" أن نشترط في تعريف السيرة الذاتية، أن يصرح الكاتب فيها بأسلوب مباشر أو غير مباشر، بأن ما يكتبه هو سيرة ذاتية، و إن لم يصرح بذلك من الأفضل أن نتعامل مع العمل الأدبي على أنه عمل تخيلي أي رواية، لأننا لا نستطيع أن نتعامل مع المواقف والأحداث التي ترد فيه على أنها حقائق ما دام المؤلف لم يصرح بذلك.

وهناك إشكالية أخرى تجدها "تهاني عبد الفتاح شاكر" في تعريف "لوجون" وهي أنه بين شكل الكلام، وهو أنه نثر استعادي، أي سرد لحياة المؤلف الماضية لكنه لم يجعل هذا السرد مشروطا بأي قيد ينظمه في بناء فني، ومن الطبيعي أنه لو تحققت جميع شروط السيرة الذاتية، وتم سرد الأحداث فيها بطريقة عشوائية لا يربط بينها خيط التسلسل الفني فإننا لا نستطيع أن نعد العمل من قبيل السير الذاتية .

وفي الأخير تقترح "تهاني عبد الفتاح شاكر" تعريفا للسيرة الذاتية يعتمد على تعريف "لوجون" مع بعض التعديلات وهو إنها: « حكي استعادي نثري يتسم بالتماسك والتسلسل في سرد الأحداث يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ

(1)فيليب لوجون ، السيرة الذاتية – الميثاق والتاريخ الأدبي ، ص 22 .

شخصيته بصفة خاصة، ويشترط فيه أن يصرح الكاتب بأسلوب مباشر أو غير مباشر أن ما يكتبه هو سير ذاتية»

وفي هذا التعريف نستطيع أن نستخلص حدود السيرة الذاتية:

- أن يكون حكي نثري.
- يتسم بالتماسك أو التسلسل الزمني.
- الحكي يقوم به المؤلف وبشكل واقعي.
- التركيز على إبراز أحداث حياته ، التي يمكن أن يستخلص العبر منها.
- أن يصرح الكاتب بشكل مباشر أو غير مباشر أنها سيرة ذاتية.[1]

وتأسيسا على ما تقدم من مفاهيم وتعريفات للسيرة الذاتية، يمكن القول إن تعدد التعريفات لا يعني بالضرورة اختلافها في كل التفاصيل، فهناك نقاط التقاء تؤكد أن فن السيرة الذاتية له أصول، وقواعد لا يمكن تجاوزها، فالتعريفات السابقة ترى في السيرة الذاتية سردا متتابعا لحياة صاحبها، وعضا للحقائق، وكشفا عن تفاصيل لم تخرج إلى العلن من قبل، وإظهارا لدهاليز النفس، وتعاريج الفكر ومنحنيات الصراع، وزوايا الرؤية.

فالسيرة الذاتية فن يملك ملامح تجعله منضويا تحت لواء الفنون الأدبية ومن أهم تلك الملامح " أن يكون لها بناء مرسوم واضح ، يستطيع كاتبها من خلاله أن يرتب الأحداث والمواقف والشخصيات التي مرت به، ويصوغها صياغة أدبية محكمة، بعد أن ينحي جانبا كثيرا من التفصيلات والدقائق التي استعادتها ذاكرته، وأفادها من رجوعه إلى ما قد يكون لديه من يوميات ومدونات تعينه على تمثل الحقيقة الماضية.[2] .

(1)تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص 15، 16 .

(2)سامر صدقي محمد موسى ، رواية السيرة الذاتية في أدب توفيق الحكيم ، ص 11 ،12 .

3 – تداخل السيرة الذاتية مع الأجناس الأدبية الأخرى :

تعد السيرة الذاتية فن زئبقي يصعب ضبطه، أو تصنيفه، وهذا ناجم عن تعدد أشكاله وتنوع أساليبه، فهو فن يرفض التجنيس، ويستفيد من الأجناس الأدبية الأخرى، ليصبح التداخل أمرا بديهيا.

وتعد قضية الحدود الفاصلة بين السيرة الذاتية، وتلك الأجناس التي تتداخل معها أمرا تختلف رؤية النقاد حوله، فمنهم من ذهب إلى ضرورة حضور تلك الفواصل، ومنهم من قال بضرورة القفز عن تلك الفواصل، معتمدين في ذلك على مقولة النص المفتوح، وهذا من شأنه أن يجعل بعض الدارسين يخلط بين جنس و آخر لعدم وضوح الرؤية و اختفاء تلك الفواصل في فضاء النص، وبما أن أعمال الكاتب تعتمد غالبا على حياته، كانت السيرة الذاتية المرجع الأساسي للكتابة، ومن ثمَ كان التداخل بينها وبين أجناس أخرى كالرواية.[1]

أ- الرواية :

تعد الرواية فنا أدبيا يتسم بالمرونة والاتساع والقدرة على استيعاب أجناس عديدة دون تشويه عناصر العمل الروائي، أو إضعافها، فهي فن سردي يستدعي فنا سرديا آخر هو القصة القصيرة، كما يستدعي ضروبا من فنون الحكي القديمة التي تنهض على السرد كالمقامة والحكاية الشعبية، والأسطورة، والرواية هي أكثر الأجناس الأدبية قربا من السيرة الذاتية وتداخلا معها والطبيعة السردية هي التي تؤسس لمساحة تلاق بين الرواية والسيرة الذاتية وأن هناك مساحة تلاق بين السيرة الذاتية والرواية، لابد من وجود محطات يتباين فيها هذان الجنسان ويفترقان، فكل جنس أدبي يملك من الفواصل والحدود ما يعين الباحث على تصنيفه وتجنيسه.[2].

(1)المرجع السابق ، ص 12،13 .

(2)سامر صدقي محمد موسى ، رواية السيرة الذاتية في أدب توفيق الحكيم ، ص 13،14 .

والميثاق كما يرى "لوجون" حد فاصل بين الجنسين، فميثاق السيرة الذاتية يظهر تطابق بين المؤلف، والسارد، والشخصية، أما الميثاق الروائي فلا يحقق هذا التطابق، فالمؤلف والشخصية لا يحملان الاسم نفسه.[1]

والخيال هو أكثر العناصر تحديدا لهذين الجنسين، فالسيرة الذاتية تعتمد على سرد أحداث وعرض مواقف عاشها الكاتب، وهذا لأن الخيال لن يضطلع بدور رئيسي- في النص وحضوره يقتصر على صياغة الحقائق، لا على اختلاف الوقائع، وافتعال المواقف، فكاتب السيرة الذاتية يعتمد على الذاكرة واستبطان الذات، والبوح النفسي، مصورا انفعالاته ومشاعره الدفينة إزاء هذه المواقف التي تصور حياته، أما كاتب الرواية فهو يعتمد على الخيال.[2]

ب – السيرة الذاتية الروائية :

تعد السيرة الذاتية الروائية فنا مستحدثا في الأدب العربي، حيث استعاره أدباؤنا من الغرب مع بداية القرن التاسع عشر بفعل التبادل الثقافي، ويقترب هذا الجنس الأدبي من السيرة الذاتية من حيث المضمون، فكلاهما يعرض حياة صاحبه، وفكره، وآرائه، فتأتي الأحداث متتابعة من بداية حياة صاحبها إلى لحظة كتابة السيرة، التي يوظف فيها الكاتب العناصر الروائية، التي تمتاز بقدرة أكبر على ترجمة الأحداث وصياغتها فنيا، ومن العناصر الروائية الفنية التي يلجأ إليها الحوار والخيال وإن حضوره شحيحا ليسهم في تجسيد الأحداث الحقيقية، كما يلجأ كاتب السيرة الذاتية الروائية إلى استعارة القالب الروائي، فهي "سيرة تنضبط وفق مقاييس الرواية." والأسلوب الذي يلجأ إليه الكاتب هو الفاصل بينهما ، ففي السيرة الذاتية يلجأ الكاتب إلى الأسلوب المباشر لعرض الأحداث، أما السيرة الذاتية الروائية فيسرد الكاتب أحداث حياته في قالب روائي اعتمادا على السرد والتصوير واستخدام الخيال بصفة محدودة.[3]

(1)فيليب لوجون ، السيرة الذاتية – الميثاق والتاريخ الأدبي ، ص 40 .

(2)سامر صدقي محمد موسى ، المرجع السابق ، ص 15 .

(3)المرجع نفسه ، ص 16 ،17 .

ج – رواية السيرة الذاتية :

ليس ممكنا أن يصل الأديب العربي إلى التعري التام ضمن ما يعيشه من هـواجس وضـوابط، إلا في القليل النادر كما فعل "محمد شكري" في سيرته "الخبز الحـافي"، ولأن تعريـة الـنفس أمـر يتجنبـه أدباؤنا فقد وجدوا في رواية السيرة الذاتية متنفسا لهم وسبيلا يقيهم ألسنة المتقولين وأقوال الملتسـنين فرواية السيرة الذاتية جنس أدبي مرن يستطيع الكاتب مـن خلالـه التخفـي وراء شخصـيات مختلفـة وأسماء مستعارة، على الرغم من عرضه صفحات من حياته معتمدا على المراوغة، لأن أهـم مـا يحقـق رواية السيرة الذاتية عملية الإضافة والخلـق التـي تفـرض مـزج الواقـع بشيء مـن الخيـال، وربـط الأحـداث الرئيسـية الواقعـة، بأحـداث جانبيـة مخترعـة، وتجليـة الشخصـيات المحوريـة الكائنـة بشخصيات ثانوية مولدة، كل هذا بالإضـافة إلى مـا قـد يكـون مـن اخـتراع أسـماء جديـدة لـبعض الشخصيات، أو ذكر صفات توهم بالمغايرة بينهم من جانب وبين المؤلف ومن شـاركوه في أحـداث تجربته من جانب آخر وهذه أمور محظور توظيفها في السيرة الذاتية.

وإن من أهم ما يباعد بين رواية السيرة الذاتية المعتمدة على حياة صـاحبها وبـين السـيرة الذاتيـة "اختيار الأحداث اختيارا فنيا صالحا للتأليف الروائي، وعـدم حشـد تلـك الأحـداث كأنهـا تـاريخ يدوَن، بل عرضها كعناصر روائية تنمو وتتطور لكي تصل إلى نهاية معينة"، ومن الفوارق بين السيرة الذاتية، ورواية السيرة الذاتية أن الأولى قص لحياة صاحبها، يتذكرها ويكتبها، أما الثانية فهـي عمـل فني مختَل ينهض على أحداث ووقائع من حياة صاحبه.[1]

وهناك أشكال أدبية أخرى ترتبط بالسيرة الذاتية ارتباطا مباشرا، يوظفها الكاتب ويسـتعين بهـا خلال تدوينه سيرته، ومن تلك الألوان:

الرسائل التي توضح حياة صاحبها أو تكشف عن أجزاء مجهولة منها، أو عن حالات نفسـية أو مواقف انفعال، أو تتبع أحاسيسه في مرحلة من حياته، إلا أن الرسائل تبتعد عـن التعمـق والتحليـل والتعرض إلى صغائر الأمور، ودقائقها.

(1)سامر صدقي محمد موسى ، المرجع السابق ، ص 17–20 .

واليوميات التي تعد سجلا للتجربة اليومية، والحفاظ على حياة المرء بالذات، دون النظر إلى التطور الذي يحاكي نموذجا معينا، أو التواصل القصصي، أو الحركة الدرامية نحو ذروة ما، ويستطيع الكاتب من خلالها أن يكشف عن تفاصيل دقيقة ويلجأ إلى التعمق والتحليل.

والمذكرات التي تعد لونا أدبيا يسجَل الكاتب حوادث حياته الماضية في مكان أو ظرف ما[1] وهي شكل من الصعب إن لم يكن من المستحيل فصله منطقيا عن السيرة الذاتية ... فكاتب المذكرات عادة هو شخص لعب دورا مميزا في التاريخ، أو أتيحت له الفرصة لكي يشاهد عن كثب التاريخ في صبغة.[2]

وفي المذكرات لا يلجأ الكاتب إلى التحليل والتعمق، ولا يدوَن صغائر الأحداث، إنما يعرض أهم الأحداث التي مرت به ، معتمدا على تسلسل الأيام. « ويهتم بتصوير الأحداث التاريخية أكثر من اهتمامه بتصوير واقعه الذاتي.»[3]

والمفكرة اليومية التي يلجأ فيها الكاتب لتسجيل الأحداث ترتبط به أكثر من ارتباطها بالمجتمع فهي تركز إلى حد كبير على الحياة الداخلية للكاتب وتستبعد غالبا أحلام اليقظة، أو تأملات الذاكرة وخيال المؤلف.[4]

والاعترافات التي ينصرف أكثرها إلى معالجة ما يشغل نفس الإنسان من مسائل روحية وفكرية[5] وتمتاز الاعترافات أكثر من غيرها بالصدق والصراحة والاعتراف بالعيوب الشخصية، والخروج عن المألوف.[6]

(1)سامر صدقي محمد موسى ، رواية السيرة الذاتية في أدب توفيق الحكيم، ص21،20 .

(2)عبد العزيز شرف ، أدب السيرة الذاتية ، ص38 .

(3)يحي إبراهيم عبد الدايم ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، ص 3 .

(4)عبد العزيز شرف ، المرجع السابق ، ص44 .

(5)يحي إبراهيم عبد الدايم ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، ص 36 .

(6)سامر صدقي محمد موسى ، رواية السيرة الذاتية في أدب توفيق الحكيم ، ص22 .

المطلب الثاني :نشأة السيرة الذاتية وتطورها

1- نشأتها:

إن الاختلاف حول الزمن الذي نشأت فيه السيرة الذاتية كبير جدا، إلى درجة أن بعض الباحثين يعدها من أقدم الفنون الأدبية نشأة، والبعض الآخر يرى أنها من أحدث الأجناس الأدبية.

وهذا الاختلاف يرجع في الدرجة الأولى إلى الاختلاف حول مفهوم السيرة الذاتية لدى الباحثين، والذين رأوا أنها من أقدم الفنون الأدبية، أرجعوا نشأتها إلى الحضارات المصرية القديمة، فنجد "ول وايريلديورانت" يرى أن هناك برديات من الأدب المصري القديم، يرجع تاريخها إلى عام 2000 ق.م، يحتوي بعض منها على قطع من السير الذاتية، ومنها قصة "ملاح" تحطمت سفينته في عرض البحر، فهي «قطعة من تجربة ذاتية تفيض حياة وشعورا ».

ويرى "ديورانت" أن السومريين، ثم البابليين اعتنوا بالحديث عن أنفسهم ولكن في سياق التاريخ وليس في سياق القصص مثل المصريين .[1]

ويبين "شوقي ضيف" أن أقدم صور السيرة الذاتية، هي ما كان ينقشه القدماء على شواهد قبورهم ثم يشير إلى اشتهار الفراعنة بهذه النقوش، إذ يقول: « واشتهر المصريون في عصور الفراعنة بكثرة ما نقشوا على قبورهم وأهراماتهم، وفي معابدهم وهياكلهم من تواريخهم وأفعالهم وكانت تسري هذه الروح في الأمم القديمة من حولهم»[2]

وإذا كان "شوقي ضيف" يرى أن بذور السيرة الذاتية نمت في مصر ثم امتدت إلى الحضارات المجاورة فإن "ماهر حسن فهمي" يرى أن جذورها كانت متشعبة في الحضارات المصرية والبابلية والهلينية على حد السواء.[3]

و يعترف "فيليب لوجون" أن بذور السيرة الذاتية قديمة جدا في الحضارات الإنسانية. [4]

---

(1)تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص27،28 .

(2)شوقي ضيف ، الترجمة الشخصية ، دار المعارف ، مصر ، ط3 ، 1987 ، ص7.

(3)تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص28 .

(4)فيليب لوجون ، السيرة الذاتية – الميثاق والتاريخ ، ص73 .

أما الذين قالوا إن السيرة الذاتية حديثة النشأة فمن أشهرهم "جورج ماي" الذي يـؤرخ لنشـأة السيرة الذاتية باعترافات "جان جاك روسـو"، فهـو لا ينكـر وجـود اعترافـات سـابقة لاعترافـات "روسو" التي كتبها في نهاية القرن الثامن عشر، إلا أنه يرى أنها هي النموذج الذي أصـبح يحتـذى في مجال السير الذاتية.

أما "وليم سبينج مان" يرى أن اعترافات "القديس أوغسطين" شـكلت الإرهاصـات الأولى في نشأة ثلاثة من أشكال السيرة الذاتية، وهي الأشكال التاريخية ، والفلسفية والشعرية .

ويرى "عبد العزيز شرف" أن « اعترافات القـديس أوغسـطين (354-430م) تسـتحق لقـب أقدم سيرة ذاتية باقية »[1]

ونسـتطيع أن نلاحـظ أن اعترافـات "القـديس أوغسـطين" سـبقت اعترافـات "روسـو" (1712-1778م) بقرون عدة، لذلك لا يمكن الأخذ برأي "جورج مـاي" وذلـك لأن حجتـه في إثبات رأيه واهية "فجورج ماي" يرى أن بداية قبول هذا الجنس الأدبي جـاء بعـد اعترافـات "جـان جاك روسو" لذلك يجب ربط نشأته بها.[2]

ونجد أن "شكري المبخوت" يتعلل أحيانا في أن للسيرة الذاتية بناء فنيا خاصـا، وهـذا البنـاء لم يتحقق قبل اعترافات "روسو" ولكنه في الواقع عندما يقول ذلك لا يكون دقيقا، لأننـا إذا أردنـا أن نتعامل مع السيرة الذاتية بمعناها الدقيق فإنها تختلف عن الاعترافات، فالاعترافات يريد صاحبها أن يتحدث بالدرجة الأولى عن أخطائه وذنوبه، أما السيرة الذاتيـة فهـي تهـتم بحيـاة الإنسـان في جميـع جوانبها، وبذلك يصبح من الأدق أن نخرج اعترافات "أوغسـطين" و "روسـو" مـن بـاب السـيرة الذاتية.

ولكننا نتعامل مع هـذه الأعـمال بهـذه الطريقـة، إذ أننـا نسـتطيع أن نعـدها خطـوات في سـبيل الوصول إلى السيرة الذاتية بشكلها المعاصر.

(1)عبد العزيز شرف ، أدب السيرة الذاتية ، ص 39 .

(2)تهاني عبد الفتاح شاكر ، المرجع السابق ، ص30 .

وأوردت الموسوعة البريطانية من: «أن السيرة الذاتية بدأ ظهورها في عصر النهضة وتحديدا في القرن الخامس عشر ... على يد امرأة خاملة الذكر وهي السيدة "مارغري كامب" »، وبعدها توالت السيرة الذاتية في الأدب الانجليزي والايطالي في القرنين السادس عشر والسابع عشر. « وفي نهاية القرن الثامن عشر أي حوالي 1797م ظهر لأول مرة مصطلح السيرة الذاتية. »

ولعلَ ما أدى بعض الباحثين بالقول بحداثة السيرة الذاتية هو حداثة ظهور المصطلح الخاص بها ولكن عدم وجود مصطلح السيرة الذاتية في المرحلة المبكرة من نشأتها، لا يدل على وجود أنماط منها أو أصول لها.[1]

أما في الأدب العربي، فان "جورج ماي" و"شكري المبخوت" لا يعترفان بوجود أصول لهذا الفن في الأدب العربي، إذ أن "شكري المبخوت" ينقل قول "جورج ماي" بأن السيرة الذاتية شكل من أشكال التعبير خاص بالثقافة الغربية، ويعلق بقوله: « وكل من يكتب سيرة ذاتية من غير الغربيين إنما هو مقلد لهم، متأثر بثقافتهم. »، إلا أن هذا الكلام بعيد عن الدقة والدراسة الموضوعية، لأن أصول السيرة الذاتية موجودة في الأدب العربي منذ القرن الأوَل الهجري، السَابع الميلادي، ولو أننا أخذنا بما جاء في الموسوعة البريطانية، من أن أول نماذج السيرة الذاتية، ظهر في الغرب في القرن الخامس عشر الميلادي ، فإننا سنتوصل إلى أنها نشأت عند العرب قبل الغرب، حسب رأي "لويس بوزيه" الذي يقول: « ربما كان كتاب الاعتبار "لأسامة بن منقذ" في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وكتاب التعريف "لابن خلدون" في أواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي أقرب أثرين في القرون الوسطى إلى الفن المذكور بمعناه الاصطلاحي المحصور. » ومن الذين قالوا بهذا الرأي أيضا "محمد عبد الغني حسن" الذي يقول: «وظلت أوربا عقيما في كتابة التراجم منذ عصور الظلام، التي خيمت عليها في القرون الوسطى، على حين أخذ التاريخ الإسلامي يأخذ مكانه في الوجود وأخذت التراجم تظهر منذ القرن الثاني للهجرة... »[2].

(1)تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص30،31 .

(2)محمد عبد الغني حسن ، التراجم والسير ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، 1969 ، ص11 .

وتميل "تهاني شاكر" إلى الرأي الذي يرى بأن السيرة الذاتية نشأت عند العرب قبل الغرب، لكنها لا تنكر بتطورها في العصر الحديث عند الغرب قبل العرب.

2- تطورها في الأدب الغربي:

يذهب بعض النقاد إلى أن هذا الفن بالمفهوم الحديث لم يكن له وجود في الأدب الغربي قبل العام 1600م، ثم ظهرت بعد ذلك التاريخ واحدة بعد الأخرى، في فترات طويلة إلى أن كانت سنة 1800م، حيث أخذ الكتاب يتوخون ما يشبه السنن الأدبية في كتابتها، دون أن يبلغوا مبلغ الطريقة الجديدة التي يمكن أن يقال معها إنهم اصطنعوا جنسا جديدا من الأجناس الأدبية.[1]

فكثيرا ما كان الكتَاب في الزمن القديم لم يكشفون عن قدر كبير من أنفسهم، كما فعل "هوراس" مثلا في أشعاره، و "شيشرون" في رسائله، ولكن ليست هناك، بمعنى الكلمة أمثلة لسير ذاتية باقية من الأدب الكلاسيكي، وعلى الرغم من أن تراثنا محتفظا به من الكتابات عن السير الذاتية لم يبدأ إلا في وقت متأخر جدا، فإن اعترافات "القديس أوغسطين" (354-430م) تستحق لقب أقدم سيرة ذاتية باقية وأشهرها في العصور الوسطى، وتعتبر قمة الاعترافات الدينية وقد حذا حذوها من كتب بعده ، وهي إن كتبت حوالي عام 399م لا تزال حتى اليوم من أفضل السير الذاتية، نظرا لما احتوته من صراحة وصدق، وقدرة على الاستبطان والتعري عن النفس والأصالة، فهي تتحدث بتفصيل نابض بالحياة، ويخلب الألباب، عن الحياة الباكرة "للقديس أوغسطين"، ومحبته لأمه، وكفاحه ضد الشهوات والخطيئة وبحثه عن الحقيقة الفلسفية، و اعتناقه المسيحية عام 387م.[2]

و قد كانت الاعترافات الدينية في العصور الوسطى، تعنى عناية شديدة بتصوير تجربة الكشف الصوفي، وهي تجربة تشبه تجربة الإلهام لدى الفنان، حافلة بالصدق، لأن الصوفي ينقل لنا تجربة ذاتية تتصل بعالم غير مألوف لنا في لحظات فجائية يخرج فيها عن شعوره الواعي، محلقا بعيدا عن عالمنا

(1) يحي إبراهيم عبد الدايم ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، ص12 .

(2) عبد العزيز شرف ، أدب السيرة الذاتية ، ص39 .

الأرضي إلى عالم سماوي، ثم لا يلبث وعيه أن يرتد إليه، فيصور مواجيده وما شاهده في تجربته الكشفية، تصويرا صادقا.

والأدب الغربي في العصور الوسطى خلف لنا أربعة آثار هامة يعدها النقاد أقرب الكتابات الذاتية إلى التراجم الذاتية في مفهومها الحديث، ونعنى بها ما كتبه "أبيلارد" و"ولشمان جيرالدوسكامبرونسيس" ثم ما كتبه "بترارك" الذي يطلق عليه المتحضر الأول وما كتبه الإمبراطور "تشارلز الرابع".[1]

ويرى بعض الباحثين أن كتاب "حملة عسكرية" "لإكزينوفون" يحتوي على بعض عناصر السيرة الذاتية، ولكنه في الحقيقة قصة تروي حملة جيش إغريقي على بلاد فارس عام 401ق.م و"تعليقات قيصر" سيرة ذاتية، وإن كانت تفسر وتبرز حملاته على بلاد الغال بين عامي (58-55ق.م).

ويمثل العصر الروماني في الجانب الآخر انطلاقة حقيقية لفن السيرة الذاتية، وذلك أن المناخ الذي كان سائدا في ذلك العصر هو مناخ الوعي بالذات، ولذلك أنتج عددا من السير الذاتية المتميزة وشهد القرن التاسع عشر ظهور نماذج في العديد من البلدان .[2]

ففي الأدب الانجليزي: تقف الصدارة لكل من "وليام بتلييتس" (1938م) و "جورج مور" الذي كتب اعترافات شاب و "مذكرات عن حياته المنسية" و"سلاما ووداعا" التي اتخذ لها القالب الروائي.

وفي الأدب الفرنسي: نجد اعترافات "روسو"، و"كتاب صديقي" "لأناتول فرانس" و"يوميات إميل" و "يوميات أندريه جيد"، ثم "يوميات مارسيل جابريل".

وفي الأدب الألماني: من معالمها "يوميات كير كجارد"، و"رسائل هيجل" و"رسائل غوته"ثم "الشعر والحقيقة لغوته" أيضا و "لاينشتاين" "سيرة ذاتية مجملة".

(1)يحي إبراهيم عبد الدايم ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، ص13، 14 .

(2)عبد العزيز شرف ، أدب السيرة الذاتية ، ص29 .

وفي الأدب الروسي: نجد "اعترافات تولستوي"، و"يوميات ماري بشكير تسيف" و"الحلم الواقع" "لنيقولاس برديائيف".[1]

وفي الأدب الأمريكي: نجد "ثورو".[2]

وأول من قال باستخدام "السير" بوجه عام في تعليم التاريخ للمبتدئين كان "جان جاك روسو"، وكانت "السير" كنوع مستقل من الأدب جديدة نسبيا في ذلك الوقت، ولا شك أن السير قد ألفت في العصور القديمة والعصور الوسطى، ويبدوا أن أول ظهور لكلمة "سيرة" في اللغة الانجليزية كان على يد "درادين" وفي سنة (1683م) ليصف "الحيوات المتقابلة" "لبلوتارك".

وقد كانت هذه "السير" إما قصصا متعلقة بتلك العصور، كتبت على نمط التواريخ العامة، وإما وسيلة للإشادة بصفات خلقية، أو التحذير من رذيلة ...، وليس بقصد التصوير الأمين لحياة الرجل .

و"روسو" كرائد من روَاد الاعترافات والسير الذاتية، وحينما أوحى إليه أحد الناشرين أن يكتب تاريخ حياته، أعجبته الفكرة على الفور وبدأ في كتابة الاعترافات سنة 1765م واستمر يكتبها في تلك السنوات التي عاش فيها عيشة المرتحل.

ويحتوي كتاب "الاعترافات"، الذي لم ينشر إلا بعد موت "روسو" وأثار ضجة في أول الأمر على قسمين وكل قسم يحتوي على ستة كتب:

الأول: من ميلاد "روسو" حتى تاريخ سفره إلى باريس (1712-1740م) وهذا القسم يفيض بالذكريات الساحرة لحياة التشرد التي كتبها "روسو" بلذة بالغة.

الثاني: من رحلته إلى باريس حتى ذهابه إلى جزيرة سان بيير (1741- 1765م) وهو مخصص للسنوات التي قضاها في باريس، وهي سنوات كانت مجيدة وإن كانت حزينة قائمة على عكس القسم السابق.

(1)يحي إبراهيم عبد الدايم ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، ص20 .

(2)عبد العزيز شرف ، المرجع السابق، ص29 .

وكانت اعترافات "رسو" باعثا قويا لنهضة أدب السيرة الذاتية، سواء في الرومانسية الألمانية أو الانجليزية، فنشر "دي كوينسي" سنة 1821م "اعترافات متعاطي أفيون انجليزي" و "ووردزووث" سنة1805م "التمهيد" وجميعها تقع في دائرة الأدب الاعترافي، ومثل ذلك أغلب الأعمال التي تصور (البطل) الرومانسي، رغم إن جذور السيرة الذاتية قد تكون كامنة ومستمرة أحيانا، فمن "غوته" في "آلام قيرتر" سنة 1774م، مرورا "بشاتوبريان" في "أتالا" (1801م)[1].

ومن آثار الرومانسية، تخلل السيرة الذاتية في الكتابات القصصية التي أبدعها أصحاب هذا الاتجاه، ويعد "روسو" أول من افتتح نوعا من القصص قريبة من السيرة الذاتية، ويسمى هذا النوع "القصص الشخصية" إذ يقص فيها المؤلف حياته باسمه مباشرة أو تحت اسم مستعار.

ويذهب هذا الفهم إلى أن أي قصة يكتبها الشخص بنفسه عن حياته قد تكون من قبيل السيرة الذاتية، ولكن الحقيقة أن السيرة الذاتية كجنس أدبي تنفرد عن بعض الأشكال المتقاربة وبخاصة "المقال الشخصي" و"اليوميات"، و"المذكرات اليومية" التي تستخدم في السفر و "رواية السيرة الذاتية".

والشكل الوحيد الذي له صلة، والذي من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، فصله منطقيا من السيرة الذاتية هو "المذكرات"، فكاتب المذكرات عادة هو شخص لعب دورا مميزا في التاريخ، أو أتيحت له الفرصة لكي يشاهد عن كثب التاريخ في صنعه، كمذكرات "سيراموندلودلو" (1617م – 1692م)، ومذكرات "سيرجون ريرسبي" (1634م 1689م).

ومهما يكن من أمر فإن المذكرات، في الوقت الذي تكشف فيه، عن جانب كبير من أدوات وطابع الكاتب، تركز أولا بؤرة الاهتمام على الأحداث الخارجية، وعلى أشخاص آخرين ومن ثَمَ فإنها ليست بالمعنى الدقيق شكلا من أشكال السيرة الذاتية.

وعبارة "سيرة ذاتية" لم تتم صياغتها حتى ختام القرن الثامن عشر ميلادي، وقبل ذلك العهد كانت كلمة "مذكرات" كثيرا ما تستخدم لأعمال تسمى الآن سيرا الذاتية [2].

(1)عبد العزيز شرف ، أدب السيرة الذاتية ، ص 33،31،30 .

(2)المرجع نفسه ، ص 35 – 38 .

وفي عصر النهضة يبدأ تقليد كتابة السيرة الذاتية بالكتاب الساحر "حياة بنفنيوتوتشليني" وكتب جانب منه و أملي الجزء الآخر بين عامي (1558م – 1562م)، والحياة الخاصة للطبيب الإيطالي "جيرونيموكاردانو" التي بدأت كقصة طبيعية لنفسه في عام (1574م) و الموجة الطاغية للتحرر من القيود المفروضة في القرون الوسطى ، وروح البحث والاستقصاء العلمي، و الاهتمام الجديد بشخصية الإنسان، وكلها ملامح مميزة لعصر النهضة، قد أسهمت بلا شك في تطوير جنس أدبي قدر له أن يزداد في القرون التالية و أن يصبح في القرن العشرين من أعظم الأشكال الأدبية الشائعة جميعا .

وثمة أمثلة أخرى، هي قصة "توماس هوايثورن" وقد كتبت حوالي عام (1576م) ولم تكتشف إلا في عام (1955م)، و "الحياة الإنسانية المثالية العجيبة" عام (1687م) "لأوريل أوكستا" "وبقايا باكستر" لرتشارد باكستر (1696م).

ويمكن أن يضاف إلى السلسة الرائعة للسير الذاتية التي ألفتها نساء في القرن السابع عشر القصة غير الكاملة التي كتبتها "لوسي هتشنسون" عن حياتها بنفسها، ومذكرات "آن ليدي فانشو" ورواية السيرة الذاتية "لماري ريتش"، "دوقة نيوكاسل" حوالي عام (1624م – 1674م) التي كتبتها بنفسها [1].

وشهد القرن الثامن عشر سيرا ذاتية عديدة نذكر منها الكتاب الجميل "مذكرات من حياة إلزابيث كيونس" (1762م) والسير الذاتية للمرأة المتعالمة "ماري ديلاني" (1700م – 1788م) و "الرحلات" (1790م) "لجون ماكدونالد".

وهذا القرن مشهور أيضا بعدد من السير الذاتية، لممثلين وممثلات أفضلها السيرة الذاتية المعروفة باسم "دفاع عن حياة الممثل الكوميدي كولي سيبر".

ويبدو في هذا العهد أن عبارة "سيرة ذاتية" قد برزت إلى حيز الوجود والمثال الأول في "معجم أوكسفورد" الانجليزي يرجع تاريخه إلى عام (1809م) في مقال "لروبرت ساوثي"، عن حياة

(1)عبد العزيز شرف ، أدب السيرة الذاتية ، ص 40، 41 .

المصور البرتغالي "فرانسيسكو فيريرا" كتبه بنفسه، وكتب "ساوثي" يقول: « إنه لفريد أن هذا النموذج المثير والذي لا نظير له من السيرة الذاتية كان قد تم إغفاله تماما . »، ومن الغريب أيضا أن ثمة كتابا آخرا في العدد نفسه من مجلةQuarterlgrevieur (مايو سنة 1809م) هو "إيزاكديسرائيلي" يقوم بعرض "مذكرات حياة وكتابات برسيفالستوكدال"، وعندما أذهلته شعبية هذا الضرب من الكتابة قال: « نتوقع أن نرى هيجانا و بائيا للسيرة الذاتية يبدأ فجأة ». والعبارة على أية حال موجودة من قبل، نتيجة الاهتمام الذي أثارته ترجمة "اعترافات" "روسو".

أما القرن التاسع عشر، وهو عصر الرومانسية، فقد إزداد فيه عدد السير الذاتية ، بشكل غير عادي فنجد فيه ذكريات عن الطفولة في أعمال "ألفونس دي لامرتين" و إزست ريان ...، ومجموعات من معارك وانتصارات أدبية بقلم "أنتوني ترولوب" و "جوزيف كونراد" ...، وقصصا عن تجارب تعليمية بقلم "هنري آدامز"، و "جون ستيوارت ميل" وغيرهم، وتسجيلات لمغامرات روحية بارزة بقلم "الكاردينال نيومان"، و"سير إدموند"، واستكشافات ليسبر أغوار الحياة الداخلية بقلم "شيلا كاي سميث" و "سير هربرت ريد" وغيرهم .[1]

3 – تطورها في الأدب العربي:

من الباحثين من يرى أن بذور السيرة الذاتية نشأت عند العرب في الجاهلية "فكارل بروكلمن" يقول: « كان العرب يفخرون بذكر مآثر أسلافهم وأيَامهم، وأنسابهم، وكان سمرهم يجري على رواية أيامهم».

وإذا لم تصلنا نصوص نثرية مكتوبة سردها إنسان عاش في العصر الجاهلي عن نفسه فذلك لأن الكتابة كانت قليلة في ذلك العصر، والدليل على ذلك أن الشاعر الجاهلي أطنب في الحديث عن نفسه ، ووصف مشاعره، وصوَر أمجاده وأمجاد قبيلته، ومن الطبيعي أن يصلنا الشعر ولا يصلنا النثر، لأن الشعر أسهل في الحفظ والتداول بين الروَاة.

(1)عبد العزيز شرف ، أدب السيرة الذاتية ، ص 42 ، 43 .

أما بالنسبة للعصر الإسلامي فإن أوَل قطعة من السيرة الذاتية وصلتنا هي ما رواه سلمان الفارسي (36هـ - 656م) عن نفسه. وقد أورد هذه القطعة الخطيب البغدادي في كتابه "تاريخ بغداد" وأسندها إلى ابن العباس. تحدث سلمان الفارسي في هذه القطعة السيرة الذاتية عن نسبه، وحب والده له وخوفه عليه، ثم عن أسباب تركه للدين المجوسي واعتناقه النصرانية. وتحدث عن تبشير الأسقف النصراني له بأنه قد أظله من نبي جديد، وقد ذكر الأسقف صفات ذلك النبي فوجدها سلمان في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ويتضح من سيرة سلمان أنه تحمَل كثيرا من الثقال في سبيل الوصول إلى الدين الحق، فقد تحمَل في سبيل ذلك أعباء السفر من بلد إلى آخر و أغلال العبودية بعد أن كان حرا مدللا عند والده.[1].

وهذه القطعة هي أوَل بذرة للسيرة الذاتية غرسها سلمان الفارسي في القرن الأوَل الهجري. و بعدها نجد باقة من قطع السير الذاتية متناثرة في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني أقدمها فيما ترى "هيلاري كيلباترك" سيرة الشاعر الأموي "نصيب" وقد اهتم "نصيب" بالحديث عن إتقانه للشعر وما جرى عليه ذلك الأمر من حسد بعض الشعراء له وإكرامه.

ومن السير التي اشتمل عليها كتاب الأغاني سيرة "إبراهيم الموصلي" (188هـ)، التي ترى "هيلاري كيلباترك" أنها تقترب كثيرا من فن السيرة الذاتية. وسيرة "إبراهيم الموصلي" في كتاب الأغاني، هي مجموعة من قطع السيَر الذاتية المتناثرة التي لا يوجد بينها أي نوع من الترابط، وتقوم بمجملها على الحوار وتصوير الصراع الداخلي.

وإذا تجاوزنا كتاب الأغاني وما فيه من قطع السيَر الذاتية، فإننا سنقف على كتاب آخر يشترك صاحبه مع صاحب كتاب الأغاني في إيراد بعض القطع من السيَر الذاتية، وهذا الكتاب هو: "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" "لابن أبي أصيبعة"، ومن السيَر الذاتية التي وردت فيه سيرة "حنين بن إسحاق" (260هـ)، وسيرة ابن الهيثم التي كتبها سنة (417هـ). وهي سيرة فلسفية، يظهر فيها تأثر "ابن الهيثم" بما كتبه "جالينوس" عن نفسه.[2].

(1)تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص 38، 39 .

(2)المرجع نفسه ، ص 39– 42 .

ويرى "إحسان عباس" أن ابن الهيثم كان صريحا في سيرته إلى درجة تضر بسمعته بين الناس .[1]

وكذلك يورد ابن أبي أصيبعة أجزاء من السيرة الذاتية "لابن سينا" (428هـ) و "علي بن رضوان" (454هـ) و"عبد اللطيف البغدادي" (629هـ). أما "ابن سينا" فقد رويت سيرته الذاتية على لسان تلميذه "أبي عبيدة الجوزجاني". وقد وصف بها شطرا من حياته منذ عني أبوه بتعليمه إلى السنة الثانية والثلاثين من عمره.[2]

ومن كتب التراجم التي حفظت لنا شيئا من قطع السيَر الذاتية معجم الأدباء "لياقوت الحموي" إذ يورد "ياقوت" قطعة من السيرة الذاتية "لعلي بن زيد البيهقي"(565هـ).

وعلى الرغم من أن هذه القطع من السير الذاتية، لم تكن سيرا تامة ، فإنها تشكل بذورا خصبة لفن السيرة الذاتية، فنجد في بعض منها أسلوبا أدبيا مفعما بالحيوية، ولم تقتصر بذور السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم على هذه القطع المتناثرة في بعض الكتب، بل تجاوزتها إلى رسائل وكتب خاصة تحدَث فيها مؤلفوها عن ذواتهم.

ومن هذه الرسائل، رسالة "لمحمد بن زكريا الرازي" (313 هـ) "الذي تأثر بجالينوس فيما كتبه عن سيرته وسلوكه الفلسفي."، ورسالة "أبي حيان التوحيدي" (414هـ) "الصداقة والصديق" التي نجد فيها بعض الملامح الذاتية والنفسية لمؤلفها، ونجد أيضا رسالة "لفتة الكبد إلى نصيحة الولد" "لابن الحوزي" (597هـ) إذ يتحدث فيها عن نفسه، في سياق النصح والإرشاد لابنه،[3] وهو يفعل ذلك بهدف تعليمي، ولعلَ "الجاحظ" (255هـ - 868م)، أكثر من عني في عصره بتصوير نفسه في كتاباته، حيث نستطيع أن نستخرج من كتبه ورسائله أكثر الخيوط التي ألفت نسيج حياته من الوجهتين الثقافية و المعاشية.[4]

(1)إحسان عباس ، فن السيرة ، ص 136 .

(2)شوقي ضيف ، الترجمة الشخصية ، ص 36 .

(3)المرجع نفسه ، ص 43 .

(4)المرجع نفسه ، ص 38 .

أما الكتب فمن أقدم الكتب التي وصلت إلينا، وتحتوي على شيء من الملامح النفسية لصاحبها كتاب "طوق الحمامة في الألفة والآلاَف" "لابن حزم الأندلسي" (456هـ) و مع أن "ابن حزم" كان متشددا في الأمور الدينية، فانه لم يتورع عن الحديث عن المرأة وطباعها، وقصص حبه لبعض النساء.[1]

ويرى "شوقي ضيف" أن اعترافات "ابن حزم الأندلسي" جعلت من كتاب "طوق الحمامة" طرفة حقيقية، لكنه مع ذلك لا يعد هذا الكتاب سيرة تامة، وذلك لأن صاحبه تحدث فيه عن جانب واحد من حياته فقط وهو جانب الحب [2].

ويشترك المؤيد في الدين داعي الدَعاة (470هـ) مع "ابن حزم" في عرض جانب واحد من حياته في سيرته الذاتية مما يجعلها ناقصة، ولكن "المؤيد" لا يتعرض للجانب العاطفي من حياته كما فعل "ابن حزم الأندلسي"، بل يهتم بعرض الجانب السياسي ، وقد كانت سيرة "المؤيد في الدين" سيرة سياسية من حيث المضمون، أما من حيث الأسلوب فهي تقوم على سرد الأحداث الذي يقطعه في كثير من الأحيان وجود الحوار، أو بعض المناظرات والرسائل.

ومن السير السياسية الموجودة في التراث العربي، سيرة "الأمير عبد الله بن بلقين" (483هـ) آخر ملوك بني زيري في غرناطة، وقد كتبت سيرته تحت عنوان "التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة".[3]

وإذا اتبعنا التدرج التاريخي في الحديث عن أصول السيرة الذاتية ،فإننا سنتوقف عند كتاب "المنقذ من الضلال" "للغزالي" (505هـ) الذي يصور فيه جانبا من أزمة روحية حادة عانى فيها صراعا داخليا مستمرا، أدى إلى تركه التدريس، وزهده في الحياة وإتباعه طرق الصوفية. بعد ما حققه من مجد علمي ومادي.[4].

(1)إحسان عباس، فن السيرة، ص 121 .

(2)المرجع نفسه ، ص 113 .

(3)تهاني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص 48– 50 .

(4)إحسان عباس ، فن السيرة ، ص 136 .

ومن كتاب السير الصوفية "ابن عربي" (638 هـ) الذي تحدث عن تجاربه الصوفية في معظم كتبه.[1]

ويقدم لنا القرن السادس الهجري أيضا، ترجمة "عمارة اليمني" المتوفى سنة (569هـ - 1175م) المسمّاة باسم « النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية » وقد عبَّر عن تجربته السياسية.[2]

و لأن مصطلح السيرة الذاتية لم يكن معروفا عند العرب في عصر عمارة، وكذلك لم يكن هذا الفن قد اتخذ ملامح مميزة خاصة به، حار "عمارة" في تحديد الفن الذي ينتمي له كتابه لذلك نجده يقول في وصفه: « هذا مجموع لم أقصد به شيئا مخصوصا ، ولا فنا منصوصا بل ذكرت فيه نبذا من الأخبار، مختلفة المقاصد، متباينة المراصد، ولم أورد فيه إلاّ ما أملاه الخاطر أو رواه من أقيمه في الصدق مقام الناظر. »[3]

وبعد سيرة "عمارة اليمني" نجد أن "أسامة بن المنقذ" (584هـ) قد كتب سيرته الذاتية في كتاب "الاعتبار" الذي يصوَر لنا سيرته وأعماله وفروسيته، كما يصور لنا طائفة من صور المجتمع الإسلامي في عصر الأيوبيين.[4]

وفي القرن السابع الهجري، تكثر تراجم الأدباء والعلماء، وتصبح السيرة الذاتية سنة متبعة بين كثيرين منهم، وخاصة من ألَفوا في كتب التراجم العامة، مثل "ابن سعيد" صاحب كتاب "المغرب في حلي المغرب"، و "أبو شامة المقدسي الدمشقي" المتوفى سنة (665هـ - 1266م).

وتكثر التراجم الأدبية والعلمية بعد القرن السابع للهجري ولا سيما عند العلماء الذين يؤلفون كتب الطبقات، فقد أصبح سنة بينهم أن يترجموا لأنفسهم بجانب ترجماتهم لغيرهم، ومن أشهر من ترجموا لأنفسهم على هذا النحو: "محمد بن محمد الجزري" (833هـ) التي أوردها في كتابه "طبقات

(1)شوقي ضيف ، الترجمة الشخصية ، ص 78 .

(2)المرجع نفسه ، ص 104 .

(3)تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص 55 .

(4)محمد عبد الغني حسن ، التراجم والسير ، ص 24 .

القرَاء"، وسيرة "محمد بن عبد الرحمان السخاوي" (902هـ) الوارد في كتابه "الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع"، و "جلال الدين السيوطي" في كتابه "حسن المحاضرة".

ومن الذين ترجموا لأنفسهم في كتبهم التاريخية "لسان الدين بن الخطيب" (776 هـ) الذي خصص آخر جزء من كتابه "الإحاطة في أخبار غرناطة" للحديث عن نفسه وممن وصلتنا ترجمتهم على هذا النحو "حافظ الشام" ومؤرخها في القرن العاشر للهجرة "محمد بن علي بن طولون الدمشقي الحذفي" (953هـ)، فإنه ترجم لنفسه في كتيب سمَاه "الفلك المشحون في أحوال بن طولون" .[1]

ولعلَ آخر بذور السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم التي وصلتنا في كتاب خاص بها هي "سيرة ابن خلدون" (808هـ) الموسومة بـ "التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا" وهو سيرة ذاتية ذيَل بها ابن خلدون تاريخه المشهور فحدثنا عن نسبه ونشأته و مشيخته، والذين خدمهم من ملوك زمانه، وعن رحلاته من تونس إلى الأندلس، ثم رجوعه إلى إفريقيا وسفره بحرا إلى الإسكندرية ثم إقامته بالقاهرة، وغير ذلك من الرحلات.

ويرى أنيس المقدسي أن الغاية الرئيسية مما كتبه ابن خلدون عن نفسه، هي«أن يثبت الوقائع التي ذكرها في تاريخه ولهذا لم يخرج تعريفه بنفسه عن نطاق التاريخ إلاَ في مواضع قليلة جدا. »[2]

أمَّا "عبد السلام المسدي" يرى أن فن السيرة الذاتية في كتابه "التعريف بابن خلدون"«عرضا مقصودا لذاته » قد وعاه المؤلف واستطاع أن يسجل من خلاله رحلته السياسية.[3]

وقد صنف "شوقي ضيف" السير العربية حسب مضمونها، واتجاهات أصحابها إلى سير فلاسفة، وعلماء، وسير متصوفة، وسير الساسة، ورجال الحرب، فرأى أن سير الفلاسفة والعلماء تعنى بالحديث عن الحياة العلمية أو الفلسفية، و تهمل الحديث عن النشأة والحياة الاجتماعية، أما

(1)شوقي ضيف ، الترجمة الشخصية ، ص 58 .

(2)تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص 58 .

(3)المرجع نفسه ص 59 .

سير المتصوفة فتعنى بالحديث عن التجارب الروحية، و تهمل الحديث عن الحياة العامة. وأخيرا سير الساسة ورجال الحرب التي لا تعنى إلا بالحديث عن تجاربهم السياسية أو الحربية.[1]

أما "يحي إبراهيم عبد الدايم" نجده قد قسم السير الذاتية في التراث العربي تبعا لحوافزها إلى الأنواع التالية:

التبريرية: وهي التي كتبت للدفاع أو الاعتذار، ومن أمثلتها ترجمة "حنين إسحاق" التي عبر فيها عما أصابه به حساده من نكبات وبرر أسباب كيدهم له، مدافعا عن نفسه، وسيرة "المؤيد في الدين داعي الدعاة"، وسيرة "عبد الله بن بلقين". ثم "التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا".

الرغبة في اتخاذ موقف ذاتي من الحياة: كأن يصل إلى مذهب خاص أو سلوك بعينه، ومن أصدق الأمثلة في أدبنا العربي لهذا اللون الذي يصور الموقف الشخصي الذي اهتدى إليه صاحبه بعد طول بحث وتحر، ما كتبه عن نفسه كل من "محمد بن زكريا الرازي" في "السيرة الفلسفية" و "الغزالي" في "المنقذ من الضلال".

التخفيف من ثورة أو انفعال: وممن أفصح عن ثورة نفسية على بيئته ومجتمعه وصوَر صراعه الهادر "أبو حيان" في مثالب الوزيرين وفي رسالته "الصداقة والصديق" وفي كتابه "الامتناع والمؤانسة" رغم أنه لم يترك ترجمة ذاتية مستقلة.

تصوير الحياة المثالية : وهي أشبه بنجوى الذات رغم أنها كتبت لكي يحتذيها الناس والأتباع، وهي تفصح لذلك عن حياة صاحبها وما أتبع له من خبرات روحية وخلقية وفكرية، ومن أمثلتها ما كتبه عن نفسه كل من "عبد الرحمان بن الجوزي" في كتابه "لفتة الكبد في نصيحة الولد"، والعلم الصوفي و "عبد الوهاب الشعراني" في "الطائف المنن".

تصوير الحياة الفكرية: وهذا نوع يعمد فيه الكاتب إلى تسجيل كل ما أثر في تكوينه العقلي وتطوره الفكري، من كتب وأساتذة ، ويعرفنا بآثاره العملية، وهو نوع عني به الكثير من الكتاب:

(1)تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص: 63 .

منهم "البيروني" و "ابن الهيثم" و "الرازي" و "ابن طولون" الذي أفرد لهذه الغاية كتابه "الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون".

الرغبة في استرجاع الذكريات: ومن أمثلتها كتاب "الاعتبار" "لأسامة بن منقذ" الذي قدم لنا فيه تصويرا لشخصية "الفارس الجسور"، وللفروسية العربية، من خلال تصويره لحياته وشخصيته ومنها كتاب "طوق الحمامة في الألفة والآلاف"لابن الحزم" الذي يجرى فيه الاعتراف حين يبوح بذكريات شبابه العاطفية.[1]

هذه هي أهم نماذج السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم التي نعدها أصولا للسيرة الذاتية الحديثة.

وإذا ما انتقلنا إلى الأدب العربي الحديث، لنقف من خلاله على تطور هذا الفن، لاحظنا أن العناية به بدأت تتجدد، فبعث من جديد في كتابات الأدباء، بعد أن اتصل العالم العربي بركب الحضارة الغربية، فظهرت في نهاية القرن التاسع عشر المحاولات الأولى للسيرة الذاتية، التي كانت في معظم الحالات وثيقة الصلة بالموروث التراثي، وفي بعض الحالات متأثرة بالأدب الغربي.

ومن هذه المحاولات ما كتبه "محمد عمر التونسي" في كتابه "تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان" عام (1832هـ)، بدأ "محمد عمر" سيرته بالحديث عن تعلمه للعربية، ثم تحدث عن الوظائف التي شغلها، وبعد ذلك تحدث عن رحلته إلى بلاد "السودان"، إذ كان الباعث على الرحلة هو البحث عن والده، الذي غادر مصر حيث تعيش زوجته وولده، ولم يرجع إلى بلده تونس بل سافر إلى دارفور.[2]

وبعد ما كتبه "محمد بن عمر" نتوقف عند كتاب "الساق على الساق فيما هو الفارياق" "لأحمد فارس الشدياق" (1801م – 1887م) الذي يرى إحسان عباس أنها أول سيرة ذاتية ظهرت في العصر الحديث، وقد بين إحسان عباس أن هذا الكتاب، يفتقر إلى كثير من السمات الفنية للسيرة الذاتية ، إذ يقول: «ومما يميز الشدياق، رحابة صدره، لتلقي المدينة الحديثة، ونظرته إلى المرأة

(1)يحي إبراهيم عبد الدايم ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي ، ص 33– 35 .

(2)تهاني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص 67 .

وسخريته برجال الدين، ونقده لبعض العادات عند الغربيين والشرقيين على السواء ولكن غرامه باللغة، وانقياده لطبيعة المقامة، وإسرافه في التورية والتلميحات الجنسية، كل هذه تفسد عليه الاسترسال، وتعرقل المتعة في السرد ... والمشاهد المصنوعة فيه تربو بكثير على الأمور الواقعية، كما أن الاستطراد في اللغة والنقد و السخرية والحوار المصنوع، كل هذه تخرجه على أن يكون سيرة ذاتية بالمعنى الفني » .[1]

أما "رفاعة الطهطاوي" صاحب كتاب "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، فقد عده بعض الباحثين من إرهاصات السير الذاتية في العصر الحديث، والواقع أن ذاته في هذا الكتاب«كانت متحجبة لأن رفاعة كان لا يستسلم لانطباعاته الشخصية بقدر ما كان يراعي معالجة ما يشاهده، أو يسمعه، ويقرأ عنه معالجة موضوعية »[2]، وكتاب تخليص الإبريز ، تيسير بأنه يغفل العناصر الروائية إغفالا تاما .

ومن الذين كتبوا سيرهم في القرن التاسع عشر "علي مبارك" الذي كتب سيرته عام (1889م)، قبيل وفاته بأعوام قليلة، ضمن كتاب "الخطط التوفيقية"، وقد قام بعض الباحثين باستخراجها من هذا الكتاب، ونشرها مفردة.

وقد رأى "يحي إبراهيم عبد الدايم" أن الجديد في السير التي كتبها أدباء القرن التاسع عشر قد جاء في المضمون، وليس في الشكل، إذ نجد أن "محمد عمر" و "الشدياق"، قد سيطرت عليهما التراكيب العربية الموروثة عند كتابة كل منهما لسيرته الذاتية، ولم يتمكنا من التخلص من أسلوب المقامة.

وإذا كان هؤلاء الأدباء لم يتأثروا بشكل السيرة الذاتية في الأدب العربي، فإن الأميرة العمانية "سالمة بنت السيد سعيد بن سلطان"، قد استوعبت الشكل الغربي للسيرة الذاتية، وكتبت سيرة ذاتية تامة، ولكن من المؤسف أنها كتبتها بالألمانية، وليس بالعربية، وكان ذلك عام 1877م.[3]

(1)إحسان عباس، فن السيرة، ص 141 ، 142 .

(2)يحي إبراهيم عبد الدايم ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي ، ص 71 .

(3)تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، ص 71، 72 .

وفي مطلع القرن العشرين شهدت الساحة العربية، أحداثا، واضطرابات وأطماعا استعمارية، كفيلة باستثارة وعي الإنسان العربي بذاته، مما ساعد على نمو الشعور بالذات والإحساس بالفردية التي حثت الأديب على كتابة سيرته الذاتية، ولذلك أنتج القرن العشرون للأدب العربي الكثير من السير الذاتية، التي شاعت كتابتها في مختلف الأقطار العربية.[1]

يقول شوقي ضيف: « ونمضي في القرن العشرين، فنجد كثيرين يترجمون لأنفسهم لا في مصر وحدها بل في بلدان العالم العربي المختلفة، ومن أشهر من كتبوا حياتهم "محمد كرد علي" أديب سوريا وعالمها، فقد ترجم لنفسه في نهاية الجزء السادس من كتابه خطط الشام. »[2]

وسيرة "محمد كرد علي"، ذات صلة وثيقة بالتاريخ والمذكرات، وهي بذلك تختلف عن كتاب "الأيام" "لطه حسين" الذي يعد أول سيرة ذاتية فنية في الأدب العربي، وتعد سيرة "طه حسين" صورة واعية للصراع بين الإنسان وبيئته، وكتابه يعمد إلى تصوير ذلك الصراع، ولا يدعه يستنتج من طبيعة السيرة نفسها، فهو يصف مراحله ويتدرج بها، معتمدا على أن حياته خير مثال للانتصار على البيئة. وقد تحدث "طه حسين" عن نفسه بضمير الغائب أو أشار إليها بكلمة "الفتى" ولعل هذا الاستخدام قد ساعده على التجرد، والتزام الصدق والصراحة، فيما يذكره من أحداث، فهو يقول: «كان قليل الأكل لا لأنه كان قليل الميل إلى الطعام، بل لأنه كان يخشى أن يوصف بالشره أو أن يتآمر عليه إخوته ... وكان يستحي أن يشرب على المائدة مخافة أن يضطرب القدح من يده، أو ألا يحسن تناوله حين يقدم إليه. »[3]

و إلى جانب "طه حسين" نجد "أحمد أمين" في كتابه "حياتي" وهي سيرة ذاتية كاملة حيث نجد أن "أحمد أمين" حاول أن يصف ما أراد في عالم الحياة العملية والعلمية، وصلته بالحياة العملية تبدأ في وقت مبكر جدا وقد رسم صورته وطبائعه في بضع صفحات.

(1)تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، ص 74 .

(2)شوقي ضيف ، الترجمة الشخصية ، ص 110 .

(3)طه حسين ، الأيام ، ج 1 ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 55 ، (د . ت) ، ص 23 .

ومن السير الذاتية في هذا العصر أيضا، كتاب "أنا" و "حياة قلم" للعقاد، و "زهرة العمر" لتوفيق الحكيم، و "قصة حياة" لإبراهيم عبد القادر المازني، و "سبعون" لميخائيل نعيمة و"قال الراوي" للشاعر المهجري إلياس فرحات، و "قصة حياتي" للدكتور مصطفى الديواني و "مذكرات طالب بعثة" و "أوراق العمر" للدكتور لويس عوض، و "في صالون العقاد" و "إلا قليلا" لأنيس منصور، ومن بين السير نجد أيضا جبرا إبراهيم جبرا في سيرته الذاتية التي في جزأين "شارع الأميرات" و "البئر الأولى"، ونجد "غربة الراعي" لإحسان عباس، و "معي" للدكتور شوقي ضيف، و "مواكب الحياة" و "الخفاجيون" للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، ويقدم "سمير سرحان" نموذجا جديدا لأدب الاعتراف في سيرته الذاتية "على مقهى الحياة"، ويكتب ثروت أباضة "ذكريات لا مذكرات" وصلاح عبد الصبور في "حياتي مع الشعر"، و"سيرة حياتي" لعبد الرحمان بدوي، وغيرهم ممن كتبوا سير حياتهم.[1]

كما شغلت المرأة مكانة في عالم الكتابات، فظهرت شخصيات نسائية كتبت عن نفسها بأشكال مختلفة أمثال: "هدى شعراوي" (1879م – 1947م) في "مذكرات رائدة" و "تاريخي بقلمي" لنبوية موسى (1886م – 1951م)، وعائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ وكتابها "على الجسر- بين الحياة والموت"، زينب الغزالي وكتابها "أيام من حياتي"، ونوال السعداوي وكتابها "أوراقي حياتي"، كذلك نجد ليلى عسيران وكتابها "شرائط ملونة من حياتي"، وفدوى طوقان وكتابها "رحلة جبلية ... رحلة صعبة"، و "الرحلة الأصعب".[2]

المطلب الثالث :خصائص السيرة الذاتية

بما أن السيرة فن أدبي بين القصة والتاريخ، ويتناول شخصية من الشخصيات البارزة والكشف عن عناصر العظمة فيها، وهي عملية تحليلية لعناصر شخصية المترجم لها، ومن خلال هذا التحليل تبرز القيم الإنسانية التي تنطوي عليها الشخصية، أما السيرة الذاتية تشترك مع السير العامة في الخصائص التالية:

(1)عبد العزيز شرف ، أدب السيرة الذاتية ، ص 58 ، 59 .

(2)أمل التميمي ، السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر ، ص 41 – 44 .

1- إيراد الأحداث وفق التسلسل الزمني حسب ما أوردتها المصادر القديمة، وذلك إذا تعلقت السيرة بشخصية من الماضي.

2- تحري الدقة والموضوعية ، والاعتماد على الأدلة والبراهين القوية.

3- الانتقاء من مواقف الحياة ما فيه دلالة وعبرة.

4- عرضها على القارئ بطريقة مؤثرة.

5- في السيرة روح من الخيال لا يخل بالتاريخ، و إنما يضفي على الأسلوب حيوية وإثارة وتشويق، مع اعتماد العقل والبعد عن الهوى، والتقيد الصارم بالحقيقة.

أما الخصائص الخاصة للسيرة الذاتية ، فإن لها أبعاد يصورها لنا كاتبها من خلال رؤياه هو:

الداخل والخارج والأعلى، ونذكر هنا تشبيه "لا تشييله"،[1] الحياة الإنسانية بشجرة السندبان الكبيرة إذ يقول: « إنه كما لهذه الشجرة جذورا متأصلة في أعماق التربة تستمد منها الغذاء الحي الكامن من الأرض ، وساقا ضخمة تنقل هذا الغذاء إلى أعلى حيث النور والهـواء ، فكذلك للوجود الإنساني حياة إنسانية باطنية تستمد منها حياته الخارجية كل ما هي في حاجة إليه من غذاء ، وهذه الحياة الخارجية بدورها مرتبطة بالحياة العليا التي لابد لها أن تنفتح فيها وتؤتي ثمارهـا ولو أننا فصلنا الواحدة منها عن الآخرين، أو الواحدة عن الأخرى لما قامت للحياة البشرية عندئذ أية قائمة، لأنها في هذه الحالة سرعان ما تذبل وتجف، ثم لا تلبث أن تتلف وتفنى، أما إذا عدنا إلى تلك المجالات الثلاثة استمرارها وانتظامها فهناك لا بد من أن تجري الحياة حارة دافقة في عروق الموجود الإنساني، وبالتالي فإنه لا بد من أن ينعم الإنسان بالتوافق و الاتزان. »[2]

وفي هذا التشبيه تجسيد لوظيفة السيرة الذاتية حينما تحقق لكاتبها التوافق والاتزان، إذ تيسر له أن يعيش حياته الداخلية والخارجية والعليا من خلال ذكرياته، والكشف عن أسرار حياته الباطنية وتأمل ذاته العميقة، بما فيها من ثراء داخلي ، يمثل عالما أصغر.

(1)تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص 33 .

(2)عبد العزيز شرف ، أدب السيرة الذاتية ، ص 6 .

فالسيرة الذاتية إذا تنبع من القاموس الإنساني الذي يحوي في "معظم لغات البشر كلمات تعبر عن الوحدة، والعزلة، والانطواء، والتأمل، والاستبطان، والتفكـــير العقلي، والضمير والوعي الفردي ..."

ومهما كان أمر انشغال الإنسان بالعالم الآخر، فإنه لا بد من أن تجيء عليه لحظة يجد نفسه فيها (حوار مع نفسه) وإذا كنا نقول إن الإنسان (شخص) وليس مجرد فرد، فذلك لأنه يملك حياة باطنية تحول بينه وبين الاستغراق في المجموع إلى أقصى حد.

وعلى ذلك فإن كتابة السيرة الذاتية تتم حينما يكون في مقدور كاتبها قطع الصلة -إلى حين- بالبيئة الخارجية، لكي يجمع شتات نفسه ويمتلك زمامها، أو يلتمس لمراحل حياته العديدة، مركزا يلم شتاتها في النص الأدبي الذي يتخذ إشارة السيرة الذاتية من فنون القول المختلفة.

1-فإذا كان فعل الكتابة لا يتم دون أن يصمت الكاتب، كما يقول: "رولان بارت"، فإن هذا الفعل أقرب ما يكون انطباقا على كتابة السيرة الذاتية، إذ يشعر كاتبها شعور الشاعر الذي ينشد الوحدة مغزلا نفسه وذكرياته، أو شعور المتصوف الذي يقول على لسان "كير كجارد" « ما أشبهني بشجرة صنوبر وحيدة، منطوية على ذاتها، متجمعة نحو الآفاق العليا، أجلفها أنذا قائم وحدي لا ألقي ظلالا، ولا يعيش فوق أغصاني سوى الحمام البري ».

كما يقول "زكرياء إبراهيم": « إننا نتطلع دائما إلى العالم الخارجي لكننا نجد أيضا الأمان ونحب أن نميل إلى تحقيق ذواتنا، ولكننا نحرص أيضا على الطمأنينة، ومن هنا فإننا كثيرا ما نجد أنفسنا – من حيث ندري أو لا ندري – مضطرين إلى أن ننطوي على أنفسنا »[1].

وهذا لا يعني أن الأديب حينما يفرغ سيرته الذاتية يحاول أن يتخلى بنفسه في لحظة صدق مع النفس، ولذلك يتمرد على سجن العالم الخارجي، فطالما شغل الأدب و الناس.

وليس "الانطواء" الذي أسهب "يونج" في الحديث عنه سوى مظهر من مظاهر الدفاع عن النفس ضد العالم الخارجي فنحن نعيش في العالم ولكننا نخشاه، ونحن « محبوسون في الخارج ولكننا

(1)عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، ص 8، 9 .

دائما في دفء الداخل، إن الداخل في نظرنا إنما يعني الحرارة، ولكننا نحن دائما ننظره إنما يعني الحرارة والطمأنينة، والأمن، والدر الحنون، ومن هنا فإننا إذا كنا نحن إلى (الذات) فذلك لأننا نحترق شوقا إلى صدر الأم، وهكذا تجمع السيرة الذاتية سحر (الداخل) ممتزجا بالخوف من (الخارج). وعندئذ يصبح من العسير على عالم النفس أن يحدد أهمية كل ميل منهما على حده - ولكن المهم أن نستشعر - بين الحين والآخر الحاجة إلى إرخاء الستائر، والانكماش من خلف النافذة، والاحتماء بدفء الموقد الباطني. »

أما عميد الأدب العربي "طه حسين" قد لجأ إلى كتابة سيرته الذاتية المعروفة في أدبنا الحديث باسم "الأيام" مدفوعا بالدافع نفسه، بحثا عن دفء الموقد الباطني، بسبب المحنة التي تعرض لها بعد نشر كتابه (في الشعر الجاهلي)، ولم يكن من قبيل المصادفة أن تنشر فصول "الأيام" متتابعة في مجلة الهلال عام 1962م، و كأنها استجابة شرطية لمحنته، وأيضا هي استجابة فكرية شرطية الأثر الخارج على الداخل، ونعني به موقف المجتمع من "طه حسين" نفسه بعد أن دعا إلى آرائه التجديدية الأمر الذي يفسر الطريق بين المواجهة الصريحة للذات، وما يفرضه الإطار الاجتماعي على التعبير في السيرة الذاتية من رمز أو ما يشبه الرمز .[1]

واتجهت السيرة الذاتية في "الأيام" للتعبير عن الذات في مرحلة التكوين وهي أهم مرحلة من مراحل العمر، ثم للتعبير عن موقف نفسي خاص، وعن موقف فكري عام، يرتبط بفكرة زوال المجتمع التقليدي، الأمر الذي أدى إلى تداعي صور الطفولة، وبواكير الصبا، وصور البيئة الريفية انتزعها "طه حسين" من أعماق الذاكرة وصورها بما يناسب الموقف النفسي والفكري وهو الإكبار من شأن الفكر الإنساني و الإلحاح على حريته، والاستخفاف بل الاستعلاء على الجمود والتقليد .

فالوظيفة النفسية في سيرة "الأيام" الذاتية، سعي جاهد من جانب العميد في سبيل الحصول على الضمانات النفسية، وشتى ضروب الوقاية اللازمة التي تشبع حاجته الملحة إلى الشعور بالأمن والطمأنينة.

(1)عبد العزيز شرف ، أدب السيرة الذاتية ، ص 10 .

فقد أصبح (العالم الخارجي) يعد محنة (في الشعر الجاهلي) خطرا محققا دفع به إلى كتابة سيرته الذاتية، ونذكر هنا ما يرويه "طه حسين" أنه يكتب بنفسه مقدمة خاصة للطبعة البارزة من "الأيام" فإذا به يسجل هذه الحقيقة، وهي أنه كان استجابة للهموم الثقال التي كان يحس بها وقت ذاك إبان الاضطهاد الذي وقع عليه من أجل تحرير الفكر باصطناع الشك في الروايات القديمة التي جعلها التقليديون في مكان المسلمات والمقدسات و البديهيات، فجاءت هذه الاستجابة ليست مظهرا من مظاهر النكوص أو التهرب أو الانسلاخ من العالم الخارجي الذي يتهدده، إنما جاءت كشفا للذات و إظهار العالم الخارجي وإشراكا للآخرين في تجاربه الفكرية والنفسية.

وكذلك العقاد الذي كتب جانبا من سيرته الذاتية باسم (عالم السدود والقيود) استجابة نفسية لهموم ثقال، إذا كان "العقاد" قال مقولته الشهيرة في البرلمان:«ألا فليعلم الجميع أن هذا المجلس مستعد أن يستحق أكبر رأس في البلاد في سبيل صيانة الدستور وحماية » فكان من الطبيعي أن لا يلفت "العقاد" من قبضة الملك "فؤاد" الذي لم يستطع محاسبته على هذا القول الجريء لتمتعه بالحصانة البرلمانية، ولكن الفرصة ما لبثت أن حانت بعد أشهر قليلة فقدمت النيابة "العقاد" للمحاكمة في 12 أكتوبر 1930م، لأنه كتب عدة مقالات في جريدة المؤيد، يهاجم فيها الحكومة ونظام الحكم والرجعية ويدافع عن الدستور. وحكم عليه بالسجن تسعة أشهر ويوم خروجه من السجن قال قصيدته الشهيرة أمام ضريح "سعد زغلول":

قضيت جنين السجن تسعة أشهر وها أنذا في ساحة الخلد أولد

وفي هذا البيت تلخيص للباعث النفسي الذي دفعه إلى كتابة سيرته .

2- السيرة الذاتية ليست فنا ميسورا هينا، بل فن يقتضي من كاتبها مشقة أن يتجرد من نفسه ويتلخص من أهوائه ونزعاته الخاصة، فالحوادث التي يرويها عن نفسه قد تعصف بقدرته على وزن الأشياء، وتقويم الأمور، وتضل تفكيره، وقد يكون الإنسان أمينا في نقل رأيه صادق الحديث، لكن تنقصه المقدرة على التحليل والتعليل والتحري والاستقصاء، وقد يكون عارفا بنفسه لكن تنقصه الموضوعية والنزاهة العلمية والشجاعة على البوح بكل أسراره، فتكون لديه أسباب خاصة للكتمان أو الإخفاء، أو الزيادة والإضافة، و المبالغة أو التشويق أو التحريف.

ويوجد نوع آخر قد يقسوا على نفسه، ويضفي عيوبا هو منها بريء قد يكون لونا من ألوان الرغبة إلى تعذيب النفس المعروف "بالسادية" ويجدون فيها متعة في انتقاص أنفسهم والنيل منها والمبالغة في ذم النفس.[1]

وفي هذا أنه، على كاتب السيرة أن يكون مؤهلا بمؤهلات المؤرخ هذا المؤهل هو معرفة الحق.

3- السيرة الذاتية تعبير عن الألم الذي يضطر الذات إلى أن تخلع على حياتها معنى، فالألم يلعب دورا هاما في صميم حياتهم فهو ثروة باطنة تدخرها الذات للمستقبل، وتتسلح بها ضد ما يستنجد من الهجمات وفي هذا نقول إن السيرة الذاتية تعبير عن أهم مظاهر الحياة الشخصية لكاتبها، وهي حياة لا ينفصل فيها الداخل عن الخارج ذلك أنها في صميمها تركز و إشعاع انفصال واتصال، انطواء على الذات وافتراق عن الذات.

4-كاتب السيرة الذاتية مضطر إلى أن يحذف من روايته وسرده للمسائل العادية الدارجة ويقتصر على ذكر الحوادث والأعمال والسمات الغالبة المختلفة اختلافا كبيرا عن حياة الآخرين وهذا النقص لا مفر منه .[2]

5- أما الخاصية الأخيرة فيقول فيها "محمد غنيمي هلال" إن التعبير في السيرة الذاتية ينقسم إلى أربعة أقسام حسب "كروتشه":

أ – التعبير العاطفي: بعد إخضاع العاطفة للعمل الفني بحيث تخرج عن مجرد الصياح والتعجب والبكاء وكلمات التعبير المباشرة، فإن هذه لا تعد من الأدب في شيء، و إذا وجدت تعتبر عيبا يجب التخلص منه، يدخل في هذا القسم القصصي والمسرحيات ذات الصبغة الغنائية والاعترافات الشعرية وغيرها.

ب – الأدب الخطابي: وهو نفعي في جوهره ، ويدخل فيه الشعر الديني، ثم يدخل في النوع الخطابي، وكذلك الشعر السياسي والقصص الهجائية ...، وقلما يرتفع الأدب الخطابي كله إلى الذروة الفنية.

(1)عبد العزيز شرف ، أدب السيرة الذاتية ، ص 13 .

(2)المرجع نفسه ، ص 18 – 20 .

ج – أدب التسلية : منه مسرحيات الرعب والضحك وشعر الحب.

د – الأدب التعليمي: وقد يؤول بعض الناس القطع الشعرية الرفيعة لغايات تعليمية لا تتنافى مع التجربة.

فكاتب السيرة الذاتية لا يكتب إلا حينما تتضح في نفسه تجربته، ويقف على أجزائها بفكره، ويرتبها قبل أن يفكر في الكتابة، وهكذا سيتفرق كاتب السيرة الذاتية في حياته لينقل إلينا تجربته فيها أدق ما يحيط بها من أحداث العالم الخارجي، فتتمثل فيها سيرة الحياة بما تشتمل عليه من ألوان الصراع النفسي، إزاء الأحداث التي تصورها هذه السيرة الذاتية.

فالسيرة الذاتية تعبير عن تجربته للصراع النفسي، أو موقف إنساني إفضاء بذات النفس رؤيا إبداعية للكاتب على أساس التطور الذاتي في داخل النفس وخارجها.[1]

وهي كذلك « اندفاع المتحمس وتراجع أمام عقاب الحياة، تغيير للحياة نفسها وقد تكون مجرد تذكر اعترافي موجه إلى القارئ متعاطف مع الكاتب ». فالسيرة مرتبطة بالماضي فإن جوهر هذا الفن أوثق اتصالا بالحاضر والمستقبل من الماضي، وذلك أن الماضي الروحي الحقيقي هو ذلك الذي يعيد الذات خلقه في صميم الحاضر فهو ليس بمثابة مجموعة من الذكريات التي يختزنها الوعي بقدر ما هو مقدرة على الاحتفاظ بتلك الذكريات والعمل على استثارتها عند اللزوم، بمقتضى فاعلية حاضرة تملك باستمرار بعث تلك الذكريات أو استحضارها، فأدب السيرة الذاتية رغم أنه يمثل منظورا نحو الماضي يستند أساسا إلى الحاضر نفسه فتكون السيرة الذاتية كأدب تختلف عن المفهوم التاريخي من حيث إنها تشهد على أن للمستقبل مركز الصدارة بالقياس إلى الماضي.

(1)عبد العزيز شرف ، أدب السيرة الذاتية ، ص 24 – 26 .

المطلب الرابع: دراسة كتاب إتحاف القارئ بحياة الشيخ خليفة بن حسن القماري

وبعد هذه الإطلالة على أدب السيرة في الأدب العربي والغربي على حد سواء، نقدم لكم نموذجا من أدب السيرة عند الشيخ التليلي بنوعيها الموضوعي والذاتي، ولنبدأ بكتاب إتحاف القارئ وهو نموذج للسيرة الموضوعية التي صنعها الشيخ.

كتاب إتحاف القارئ بحياة الشيخ خليفة بن حسن القماري

المتوفى سنة 1207 هـ الموافق لـ 1792 م –وهو أحد علماء منطقة الوادي ناظم مختصر الشيخ خليل في الفقه المالكي– ألفه الشيخ محمد الطاهر التليلي وحققه وعلق عليه الدكتور أبو القاسم سعد الله وهذا الكتاب من منشورات المجلس الإسلامي الأعلى وقد احتوى على 85 صفحة قياس 27 طول 17.5 عرض.

وقد تضمن هذا الكتاب مقدمة المحقق ومقدمة المؤلف واحتوى على ثلاثة فصول، الفصل الأول جاء بعنوان حياة الشيخ خليفة بن حسن القماري والذي تطرق فيه إلى نسبه وولادته وشيوخه ثم تلاميذه فوفاته ثم ذريته .

أما الفصل الثاني تضمن تراثه العلمي وقد تحدث فيه عن مقدمة نظم جواهر الإكليل وخاتمته ثم تكلم عن كتاب الكنش ثم عرض وثيقة بخط الشيخ خليفة ونظم الشيخ حول صحة الطلاق وكذلك شرح ونظم السنوسية لشيخ خليفة ونظم الآجرومية وقدم لنا أبياتا على الرزق الحلال وقصيدة عن معرفة الأثر.

ثم الفصل الثالث المعنون بتقارير وإجازات ثم تكلم فيها عن تقريظ الصائغي والفاسي وغيرهما وعرض سند الشيخ خليفة الفقهي وإجازة الشيخ لغيره مع سنده ثم تحدث عن معاملة أهل قمار لشيخ خليفة وكيفية طبع جواهر الإكليل وإحياء ذكر الشيخ خليفة ثم قدم أبياتا منسوبة للشيخ وملحقات واستطرادات ثم عرض سند الدكالي الصحيح البخاري وأشهر أعراش قمار ثم أضاف ملحق فيه وإجازات أخرى من الشيخ خليفة وأخيرا ختمه بفهارس والمحتويات.

البـــــيـــــان

الاستعارة	نوعها	الإجراء
وهي وإن وجه الصواب صادفت[1]	مكنية	شبه الصواب بالإنسان الذي له وجه فترك المشبه حذف المشبه به وأبقى لازم من لوازمه (وجه)
مغفرة تمحو بها كل الزلل[2]	مكنية	شبه المغفرة و حذف المشبه به وترك لازم من لوازمه (تمحي)
عبثت به كف الأيام[3]	مكنية	شبه الأيام بالإنسان الذي لديه كف يعبث بالأشياء وحذف المشبه به وترك لازم من لوازمه (الكف عبثت)
عسل العلم المصفى[4]	مكنية	شبه العلم بالعسل حذف المشبه به وترك لازم من لوازمه (المصفى)
تغيب شمس النظم[5]	مكنية	شبه النظم بالنهار الذي تشرق فيه الشمس حذف المشبه به (النهار) وترك لازم من لوازمه (الشمس)

(1)محمد الطاهر التليلي، إتحاف القارئ بحياة الشيخ خليفة بن حسن القماري، تح وتع أبو القاسم سعد الله، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، العدد 4، ربيع الأول 1248 / أفريل 2007، الجزائر، 2007، ص: 26.

(2)المصدر نفسه، ص: 26.

(3)المصدر نفسه، ص: 26.

(4)المصدر نفسه، ص: 27.

(5)المصدر نفسه، ص: 19.

نور الحق[1]	مكنية	شبه الحق بالنهار أو الضوء حذف المشبه به وترك لازما من لوازمه (النور)
طرز محاسن العلماء[2]	مكنية	شبه محاسن العلماء بالشيء الذي يطرز حذف المشبه به وترك لازما من لوازمه (طرز)
في صفحات الكمال[3]	مكنية	شبه الكمال بالكتاب الذي لديه صفحات تحذف المشبه وترك لازما من لوازمه (صفحات).
أيدي الضراعة والفاقة مداولا[4]	مكنية	شبه الضراعة والفاقة بالإنسان الذي لديه يد وحذف المشبه به وترك لازما من لوازمه (أيدي)
شموس رشاد مالهن أفول[5]	مكنية	شبه الشمس بالإنسان الراشد وحذف المشبه به وترك لازما من لوازمه (رشاد)
أتانا جواب رائق وعذوبة[6]	مكنية	شبه الجواب بالماء العذب حذف المشبه به (الماء) وترك لازما من لوازمه (العذوبة)

(1)محمد الطاهر التليلي، إتحاف القارئ بحياة الشيخ خليفة بن حسن القماري، ص: 49.

(2)المصدر نفسه، ص: 50.

(3)المصدر نفسه، ص: 50.

(4)المصدر نفسه، ص: 51.

(5)المصدر نفسه، ص: 46.

(6)المصدر نفسه، ص: 49.

أتانا جواب[1]	مكنية	شبه الجواب بالإنسان يأتي
نأخذ له الأهبة[2]	مكنية	شبه الأهبة بالشيء الذي يأخذ حذف المشبه به وترك لازما من لوازمه (نأخذ)
فتح لهم كنوز أسراره[3]	مكنية	شبه الكنوز بالباب الذي يفتح وحذف المشبه به الباب وترك لازما من لوازمه (فتح)
صدر الكراسة[4]	مكنية	شبه الكراسة بالإنسان الذي لديه صدر حذف المشبه به وترك لازما من لوازمه (الصدر).
قتل الشيخ وأخباره[5]	مكنية	شبه الأخبار بالإنسان الذي يقتل حذف المشبه به وترك لازما من لوازمه (قتل)
نظم عذب الموارد[6]	مكنية	شبه عذب الموارد بالشيء الذي ينظم حذف المشبه به وترك لازما من لوازمه (نظم)

(1)محمد الطاهر التليلي، إتحاف القارئ بحياة الشيخ خليفة بن حسن القماري، ص: 49.

(2)المصدر نفسه، ص: 50.

(3)المصدر نفسه، ص: 50.

(4)المصدر نفسه، ص: 46.

(5)المصدر نفسه، ص: 65

(6)المصدر نفسه، ص: 51.

مطرت بها مزمن المعاني[1]	مكنية	شبه المعاني بالمطر الذي ينزل بغزارة حذف المشبه به وترك لازما من لوازمه (مطرت)
وفتحت له أغلاقها بمعارف[2]	مكنية	شبه المعارف بالباب الذي يفتح أغلاقه وحذف المشبه به وترك لازما من لوازمه (الأغلاق)
أضاءت إلى الألباب منها المقاصد[3]	مكنية	شبه الألباب بالغرفة التي تضيء حذف المشبه به وترك لازما من لوازمه (أضاءت)
ما أصبح التوفيق فيها يساعد[4]	مكنية	شبه التوفيق بالإنسان الذي يساعد حذف المشبه به وترك لازما من لوازمه (يساعد)
سلطان الأيام القاهرة[5]	مكنية	شبه الأيام بالإنسان الذي يقهر ولديه سلطة حذف المشبه به لازما من لوازمه (القاهرة)
أنفقت أسواق المعاني[6]	مكنية	شبه المعاني بالسلعة التي تعرض في الأسواق حذف المشبه به وترك لازما من لوازمه.
أنفقت أسواق[7]	مكنية	شبه الدفاتر بالإنسان وحذف المشبه به وترك لازما من لوازمه (صدور)
صدور الدفاتر[8]	مكنية	شبه الدفاتر بالإنسان وحذف المشبه به وترك

(1)محمد الطاهر التليلي، إتحاف القارئ بحياة الشيخ خليفة بن حسن القماري، ص: 52.

(2)المصدر نفسه، ص: 53.

(3)المصدر نفسه، ص: 53.

(4)المصدر نفسه، ص: 20.

(5)المصدر نفسه، ص: 53.

(6)المصدر نفسه، ص: 53.

(7)المصدر نفسه، ص: 53.

(8)المصدر نفسه، ص: 59

		لازما من لوازمه (صدور)
إنشائه ذكي الضمائر[1]	مكنية	شبه الضمائر بالإنسان الذكي حذف المشبه وترك لازما من لوازمه (ذكي).
أنفقت فيه نفائس الأعمار[2]	مكنية	شبه نفائس الأعمار بالنقود التي تنفق حذف المشبه به وترك لازما من لوازمه (أنفقت).
ساعفنا الحظ[3]	مكنية	شبه الحظ بالإنسان الذي يساعف حذف المشبه به وترك لازما من لوازمه.
الزمن الكاشف[4]	مكنية	شبه الزمان بالإنسان حذف المشبه به (الإنسان) وترك لازما من لوازمه (الكاشف)

(1)المصدر نفسه، ص: 59.

(2)المصدر نفسه، ص: 59.

(3)المصدر نفسه، ص: 59.

(4)المصدر نفسه، ص: 18.

ساعدنا القدر[1]	مكنية	شبه القدر بالإنسان حذف المشبه به (الإنسان) وترك لازما من لوازمه (ساعدنا)
ادخره في صدره[2]	مكنية	شبه العلم بالشيء الذي يدخر مثل سلعة أو إهمال حذف المشبه به وترك لازما من لوازمه (ادخره)
نبعت من نوره العلوم[3]	مكنية	شبه نور محمد صلى الله عليه وسلم بالينبوع حذف المشبه به وترك لازما من لوازمه (نبعت)
نبعت من نوره العلوم[4]	مكنية	شبه العلوم بالماء حذف المشبه وترك لازما من لوازمه (نبعت)
سيطرت الليالي الجائرة[5]	مكنية	شبه الليالي بالإنسان حذف المشبه به وترك لازما من لوازمه (سيطرت)
مكث النخل تحت أيديهم[6]	مكنية	شبه النخل بالإنسان الذي يمكث حذف المشبه به وترك لازما من لوازمه
أنظر لنظمها بعين الفضل[7]	مكنية	شبه الفضل بالإنسان الذي له عين حذف المشبه به وترك لازما من لوازمه.

(1)محمد الطاهر التليلي، إتحاف القارئ بحياة الشيخ خليفة بن حسن القماري، ص: 18.

(2)المصدر نفسه، ص: 20.

(3)المصدر نفسه، ص: 61.

(4)المصدر نفسه، ص: 61.

(5)المصدر نفسه، ص: 20.

(6)المصدر نفسه، ص، 33.

(7)المصدر نفسه، ص، 33.

الكـــنـــايـــة	الشـــــــرح
عهد التلمذة[1]	كناية عن الصغر
عهد المشيخة[2]	كناية عن الكبر
أمسى في خبر كان[3]	كناية عن أن الكتاب أصبح في طي النسيان
يوم التلاقي في محل رحمته[4]	كناية عن يوم القيامة
طويلا ما تحرق على أهل بلده[5]	كناية عن حبه وحرصه على أهل بلده
أطلع شموسهم وأقمارهم[6]	كناية عن مدى علمهم
على أن محمدا بن أبيه بدنيا وعلميا[7]	كناية على أن محمدا يشبه أبيه كما وكيفا
يوم يرث الله الأرض ومن عليها[8]	كناية عن يوم القيامة
شموس رشاد[9]	كناية عن شهرة العلماء ومدى علمهم وأن شمعتهم لا تنطفئ
أوقاتك البيض[10]	كناية عن الأوقات السعيدة
قاسم بن أحمد جسميا وأدبيا[11]	كناية عن أن ذاك الشبل من ذاك الأسد.

(1)محمد الطاهر التليلي، إتحاف القارئ بحياة الشيخ بن حسن القماري، ص: 14.

(2)المصدر نفسه، ص: 14.

(3)المصدر نفسه، ص: 27.

(4)المصدر نفسه، ص: 33.

(5)المصدر نفسه، ص: 19.

(6)المصدر نفسه، ص: 50.

(7)المصدر نفسه، ص: 20.

(8)المصدر نفسه، ص: 60.

(9)المصدر نفسه، ص: 46.

(10)المصدر نفسه، ص: 53

(11)المصدر نفسه، ص: 18.

غرة المحرم فاتح التاريخ[1]	كناية عن رأس السنة أو بدايتها
ابن الشيخ خليفة علميا[2]	كناية عن ذاك الشبل من ذاك الأسد.
الشيخ خليفة ... يد بيضاء على الفقه المالكي[3]	كناية عن أن الشيخ كتب واهتم بالفقه المالكي وانتفع به الفقه المالكي.
خلاصة التهذيب والجواهر ولب الحاوي الأمهات الفاخر[4]	كناية عن كتاب مستودع جميع المعارف

التشبيه	نوعه
الخنقة في عصره كعبة[5]	بليغ
لحمة كلحمة النسب[6]	استوفى أركانه
عرفانك الخطأ الذي غاب كعرفانك أثر المشراب[7]	استوفى أركانه
وما الأثر إلا كالخضر شهادة[8]	استوفى أركانه
ونصفها يقرب من نص إجازته[9]	استوفى أركانه
فهو المنهج القويم والصراط المستقيم[10]	تشبيه بليغ

(1)محمد الطاهر التليلي، إتحاف القارئ بحياة خليفة بن حسن القماري ، ص: 53.

(2)المصدر نفسه، ص: 18.

(3)المصدر نفسه، ص: 23.

(4)المصدر نفسه، ص: 24.

(5)المصدر نفسه، ص: 13.

(6)المصدر نفسه، ص: 59.

(7)المصدر نفسه، ص: 47.

(8)المصدر نفسه، ص: 47.

(9)المصدر نفسه، ص: 61.

(10)المصدر نفسه، ص: 62.

البديع

الطباق	نوعه
القديم / الجديد[1]	إيجاب
محقق / غالط[2]	إيجاب
أول / آخر[3]	إيجاب
اشتروا / باعوا[4]	إيجاب
الأبيض / الأسود[5]	إيجاب
تقديم / تأخير[6]	إيجاب
داخل / خارج[7]	إيجاب
الأحياء ← الأموات[8]	موجب
المخالفة ← الموافقة[9]	إيجاب
معرفة ← نكره[10]	إيجاب
المقدمة ← الخاتمة[11]	إيجاب
فراق ← اتفاق[1]	إيجاب

(1)محمد الطاهر التليلي، إتحاف القارئ للشيخ خليفة بن حسن القماري، ص: 15.

(2)المصدر نفسه، ص: 30.

(3)المصدر نفسه، ص: 18.

(4)المصدر نفسه، ص: 18.

(5)المصدر نفسه، ص: 20.

(6)المصدر نفسه، ص: 21.

(7)المصدر نفسه، ص: 66.

(8)المصدر نفسه، ص: 67.

(9)المصدر نفسه، ص: 25.

(10)المصدر نفسه، ص: 66.

(11)محمد الطاهر التليلي، إتحاف القارئ للشيخ خليفة بن حسن القماري، ص: 25.

مصلحين ← فسق[2]	إيجاب
نظم ← منشور[3]	إيجاب
قبلتهم ← رددتم[4]	إيجاب
الأخذ ← الترك[5]	إيجاب
مبتورة ← موفورة[6]	إيجاب

(1)المصدر نفسه، ص: 29.

(2)المصدر نفسه، ص: 25.

(3)المصدر نفسه، ص: 25.

(4)المصدر نفسه، ص: 33.

(5)المصدر نفسه، ص: 47.

(6)المصدر نفسه، ص: 61.

تعريف ← إنكار[1]	إيجابي
تسويد ← بياض[2]	إيجاب
الليل ← الصباح[3]	إيجاب
أوله ← آخره[4]	إيجاب
أمانة ← خيانة[5]	إيجاب
سأل ← أجاب[6]	إيجاب
نظم ← منشور[7]	إيجاب
الحلال ← الحرام[8]	إيجاب
البدء ← الختام[9]	إيجاب
المقيم ← المسافر[10]	إيجاب
يرى ← ليس يرى[11]	سلب
عدم ذكرها ← ذكر بعضها[12]	سلب

(1)محمد الطاهر تليلي، إتحاف القارئ بحياة القارئ الشيخ خليفة بن حسن القماري. ص: 65.

(2)المصدر نفسه، ص: 68.

(3)المصدر نفسه، ص: 34

(4)المصدر نفسه، ص: 25

(5)المصدر نفسه، ص: 36

(6)المصدر نفسه، ص: 31

(7)المصدر نفسه، ص: 23

(8)المصدر نفسه، ص: 23

(9)المصدر نفسه، ص: 59

(10)المصدر نفسه، ص: 51

(11)المصدر نفسه، ص: 51

(12)المصدر نفسه، ص: 31.

المقابلة

شطرها الأول	شطرها الثاني
مع الزمان إن عاكسه[1]	هذا الزمان إن واتاه وآنسه
فانتقيت منها الصواب فأثبته[2]	وانتحيت عنه الخطأ فأهملته
الميت الهالك[3]	الحي الباقي

(1)محمد الطاهر تليلي، إتحاف القارئ بحياة القارئ الشيخ خليفة بن حسن القماري. ص: 63

(2)المصدر نفسه، ص: 34

(3)المصدر نفسه، ص: 60

الجـــنـــــاس	نـــوعـــه
أجابا ← أصابا[1]	غير تام
نص ← قص[2]	غير تام
الصواب ← الجواب[3]	غير تام
ماضيا ← قاضيا[4]	غير تام
الجمة ← الأمة[5]	غير تام
بت ← مت[6]	غير تام
جمال ← حال[7]	غير تام
لما ← نما[8]	غير تام
قاضيا ← راضيا[9]	غير تام
عرفنا ← شرفنا[10]	غير تام
نشكره ← نذكره[11]	غير تام
الشفاعة ← الشجاعة[12]	غير تام

(1)محمد الطاهر تليلي، إتحاف القارئ بحياة القارئ الشيخ خليفة بن حسن القماري. ص: 30

(2)المصدر نفسه، ص:30

(3)المصدر نفسه، ص: 31

(4)المصدر نفسه، ص: 31

(5)المصدر نفسه، ص: 29

(6)المصدر نفسه، ص: 29

(7)المصدر نفسه، ص: 33

(8)المصدر نفسه، ص: 33

(9)المصدر نفسه، ص: 33

(10)المصدر نفسه، ص: 33

(11)المصدر نفسه، ص: 33

(12)المصدر نفسه، ص: 33

تغيير ← التعبير[1]	غير تام
لبيب ← الحبيب[2]	غير تام
أصول ← وصول[3]	غير تام
يحاول ← يصاول[4]	غير تام
إكليل ← خليل[5]	غير تام
الجليل ← خليل[6]	غير تام
الإجمال ← الإكمال[7]	غير تام

دراسة الألفاظ

اللفظ	نوعه
الجريد، الزاب، الخنقة[8]	متداولة
الأعشاش[9]	متداولة
المقلة[10]	متداولة
عضد[11]	قرآنية

(1)محمد الطاهر تليلي، إتحاف القارئ بحياة القارئ الشيخ خليفة بن حسن القماري. ص: 33

(2)المصدر نفسه، ص: 34

(3)المصدر نفسه، ص: 29

(4)المصدر نفسه، ص: 29

(5)المصدر نفسه، ص: 29

(6)المصدر نفسه، ص: 29

(7)المصدر نفسه، ص: 29

(8)المصدر نفسه، ص: 13

(9)المصدر نفسه، ص: 15

(10)المصدر نفسه، ص: 30

(11)المصدر نفسه، ص: 15

الزهر[1]	متداولة
الحلول[2]	متداولة
التروية[3]	صعبة
الرهط[4]	قرآنية
أئمة البراعة[5]	صعبة
النقير القطمير[6]	قرآنية
قصب السبق[7]	صعبة
الهيم[8]	قرآنية
سفاتج[9]	صعبة
منكز[10]	صعبة
خمائله وحياضه[11]	غريبة
التفريع[12]	صعبة

(1)محمد الطاهر تليلي، إتحاف القارئ بحياة القارئ الشيخ خليفة بن حسن القماري. ص:17

(2)المصدر نفسه، ص: 18

(3)المصدر نفسه، ص: 18

(4)المصدر نفسه، ص: 51

(5)المصدر نفسه، ص: 51

(6)المصدر نفسه، ص: 51.

(7)المصدر نفسه، ص: 49.

(8)المصدر نفسه، ص: 52.

(9)المصدر نفسه، ص: 46.

(10)المصدر نفسه، ص: 46

(11)المصدر نفسه، ص: 59.

(12)المصدر نفسه، ص: 72

كشح[1]	صعبة
حياضة[2]	صعبة
فتق مهامه الرشوق[3]	صعبة
الجمنة[4]	متداولة

المعاني

الإنشاء	صورته	غرضه
كلا وألف كلا[5]	تعجب	التحذير
فنتملى؟[6]	استفهام	الطلب
من يقبله أو يتلقاه عنه.[7]	استفهام	الطلب
يا ملجأ[8]	نداء	التمني
يا كريما[9]	نداء	التمني
كيف احتوت كلمة الشهادة؟[10]	استفهام	الطلب
متى عم الخوف الشديد؟[11]	استفهام	الطلب

(1)المصدر نفسه، ص: 73

(2)محمد الطاهر تليلي، إتحاف القارئ بحياة القارئ الشيخ خليفة بن حسن القماري. ص:59

(3)المصدر نفسه، ص: 59

(4)المصدر نفسه، ص: 16.

(5)المصدر نفسه، ص: 20.

(6)المصدر نفسه، ص: 20.

(7)المصدر نفسه، ص: 20

(8)المصدر نفسه، ص: 26.

(9)المصدر نفسه، ص: 26

(10)المصدر نفسه، ص: 35.

(11)المصدر نفسه، ص: 46.

يقول له البغل الأزرق لماذا؟[1]	استفهام	التحقير
أغسل لفتي لا تشاور لا قاضي ولا مفتي[2]	أمر	التحقير
أين يميل؟[3]	استفهام	الطلب

(1)المصدر نفسه، ص: 64.

(2)محمد الطاهر تليلي، إتحاف القارئ بحياة القارئ الشيخ خليفة بن حسن القماري. ص: 64.

(3)المصدر نفسه، ص: 47.

المطلب الخامس: دراسة مخطوط : هذه حياتي

ونشرع الآن في دراسة النموذج الثاني لأدب السيرة عند الشيخ التليلي ألا وهو السيرة الذاتية من خلال كتاب :"هذه حياتي".

- التعريف بالمدونة:

عنوانها : هذه حياتي مؤلف به 91 صفحة من الحجم الصغير كتبت بخط نسخي جيد واضح.

موضوعها ك: كما هو واضح من العنوان سيرة الشيخ محمد الطاهر التليلي وهو لون من النثر الفني اقتفى فيه الشيخ أقرانه وأسلافه وهو سجل دون فيه رحلته العلمية إلى جامع الزيتونة قبلة الجزائريين وقتئذ وعودته منه حاملا مؤهلا علميا خوله أن يكون أحد رواد العلم والمعرفة في بلدته وخارجها ، ثم الأحداث التي تبعت عودته وسجل طلبه للوظيفة وتنقله في تحصيلها وكل ما حصل له إلى غاية إحالته على المعاش ثم اعتزاله الناس .

وفيها الثبات على المبدأ والعقيدة الصحيحة ،وعلى الصبر وتحمل للعديد من المتاعب والمصاعب التي كانت تواجهه وتقف أمامه، وقامت أيضا على الصدق مع نفسه ومع الناس في أقواله وأعماله وذلك من خلال (ظاهره باطنه وباطنه ظاهره)،وتميزت أيضا بحرارة العاطفة تجاه الوطن وخاصة المكان الذي ولد وترعرع فيه،فذلك كان من خلال رفع شأن البلاد بنشر العلم وأمور الدين بما كان سائر في البلاد من خمول وجمود يحمله لشعلة النور لبلاده،وتميزت أيضا هذه المدونة بمحاولته بنشر العلم الصحيح والحث على تحصيله ومحاربة البدع والخرافات وكل ما يعوق مسيرة الأمة في مسالك النهوض لأنه كان يريد تكوين جيل صالح عامل ومجاهد يدافع عن كرامة الوطن وينقذه من مخالب الاستعمار،فمن فضائله الورع والزهد في متاع الدنيا وصدق الوعد والوفاء بالعهد .

فهذه المدونة في مجملها تعلم الناشئة الصبر على تحصيل العلم والمعرفة ونشره ، فهي تحمل كل وسائل الوعظ والإرشاد والتوجيه واعتماده الكبير على القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وتأثره بهما من خلال استشهادا ته القرآنية والدينية.

الدراسة البلاغية

الدارس لهذه المدونة يقف على جوانب كثيرة من ثقافة الشيخ البلاغية وقوة ملكته اللغوية وربما اطلع من خلال ما سجلنا في هذه الوريقات على صنعة الشيخ البلاغية.

المبحث الأول: ذكـــر الألفـــاظ

المطلب الأول:الألفـــاظ التونسيـة والقماريـة

لم تتوفر بكثرة هاته الألفاظ .وتوفرها ووجودها راجع إلى أنه من أصول تونسية وقمارية أذكر منها:

مغارف،مثارد،فرنـــك، بنزرت،الهود،حومـــة،الحوش الظهراوي،الـــدار القبلية،الـــدار الشرقية،كشكول،بلبال،أتضعضع،السوافة،قفصة،أولادتليل،فريانة،فرنساوية،الحوانيت،شنشـــنة، توزر،أدباشي،البارك، هاك.

المطلب الثاني: الألفـاظ المتداولـــة:

تكاثرت وتناثرت الألفاظ المتداولة وذلك راجع إلى الضرورة التـي يجـب توفرهـا لهـا لاتسـاق الكلام وانسجامه في المدونة أذكر منها:

حياتي،خمسة، وجدت، يفيد، يسجل،قيدت،اخترت،نشأت،تعلمت،اعرف،اشتهرت،تخرجت، انحدرت،تحصلت،قضيت،قرأت،أخذت،شرعت،انتبهت،نزلت،صعدت،اســتمر،كررت،أتممت، بدأت،وصلت،امتثلت،استرسلت،انتفعت،أفكر،حفظت،فارقت،أعددت،تلقيت،أكملت،ســافرت ،انفرطت،أنال،أمتحن،أبتلي،أمضيت،غادرت،أدون،أمضيت،نلت،انخرطت،يستحق،شـــاركت، تعرفت،قابلت،سلمت،أبعث،أجمل.أقترح،أردت،أحببت،فتح،يقود،استطاع،أمرني،أوصي،أمنعك، تتبع،يأسف،إلتمست،اعتذرت،التقيت، أشعر،أعلم،يقتصد،اغتنمت،أقمت،تلتزم،تخلق،تمحص.

المطلب الثالث: الألفـــاظ القوية والصعبـــة

وردت لهذه المدونة ألفاظ قوية وصـعبة وذلـك راجـع إلى أنـه ذو مجـال واسـع ورحـب للعلـم والمعرفة واطلاعه على الكثير من المصادر والمراجع والعلوم المتنوعة والمختلفة أذكر منها:

فـلا الأسـفار تحمـل كـل علـمٍ ولا الأحبـار مرجـع كـل أمـر.

- كأنما من يشار بالبِنان ويعدُّون من شواذ العصور والأزمان .

- إذا هو قبع في قبعه وسكن في قبره.

- يرتدي الباحثون في حياته رداء الأسف الشديد .

- فعلى العاقل أن يسجل حياته بقلمه ما دام في فسحة الحياة.

- قبل فوات الأوان وانسدال ستار النسيان .

-جلد عن طريق الخنقة معلما وقاضيا.

- أثبتت الملائكة المكافون.

- لقد كنت أترجح بين الحياة والموت.

- استأنفت السير من سورة القمر حتى سورة الأحقاف.

- كأني ناقف حنظل[1] أو آكل المرار.

- منشرح الصدر منثلج الفؤاد.

- حصلت له الملكة المقنعة.

- بعث في نفس هذه الرغبة وذلك بالميل إلى تعاطي العلوم.

- تحصلت عليه أيام الجذاد.

- يصبر على حمل لواء الثبات في تلك الزعازع.

- ولم يأبه تلك الجعاجع.

- قلوبا تتعطش إلى التأدب والأدب.

- توشك أن تعلقني في أجفانها.

- ذلك هو القمر الذي غرني والسراب الذي جرني.

---

(1)وهو شاهد نحوي ذكره الأشموني في شرحه على الألفية:

كأنَّي غدَاةَ البَينِ يَومَ تَحَمَّلُوَا لَدَى سَمُرَات الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ

ينظر: علي بن محمد بن عيسى الأشموني، شرح الألفية، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط، الأولى - 1998م، ج3، ص: 5.

- ألقيت عصا النوى والاغتراب.
- طن في أذني فحوى هذه الكلمات وحير سداها.
- أدس أنفي في أخبث الرغام وأغمسه في حمأة الطغام.
- ينفض عنهم غبار الجهل وتراب المهانة.
- تشتد حماوة القيظ ويشتعل تراب الرمضاء.
- تأكل من لحوم الأخوة للميتة.
- التراشق بسهام الكلام في حمأة الخصام.
- التصقت بشغاف القلب وتعلقت بشغاف الفكر.

المطلب الرابع :الألفـاظ القرآنيـة

لقد تعددت الألفاظ القرآنية وذلك راجع لكاتبها الموسـوعي كونـه ذو نشـأة وتربيـة وأخـلاق إسلامية ودينية وزهده من هذه الحياة المترفة وتعلقه بالدين الإسلامي أذكر منها:

- سبح اسم ربك الأعلى .
- كأنهم لا يعلمون .
- يا بني إن نفسي لا تطمئن .
- إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد.
- تميز الحق من الباطل وتمحص الصحيح من السقيم وتبين الرشد من الغي.
- إلا أن الله لم يشأ إلا ما شاء.
- في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار.
- إنه قريب مجيب دعوة الداعين.
- عفا الله عنا وعنهم وجمعنا وإياهم.
- ألقت عصاها.
- حتى يحدث الله بعد ذلك أمرا.
- يبعث الحياة ويُذَّكر بالبعث بعد الموت.

- نحمد الله ونشكره ونسبح بحمده ونذكره.
- فجزاهم الله عنا أحسن الجزاء وشكر سعيهم.
- الله وحده هو الجازي والكافي وهو سبحانه المجزل والمكافي.
- قرت عيني .
- ألقيت فيها عصا.
- ولن يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .
- أفاك أثيم.
- عفا الله عنه وسامحه.
- فلكل امرئ يومئذ شأن يغنيه.

المبحث الثاني:علـــم المعانـــــــي

إن أصل علم المعني نظرية النظم التي وضعها عبد القاهر الجرجاني ويعنى بالنظم تعليق الكـلام بعضه على بعض ويقول:أنه توخي معاني نحو،وهذا الكلام لا بد له من شرح وتفصيل.[1]

لقد نظر البلاغيون في الكلام ،يريدون أن يردوه إلى أصوله الأولى حتى يستطيعوا أن يحللوا كـل جزء من أجزاء الجملة على حدة ،فوجدوا الجمل كلها نوعين لا ثالث لهما وهما الخبر والإنشاء[2].

المطلب الأول: الأساليب الخبرية

1- تعريفها:

هو أن الخبر لا يتوقف تحققه ووجوده على قـول المـتكلم لأن الخـبر يحتمـل الصـدق والكـذب وتوجد له عدة أغراض منها :لازم الخبر،لازم الفائدة.

(1)فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانه (علم المعاني) ،دار الفرقان،كلية الشريعة، الجامعة الأردنية،(ط1-ط4)،(1985-1998)،ص85.

(2)حلمي علي مرزوق، في فلسفة البلاغة العربية(علم المعاني)، 1999،ص251.

2- **مؤكدات الخبر**: إنَّ،أنَّ،لا الابتداء،أماَّ الشرطية، السين وهي للاستقبال ،ضمير الفصل،قد التحقيقية،القسم وأحرفه(الباء والتاء والواو)،نونا التوكيد ،الحروف الزائدة وهي (إن،ما،لا،من،والباء)،وحروف التنبيه(ألا،أما)[1].

3- **أنواع الخبر**: وتتوفر له ثلاث أنواع وهي:

أ- الخبر الابتدائي:

وهو الخبر الخالي من أدوات التأكيد، وفي هاته المدونة توجد العديد من هذا النوع للخبر أذكر منها بعض الشواهد:

- الأبيات (4-5-6-7-17) (ص1).
- أثبتت الملائكة المكافون بي في قائمة أسماء... (ص4).
- تغير أسلوب التعليم ونظام القراءة... (ص8).
- فأتممت دراستي وتحصلت على شهادة التطويع(ص11).
- انتقلت أنا والشيخ الحفناوي إلى مدرسة ... (ص16).
- لما انتهت السنة الدراسية وأزفت ساعة الرحيل... (ص20).

فعش خاليا فالحب راحته عنا وأوله سقم وآخره قتل. (ص32).

- وصلت إلى قسنطينة فأقمت بها... (ص37).
- كانت محادثتي كلها معهم حول العلم والتعليم... (ص43).
- نعم غربت شمس الإصلاح عن هذه البطاح... (ص53).
- وبعد تلك الفذلكة الطويلة العريضة... (ص59).
- تحصلت على التقاعد ... (ص77).

ب- الخبر الطلبي:

وهو الخبر الذي يكون له مؤكد واحد، أذكر منه بعض الشواهد:

حياتي كلها حصرت في عشر من الأحداث في قلق وعسر (ص1)

(1)فضل حسن عباس،البلاغة فنونها وأفنانها، ص41.

و المؤكد في هذا البيت حرف "من" .

- قد اشتهرت هذه الأسرة قبل اليوم ... (ص2)،وأداة التوكيد "قد التحقيقية".

- فلا أسلوب ولا ترتيب ولا ترفيه ... (ص5)،وأداة التوكيد "لا الابتداء".

- أنَّ الله تعالى مدَّني عمره ... (ص7)، وأداة التوكيد"أنَّ" .

- وقد انتفعت به كثيرا ... (ص9)، وأداة التوكيد"قد التحقيقية" .

- ما أفهمه من الدروس ... (ص10)، وأداة التوكيد"ما".

- فقد قرأت عليه شرح... (ص12)، وأداة التوكيد"قد التحقيقية".

أعلم أنّ الحكومة تعتبر كل طالب زيتوني عدو...(ص7)،وأداة التوكيد"أنَّ" .

يـأتي عـلى المـرء في أيـام محنتـه حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن(ص33)

وأداة التوكيد "ما".

- أنَّ القضية قضية واجب عام للصالح العام...(ص50)، وأداة التوكيد"أنَّ ".

جـ- الخبر الإنكاري:

وهو الخبر الذي يحتوي على مؤكدين فأكثر، أذكر منه بعض الشواهد:

البيت(13من ص1)، وأدوات التوكيد"قد التحقيقية و الباء ".

البيت(15من ص1)، وأدوات التوكيد"لا الابتداء ومن ".

إنَّ من واجبات العاقل أن يعرف نفسه ...(ص1)،وأدوات التوكيد"إنَّ وأن".

فلا نعلم عن ذلك أيّ شيء على التحقيق إلا أنه ولد...(ص3)،وأدوات التوكيد"لا و إلا".

إنّ الطفل يلزم بالحفظ لكل ما مرّ عليه من الصور...(ص5)،وأدوات التوكيد"إنَّ ومن".

- لا يمكن أن يمحى منها مهما طالت... (ص12)،وأدوات التوكيد"أنَّ ولا".

- قد حاولت الحكومة أن تستمر... (ص24)،وأدوات التوكيد"قد و أن".

لـو كنـت أعلـم أنّ آخـر عهـدهم يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل(ص55)

وأدوات التوكيد"أنَّ وما".

يريـد المـرء أن يعطـى منـاه ويأبـى الله إلا مـا يـريـد(ص56)

وأدوات التوكيد"أن وما و إلا".

– ليس تعليمي إلا وسيلة لتعليمي وما تعليمي إلا وسيلة للنهوض...(ص30)، وأدوات التوكيد"إلا و ما".

المطلب الثاني: الأساليب الإنشائية

1-تعريفهـــــا:

– فهو ما يتوقف تحققه على تلفظ المتكلم به.فالإنشاء لا يعتمد الكذب والصدق؛ لأننا عندما ننهى عن شيء، أو نأمر بشيء، أو نستفهم عن شيء أو نتمنى شيئا، أو ننادي أحدا لا نستطيع أقول له صدقا أو كذبا؛ لأن الصدق والكذب إنما يوصف بهما الشيء الذي ادعينا وقوعه[1].

– فالكلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، بحيث يصح أن يقال لقائله أنه صادق أو كاذب لعدم تحقق مدلوله في الخارج وتوقفه على النطق بها سمي كلاما إنشائيا[2].

2-أنواعـــــها: و هي نوعان:

أ-الأساليب الطلبيـــة:هي ما تستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب ويكون في:

✹ – **الأمـــــــــر**:هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام.

ذكر بعض الشواهد:

- فعلى العاقل أن يسجل حياته بقلمه... (ص1)،غرضه الإرشاد والتوجيه.
- أدخلني والدي بإشارة جدي لأبي... (ص5)،غرضه الإرشاد.
- فألزمني الجد بإعادة الكرة... (ص6)،غرضه الالتماس.
- إنما عليه أن يتعلم استقامة السطور... (ص5)،غرضه الإرشاد.
- فألزمني الجد رحمه الله.... (ص8)،غرضه الإرشاد.
- ثم كلفني بهذه الفترة أن أقرأ وأحفظ... (ص8)،غرضه التوجيه.
- أوصى والدي وأكد الوصية بالتهديد ... (ص12)،غرضه النصح.

(1)فضل حسن عباس البلاغة فنونها وأفنانها، ، ص100.

(2)عبد السلام محمد هارون، لأساليب الإنشائية في النحو العربي، – مكتبة الخانجي، مصر، ط2، 1979، ص13.

- يجب أن يعتبر تدريسه... (ص18)،غرضه التسوية.
- فإن الأوان الآن أن تقوم بواجبك... (ص33)،غرضه التقرير.
- لا تسأل عن الخبر ... (ص34)، غرضه الالتماس.
- أمر أحد بإذن به بأن يسوقني إلى السجن... (ص42)، غرضه التحقير.
- اغلق المحل واذهب... (ص55)،غرضه التحقير.
- يجب أن تبحث عن معلم عوضه في المدرسة ... (ص66)،غرضه الالتماس والإرشاد.

خـلّ الطريـق لمـن يبنـى المنـار بـه وأبرز ببرزة حيث اضطرك القدر(ص80)

غرضه التقدير.

✹-**النهـــي**: وهو طلب الكف عن فعل على وجه الاستعلاء.

ذكر بعض الشواهد :

البيت (14من ص1)، غرضه الإرشاد.

البيت (16من ص1)، غرضه التحقيق.

يجب أن لا يحفظ أي شيء من القرآن في بادئ أمره... (ص5)، غرضه الإرشاد.

لا أحفظ ما أكتب الحفظ الذي يريده هو لي من الجودة (ص7)، غرضه التمني.

لا أستظهر تلك الشهادة ولا أسلمها... (ص18)،غرضه التعظيم.

لا دراسة ولا امتحان ولا شهادة... (ص24)،غرضه التحسر والتوجع.

لا تكن ريشة بين الريش... (ص33)،غرضه الإرشاد والتوجيه.

إذا لم تمتثل بالأوامر لحقناك بإخوانك هناك(ص55)،غرضه التهديد.

لا تســـقي مـــاء الحيـــاة بذلـــة بل فاسقني بالغرماء الحنظل(ص57)

غرضه التعظيم.

إذا شـئت أن تلقـي السـعادة بيـنهم فلا تك مصريا ولا تك مسلما(ص75)

غرضه التسوية.

لا تظلم القوس أعطي القوس باريها (ص80)، غرضه الإرشاد.

✹ -**الاستفهـــام**: وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل.

ذكر بعض الشواهد:

- لا أعرف الآن من نشأتي أكثر من أني ...؟ (ص2)، غرضه التقرير.
- فما أزفت ساعة الرحيل ...؟ (ص12)، غرضه التشويق.
- ومن شذّ شذّ في النار...؟ (ص14)،غرضه التقرير.
- ما قُبل طلبي للسكن...؟ (ص16)،غرضه التمني.
- أهم بأمر الحزم لو أستطيعه... (ص28)،غرضه التحسر.
- وما كنت أحسب ... (ص31)، غرضه التحسر.
- ما تكلمت وعدت أدراجي في الظلام...؟ (ص38)، غرضه التعجب.
- فما هي جنايتي؟ (ص55)، غرضه الاستفسار والاستخبار عن نفسه.
- فما هي جريمتي؟ (ص55)، غرضه الاستخبار.
- فكيف أصنع إذن؟ (ص55)، غرضه التحقير.

✹ -**النـــداء**: هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه لحرف من حروف النداء.

ذكر بعض الشواهد:

يابني إن نفسي لا تطمئن ... (ص07)،غرضه التمنـــي.

أيها القارئ ... (ص28)،غرضه الإرشاد.

يـــا بـــاري القـــوس بريـــا لســـت لا تظلم القوس أعطي القوس (ص80)

غرضه العتاب واللوم.

ب-**الأساليب غير الطلبيـــة**: هي ما لا تستدعي مطلوبا غير حاصل وقـت الطلـب ولـه صـيغ كثيرة[1].

(1)فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها ، ص100.

المبحث الثالث: علم البديـــــع

هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة.[1].

المطلب الأول : الجنـــــاس

1- تعريفـــه:

قال ابن المعتز: هو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعري وكلام.

قال قدامة بن جعفر: هو أن تكون في الشعر معان متغايرة قد اشتركت في لفـظ واحـدة وألفـاظ متجانسة مشتقة.

قال العسكري: هو أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منها صاحبتها في تأليف حروفهـا على حسب[2].

2- أنواعـــه: وهو نوعان:

أ-الجناس التام : هو أن يتفق في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها، فـإن كـان مـن نـوع واحد كاسمين سمّي مماثلا[3].

ذكر بعض الشواهد :

صغره = صغره (ص04).

مرارا= مرارا (ص04).

حيّيت = حيّيت (ص04).

أبكم = أبكم (ص04).

سورة = سورة (ص06).

القمر = القمر (ص07).

---

(1)عائشة حسن فريد،وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، دار قباء، القاهرة، 2000، ص16.

(2)علي الجندي، فن الجناس(بلاغة،أدب،نقد)، دار الفكر العربي، ص08.

(3)عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الناشر، القاهرة، ج1، 1999، ص69.

مؤخرة = مؤخرة (ص08).

المرّة = المرّة (ص09).

بعد = بعد (ص11).

النصف = النصف (ص11).

شرح = شرح (ص12).

شذّ = شذّ (ص14).

خير = خير (ص 16).

رواية = رواية (ص18).

أجرة = أجـرة (ص34).

ليلــة = ليلــة (ص36).

بلقائي = بلقائي (ص45).

مغادرة = مغادرة (ص46).

بكيت = بكيت(ص48).

هنات = هنات(ص54).

البعض = البعض(ص54).

صبرت = صبرت(ص56).

هؤلاء = هؤلاء(ص57).

الأولى = الأولى(ص57).

جهنم = جهنم (ص58).

شغاف =شغاف(ص58).

للمعالجة =للمعالجة(ص62).

بكذا = بكذا(ص76).

أمام = أمام(ص76).

صروف = صروف(ص78).

- **ب- الجناس غير التام (الناقص):**

هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة: نوع الحروف، ترتيبها، حركتها، عددها[1].

ذكر بعض الشواهد :

درّت ـــ مرّت (ص01).

كرّت ـــ فرّت (ص01).

الأسفار ـــ الأحبار(ص01).

حسبا ـــ نسبا (ص01).

قبره ـــ قبعه (ص01).

عثار ـــ آثار (ص02).

عذل ـــ عذر (ص02).

الثبات ـــ النبات (ص14).

المدّة ـــ العدّة (ص14).

البوادي ـــ النوادي(ص17).

الخضراء ـــ الغبراء(ص17).

رواية ـــ دراية (ص18).

سمحت ـــ سنحت (ص19).

بريقه ـــ طريقه (ص31).

غرّني ـــ جرّني (ص31).

الغربة ـــ التربة (ص31).

(1)حسن نور الدين وعلي جمال سلوم، الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل، ص187.

الخنوع ـــ الخضوع (ص32).

يريش ـــ يعيش (ص33).

الوالد ـــ الوارد (ص33).

رغام ـــ طغام (ص33).

رياء ـــ حياء (ص34).

رهبة ـــ رغبة (ص34).

تزلف ـــ تخلف (ص34).

قاهرة ـــ ظاهرة (ص45).

ارتباط ـــ اعتباط (ص45).

الوادي ـــ النادي (ص45).

احتفاء ـــ احتفال (ص46).

وصب ـــ نصب (ص47).

المرتع ـــ المربع (ص53).

غفوة ـــ غفلة(ص54).

المنايا ـــ الدنايا(ص57).

التقاعد ـــ التباعد(ص80).

- الأمراض ـــ الأغراض(ص87).
- الكلل ـــ الملل(ص87).

المطلب الثاني : الطبـــاق

1- تعريفـــه :

يعرّفه ابن قتيبة : يوصف الشيء بضد صفته للتطيّر والتفاؤل.

يعرّفه ثعلب: ذكر الشيء مع ما يعدم وجوده.

يعرّفه حازم القرطاجني: المطابقة هي أن يوضع أحد المعنيين المتضادين أو المتخالفين من الآخر وضعا متلائما[1].

2- **أقسامـــه** : وله قسمان هما :

أ- طباق الإيجاب: أن يكونا المعنيان المتضادان أو المتقابلان غير مختلفين في الإيجاب أو السلب، وذلك بأن يكونا موجبين معا أو سالبين معا.

ذكر بعض الشواهد :

- سرور = شرور (ص01).
- نسيان = ذكر (ص01).
- إقلال = إكثار (ص02).
- قبل = بعد (ص02).
- الحياة = الموت (ص04).
- أموت = أحيا (ص04).
- قبله = بعده (ص05).
- محتقر = محترم (ص05).
- تنتهي = تبتدئ (ص05).
- أول = آخر (ص05).
- دخوله = خروجه (ص05).
- الصعود = النزول (ص06).
- يحبون = يكرهون (ص06).
- صاعدا = نازلا (ص06).
- الحق = الباطل (ص14).

(1)منير سلطان ، البديع تأصيل وتجديد ، منشأة معارف، الإسكندرية، ص109-114.

- الإصلاح = الفساد (ص14).
- الصحيح = السقيم (ص14).
- الرشد = الغيب (ص14).
- التعب = الراحة (ص17).
- تقل = تكثر (ص29).
- تصعب = تسهل (ص29).
- حسنا = قبيحا (ص34).
- خاصة = عامة (ص35).
- قديمة = جديدة (ص38).
- الوحشة = الأنسة (ص46).
- العابس = الباسم (ص47).
- سكت = تكلمت (ص48).
- أقلهم = أكثرهم (ص54).
- البيع = الشراء (ص55).
- ليل = نهار (ص56).
- كبيرة = صغيرة (ص66).
- مجهول = معلوم (ص78).
- الأحياء = الأموات (ص86).
- تخص = تعم (ص87).

ب طباق السلب: وهو ما كان فيه أحد أطرف الضد مثبتا والآخر منفيا أو أحدهما أمر والآخر نهي[1].

(1)عائشة حسن فريد، وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، ص26.

ذكر بعض الشواهد :

- تجارية # غير تجارية (ص37).

- كراهة # لا كراهة (ص44).

أهلي # غير أهلي (ص46).

شيء # لا شيء (ص54).

قبول # عدم قبول (ص60).

العائلية # غير العائلية (ص77).

المطلب الثالث : السجـــــع

1- تعريفـــــه:

هو اتحاد الفاصلتين من النثر في الحرف الأخير منهما، الفاصلة هي الكلمة الأخيرة من القرينة أو الفقرة التي جعلت مزاوجة لأخرى.

- وهذا اللون من ألوان البديع كثير الدوران على ألسنة البلغاء والأدباء وقد اهتم به علماء البلاغـــة نظرا لوروده في كتاب الله تعالى وسنـــة نبينـــا محمد صلى الله عليه وسلم حديثا وقديما قالوا بصفة الكلام المسجوع: الحفظ إليه أسرع، والآذان لسماعه أنشط وهو أحق بالتقليل وبقلة التفلت.

2- **أنواعـــه**: وله ثلاث أنواع :

أ- السجع المطرّف: وهو ما اختلفت فيه الفاصلتان في الوزن مع الاتفاق في التقفية[1].

ذكر بعض الشواهد :

فهي له أولي، من كل ولي (ص01).

فهو أدرى بنفسه، وأعلم بدخيلته (ص01).

قبل فوات الأوان، وانسدال ستار النسيان (ص02).

(1)عائشة حسن فريد، وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، ص 202-205.

تؤيد كلامه، وتؤكد قوله (ص03).

أن يتعلم استقامة السطور، وكيفية التشطير (ص05).

إنّ نفسي لا تطمئن، وقلبي لا يسكن (ص07).

زدت اجتهادا على اجتهادي، وحرصا فوق حرصي (ص12).

كل هؤلاء قرأت عليهم الأداء، وجمعت على بعضهم بسماء (ص19).

فقد استراح البال، وتحسنت الأحوال (ص44).

لا يشمت الشامتون وما أكثرهم، أو يبعد المتقربون وما أقلهم. (ص54).

لكن الله غالب على أمره، وله وحده الحيرة لا لغيره. (ص58).

انتقضت كلمة الاتفاق، وتغير ماء الوفاق. (ص58).

ب- السجع المرصّع: وهو ما اتفقت فيه ألفاظ الفقرتين أو أكثرهما وزنا وقافية.

ذكر بعض الشواهد :

فخمستها التي ردت حفظي لقرآن توسع فيه فكري

البيت(04 من ص01).

بنيان المساكن فوق داري لمن لم يرض إيوائي وخيري

البيت(05 من ص01).

- خلق هذا الوجود علامة عليه، وفطر هذا الكون للهداية إليه. (ص01).
- فكنت أموت مرارا، و أحيا مرارا. (ص04).
- الشفاء من آلام الختان، والبرء من أدواء الصيان. (ص05).
- من أول دخوله، إلى آخر خروجه. (ص05).
- امتثلت لأمره، و انتصعت لقوله. (ص08).
- رأى أنّ لي قابلية لتعلم العلم، في توسيع دائرة الفهم. (ص12).
- أعددت العدّة، وأكملت المدّة. (ص14).
- ماتت أفكاري، وقبرت ثقافتي، ودفنت علومي. (ص17).

- تركت السرور في القصور، لأزور الشرور في القبور. (ص31).
- لا قمت فيهم إقامة جبالهم، ولكنت من جملة رجالهم. (ص47).
- لا يوفون بالعهود، ولا ينجزون الوعود. (ص50).
- بعدما تقمصت رمسي أريد حياته ويريد قتلي (ص52).

جـ- السجع المتوازي: أن تتفق فاصلتاه في الوزن والتقفية، ولا يكون ما في إحدى القرينتين أو أكثر ما فيها موافقا للأخرى في الوزن والأخرى فضابطه وشرطه الوحيد اتفاق فاصلتيه في الوزن والحرف الأخير بينهما دون مراعاة التوافق في ألفاظ القرينتين.[1].

ذكر بعض الشواهد :

- أثابه الله خير الثواب، وأجزل الله له العطية في يوم المئاب. (ص11).
- تركتها تعمدا لتفاهتها، أو سهوا لحقارتها. (ص30).
- كله جبال شامخة، وأعلام شاهقة. (ص38).
- من البكاء والعويل، والتضجر من هذا العضو العليل، والداء الوبيل، والعدو الدخيل. (ص52).
- تلحقه الأذيّة، وتصيبه من أجلي البليّة. (ص56).
- فوقع الشقاق، ثم الفراق. (ص52).

كلَّ ذهني وماتت الأفكار وتناهت من الدنا الأعمار.

(ص87).

المبحث الرابع : علم البيان

وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة.

أو هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان، ليتحرر بالوقوف على ذلك من الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد[2].

(1)حسن نور الدين وعلي جمال سلوم، الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل، ص102.

(2)المرجع نفسه، ص102.

المطلب الأول : الاستعـــــارة

1-تعريفهـــا:

- يقول الجاحظ: هي تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه.

- يقول قدامة بن جعفر : الاستعارة فإما احتيج إليها في كـلام العـرب لأن ألفـاظهم أكثـر مـن معانيهم، وليس هذا في لسان غير لسانهم فهم يعبرون عن المعنى الواحد بعبارات كثـيرة ربـما كانـت مفردة له وربما كانت مشتركة بينه وبين غـيره، وربـما اسـتعاروا بعـض ذلـك في موضـع بعـض عـلى التوسع والمجاز.

- يقول ابن المعتز:هي استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها عن شيء قد عرف بها[1].

2- أقسامـــها:

أ- الاستعارة المكنية: وهي أن تحذف المشبه به بعد أن تبقي شيئا مـن لوازمـه تكنـى عنـه بـه ثـم تسنده إلى المشبه المذكور في الكلام[2].

ذكر بعض الشواهد:

-الميل إلى تعاطي العلوم.(ص09). الشرح: شبّه الشيء المادي(المخدرات) بالشيء المعنوي ألا وهو العلوم ودلّ عليه بلازمة من لوازمه التعاطي.

-قلوبا تتعطش إلى التأدّب والأدب.(ص31). الشرح: حذف المشبه به الإنسان وصرّح بالمشبه ألا وهو التأدّب وكنّى عليه بلازمة من لوازمه وهي التعطش.

-ذلك هو القمر الذي غرّني .(ص31). الشرح: عادة ما يكون الغرور للإنسان وليس للقمر فحذف المشبه به الإنسان وصرّح بالمشبه وهو القمر الذي كنّى عليه بلازمة من لوازمه وهي الغرور.

-السراب الذي جرّني .(ص31). الشرح: حذف المشبه به الإنسان وصرّح بالمشبه السراب ودلّ عليه بلازمة من لوازمه وهي (جرّني).

---

(1)عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في البلاغة عند-ضياء الدين بن الأثير، مؤسسة شباب الجامعة للنشر، جامعة الإسكندرية، 1986، ص364.

(2)عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1992، ص66.

-ينبت في القلب شجرة الخنوع .(ص32). الشرح: حذف المشبه به الأرض وصرّح بالمشبه القلب ودلّ عليه بلازمة من لوازمه وهي(ينبت).

-يقلع منه وردة الفحولة .(ص32). الشرح: حذف المشبه به الأرض وصرّح بالمشبه الفحولة ودلّ عليه بلازمة من لوازمه وهي (يقلع).

-مرتديا رداء الوحدة .(ص53). الشرح: حذف المشبه به الستر وصرّح بالمشبه الوحدة ودلّ عليه بلازمة من لوازمه وهي (الرداء).

-متأزرا بإزار الوحشة.(ص53). الشرح: حذف المشبه به الحيوان المتوحش وصرّح بالمشبه الوحشة ودلّ عليه بلازمة من لوازمه وهي (متأزرا).

-أتعاطى فيه السياسة.(ص54). الشرح: حذف المشبه به الإنسان وصرّح بالمشبه السياسة ودلّ عليه بلازمة من لوازمه وهي (التعاطي).

-عيون الحكومة .(ص56). الشرح: حذف المشبه به الإنسان وصرّح بالمشبه الحكومة ودلّ عليه بلازمة من لوازمه وهي (العيون).

-ب- **الاستعارة التصريحية** : وهي كلمة أو جملة لم تستعملها في معناها الحقيقي بل في معنى مجازي لعلاقة هي المشابهة بين المعنيين الحقيقي والمجازي مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي[1].

وهذا النوع من الاستعارة لم توجد له شواهد في هذه المدونة.

المطلب الثاني : الكنايـــة

1- **تعريفـــها**: هي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ.

2- **أقسامهـــا**: ولها ثلاث أقسام، منها المطلوب بها إما غير صفة ولا نسبة أو صفة أو نسبة.

3- أ- الأولى(غير صفة ولا نسبة): فمنهما ما هو معنى واحد.

4- ب- الثانية(عن صفة): وهي ضربان قريبة وبعيدة

5- *القريبة: ما ينتقل منها إلى المطلوب بها لا بواسطة.

(1)عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، ص67.

6- *البعيدة: ما ينتقل منها إلى المطلوب بواسطة.

7- جـ- الثالثة(عن نسبة)[1].

ذكر بعض الشواهد:

نـــدمت ندامـــة الكســـعي لمـــا غـــدّت منـــي مطلقـــة نـــوار

وذلك في (ص28)، كناية عن عدم إلمامه بتلك العلوم المبعثرة في جامع الزيتونة.

- تركت السرور في القصور لأزور الشرور في القبور(ص31)، كناية على تحسره وندامته برجوعه إلى قمار.

- عيونا توشك أن تعلقني في أجفانها (ص31)، كناية على شدة الفرح من طرف أهل قمار.

فألقـــت عصـــاها واســـتقر بهـــا كـــما قـــرّ عينـــا بالإيـــاب المســـافر

وهو في (ص31)، كناية على استقراره في قمار وتجسيد روح العلم والأدب فيها.

فعـش خاليـا فالحـب راحتـه عنـا وأولـــه ســـقم وآخـــره قتـــل

وهو في (ص32)، كناية على شدة تشاؤمه من ناحية الزواج.

- طنّ في أذني فحوى هذه الكلمات (ص33)، كناية على استمتاعه وعذوبة هذه الكلمات.

- أدس أنفي في أخبث الرغام و أغمسه في حمأة الطغام(ص33)، كناية على تقبّله للوضع الذي أمر به كيفما كان.

- ينفض عنهم غبار الجهل (ص43)، كناية على كفاحه ضد الجهل والأمية وحرصه على بث روح العلم والأدب.

- تشتد حماوة القيض ويشتعل تراب الرمضاء في واحات الصحراء(ص46)، كناية على قدرة تحمله البقاء في فصل الصيف في تلك المكان الصعب.

- عدّت أدراجي في الظلام بعدما تحققت حقيقة الأنام (ص48)، كناية على التأسف والتحسر.

- غربت شمس الإصلاح عن هذه البطاح(ص53) كناية على مدى قدرته لنشر العلم وإصلاح حال المجتمع.

(1)الخطيب القروبني، الإيضاح في علوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص330-336.

– التصقت بشغاف القلب وتعلقت بشغاف الفكر(ص59) كناية على تمسكه بالعلم وتعلقه به.

وتجلـــدي للشـــامتين أريهـــم أني لريـــب الـــدهر لا أتضعضـــع

وهو في (ص54) كناية على ثبوته وصموده.

المطلب الثالث : التشبيـــــه

1– تعريفـــــه :

– عند القزويني: الدلالة على مشاركة أمر لآخر في المعنى، والمقصود بقوله مشاركة أمر لآخر المعنى وجه الشبه الذي يجمع بين المشبه والمشبه به كما هو معلوم[1].

– وهو أيضا: الدلالة على مشاركة أم لأمر في معنى مشترك بينهما بإحدى أدوات التشبيه المذكورة أو المقدرة المفهومة من سياق الكلام.

2– أركانـــــه: * المشبـــه* المشبـــه به* وجه الشبـــه* أداة التشبيه.

3– أدواتـــــــه :

- هي ألفاظ تدل على معنى المشابهة والمماثلة والاشتراك وهي: حـروف أفعـال أسمـاء[2]

ذكر بعض الشواهد:

- إذا قدّر له نجاح في هذه الحياة وكأنّ ممن يشار بالبنان (ص01)

الشرح:شبّه حياة الإنسان الذي يأخذ من غيره دون إدراك صفاته ومعرفة كيان ذاته مثل الذي ينظر للبنيان ويشير إليها دون معرفة صاحبها.

كأنّي ناقف حنظل أو آكل المرار(ص07) الشرح: وآكل المُرارِ لقبُ ملكٍ من مُلوك كِندة، وهو الحارثُ جدُّ أبي امرئ القيس ابن حجر، يُسمُّون أولادَه بني آكلِ المُرار[3].

(1)سعد سليمان حمودة، دروس في البلاغة العربية ، دار المعرفة الجامعية، 1999، ص265.

(2)حسن نور الدين وعلي جمال سلوم، الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل، ص104–105–106.

(3)أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، الاشتقاق، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت – لبنان ، ط:1، 1991، ص:22.

كأنك تقرأ بأذنك كتاب من كتب الأدب(ص27) الشرح: شبه الشاعر القراءة التي تقرأ بالعين بالأذن.

- فكأني آدم لما خرج من الجنة إلى الأرض(ص30) الشرح: شبّه الشاعر نفسه بسيدنا آدم – عليه السلام – عند خروجه من تونس إلى قمار دلالة على شدة تأسفه .

- كأني مصحف في بيت زنديق (ص56) الشرح: شبّه الشاعر نفسه بالمصحف غير المرغوب فيه في بلاد الزندقة.

الفصل الثالث:

شعر الشيخ التليلي

– الاتجاهات الإصلاحية

ـ دراسة وتعليقا ـ

المبحث الأول :الحركة الإصلاحية فـي الجزائر

المطلب الأول: مـفهـوم الإصلاح

أ- الإصلاح لغة :

الإصلاح مشتق من الفعل صلح،وقد تناولت العديد من المعاجم العربية مادة (ص ل ح) بالشرح والتفسير باختلاف حركتها واشتقاقاتها،وأخذنا من بينها:

- ✓لسان العرب.
- ✓مختار الصحاح.
- ✓المنجد في العربية .

أولا: لسان العرب لـ**"ابن منظور"**:

وقد جاء فيه عن مادة (ص ل ح) ما يلي :

ص ل ح: الصّلاح: ضد الفساد، صَلَح يَصْلَحُ يَصْلُح صَلاحاً و صُلُوحًا

الإِصلاح: نقيض الإفساد.وأَصْلَحَ الشيء بعد فساده:أقامه.

أَصْلَحَ الدابة:أحسن إليها فَصَلَحَتْ.

الصُّلْحُ: تَصالحُ القوم بينهم.والصُّلْحُ: السِّلْم.

قوم صُلُوح: مُتَصَالِحُون،كأنّهم وصفوا بالمصدر.[1]

ثانيا: مختار الصحاح لـ**"ابن أبي بكر الرازي"** :

ورد فيه أن –ص ل ح– الصّلاح ضد الفساد وبابه دخل. ونقل الفرّاء صَلُحَ أيضا بالضم. وهذا يَصْلُح لك أي هو من بابتك.

الصِّلاحُ بالكسر مصدر (المصالحة) و الاسم (الصُّلْح) يذكّر ويؤنّث.

قد(اصْطَلَحا)و(تَصَالحَا) و(اصَّالحَا) بتشديد الصاد.

---

(1)ابن منظور، لسان العرب ،مج: 2 ،دار الكتب العلمية ، بيروت، لينان ،ط:1 ، ت :1424هـ – 2003م ،تح: عامر أحمد حيدر، ص: 210 – 211.

والإصلاح ضد الفساد،والمَصْلحة واحدة (المصَالح) و(الاسْتِصْلاحُ)ضد الاستفساد.[1]

الحركة الإصلاحية في الجزائر

ثالثا: المنجد في **"للويس معلوف"**:

مثله مثل بقية المعاجم تناول العديد من اشتقاقات مادة (ص ل ح) نذكر منها :

صَلُحَ ـ صَلَحَ ـ صَلاحًا- صَلُوحًا- صَلاحِيةً. ضد فسد أي زال عنه الفساد.

- أصلح الشيء: ضد أفسده.

- استصلح الشيء: ضد استفسده.

- الصالح ضد الفاسد.

- المصلحة ما يبعث على الصّلاح.ما يتعاطاه الإنسان من الأفعال الباعثة على نفعه أو نفع قومه.

(ج: مَصَالِح)،ويقال: **"هو من أصل المفاسد لا المصالح"**[2]

لقد عرضنا تعريف الإصلاح في أكثر من معجم،لكي تكون نظرتنا أوسع وأشمل ولا تكون من باب واحد.

لكن ما نخلص إليه من خلال تلك التعريفات أنّها تتفق على مفهوم واحد للإصلاح ألا وهو نقيض الإفساد.

ب- الإصلاح اصطلاحا :

إن النهضة بالمجتمع وتحسينه والانتقال به من حالة هو عليها إلى حالة أفضل، ورفعه إلى مصافي الحياة الكريمة؛ تلك هي غاية الإصلاح الذي نورد له هذه التعريفات:

(1)ابن أبي بكر الرازي، مختار الصّحاح، دار مكتبة الهلال ، بيروت ،لبنان،(د ط)، ت: 1988 ،ص: 367.

(2)لويس معلوف، المنجد في اللغة، معجم اللغة العربية، ط:1،(دت) ،ص: 445- 446.

✓ الإصلاح هو تحسين أحد الأنماط الاجتماعية مع التأكيد على الوظيفة لا على البنيان وتهدف حركة الإصلاح إلى إزالة المساوئ وعدم التوافق بدون محاولة تغيير الأوضاع الأساسية للمجتمع نفسه.

✓ والمذهب الإصلاحي: هو الاتجاه إلى التغيير الاقتصادي والاجتماعي تدريجيا بإجراء إصلاحات جزئية من طبيعتها المحافظة على الوضع الراهن وتقويته .[1]

✓صلاحية:هي قدرة طبيعية على اكتساب أنماط عامة من السلوك، سواء أكانت من نوع المعرفة أم من نوع المهارة.[2]

✓ إذن نستطيع أن نقول أن الإصلاح هو تطهير النفوس من أخطائها، فإصلاح النفس يأتي بمعالجتها بالتوبة الصادقة،في حين أن إصلاح البدن يأتي بمعالجته بالدواء والحمية.

✓ والإصلاح تغيير إيجابي يشمل شتّى المجالات الحياتية سواء الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية أو الدينية وغيرها.

✓ ويكون الإصلاح على مستوى شخص الفرد في حد ذاته سواء بالجانب النفسي أو البدني .

إذن فالإصلاح هو: المحاربة والقضاء على الفساد،وهو رسالة يلتزم صاحبها بالدفاع عن أفكاره والدعوة إليها لذلك قالوا إصلاحي أو مصلح .

المطلب الثاني: الإصـــلاح فـي الـقـرآن الـكريـم

لقد وردت كلمة الإصلاح في القرآن الكريم بعدة أشكال أو صيغ مختلفة ،لكن هناك سؤال يراودنا وهو هل اختلاف هذه الأشكال صحبه اختلاف في المعنى ؟ هذا ما سنعرفه من خلال تناولنا لبعض الآيات الكريمة وتفسيرها، معتمدين على ثلاثة تفاسير :

ابن كثير ـ القرطبي ـ السعدي.

---

(1)أحمد زكي بدوي ،معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية،إنجليزي- فرنسي- عربي،مكتبة بيروت، لبنان،(د ط)(دت)،ص: 349-350.

(2)يوسف خياط ،معجم المصطلحات العلمية والفنية ،عربي- فرنسي-إنجليزي-لاتيني، مج:4 ،دار لسان العرب،بيروت،(د ط)،(د ت)، ص: 386 .

❖ **قال تعالى:** ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِن نَّجْوَاهُمْ إِلاّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ،وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ اِبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ الله فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1]

-تفسير"**ابن كثير**" في ﴿إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ أي إلا نحوى من قال ذلك .

وقال "**الإمام احمد**" عن أمه "**أم كلثوم بنت عقبة**" أن الرسول ﷺ لم يرخص في شيء مما يقوله النّاس إلا في ثلاث: في الحرب والإصلاح بين النّاس وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها.

وقال "**الحافظ بكر البراز**" عن "**أنس**"أن النبي ﷺ قال" **لأبي أيوب**" :«أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَىَ تِجَارَةٍ؟»قال:بلى يا رسول الله.قال:«تَسْعىَ فِي إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا تَفَاسَدُوا، وَتُقَارِبَ بَيْنَهُمْ إِذَا تَبَاعَدُوا»[2].

- أما "**السعدي**" فيقول في قوله عزّ وجل:﴿أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾والإصلاح، لا يكون إلا بين متنازعين متخاصمين ،والنزاع والخصام والتغاضب يوجب من الشر والفرقة ما لا يمكن حصره.

لذلك حث الشّارع على الإصلاح بين النّاس في الدماء والأموال والأعراض كما قال تعالى:﴿والصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ والساعي في الإصلاح بين النّاس أفضل من القانت بالصلاة والصيام والصدقة ،والمصلح لا بد أن يصلح الله سعيه وعمله [3].

- قال" **القرطبي** "في تفسيره لقوله تعالى:﴿ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ عن "**أنس بن مالك**"رضي الله عنه قال:" من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة ".

---

(1)سورة النساء، الآية: 114.

(2)ابن كثير ،تفسير ابن كثير، ج:1، دار و مكتبة الهلال ، بيروت، لبنان ط:1، ت: 2004م ،ص: 512 .

(3)عبد الرحمان السّعدي ،تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ،مكتبة الصفا،القاهرة، مصر،ط:1،ت:1425هـ -2004م، ص:181

وقال" **محمد بن المُنكَدِر**" تنازع رجلان في ناحية المسجد فملت إليهما فلم أزل بهما حتّى اصطلحا، فقال "**أبو هريرة**" وهو يراني: سمعت رسول الله ﷺيقول :« مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ اثْنَيْن اِسْتَوْجَبَ ثَوَابَ شَهِيدٍ»[1].

❖ **قوله تعالى:**﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ ،وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2].

– يقول" **ابن كثير**" في تفسير هذه الآية :

روى "**الأمام أحمد**" أن امرأة سرقت على عهد رسول الله ﷺ فجاء بها الذين سرقتهم فقالوا: يا رسول الله، إنّ هذه المرأة سرقتنا قال قومها:فنحن نفديها فقال رسول الله ﷺ: «اقطعوا يدها».فقالوا: نفديها بخمسمائة دينار، فقال:« اِقْطَعُوا يَدَهَا ». قال:فقطعت يدها اليمنى فقالت المرأة:هل لي من توبة يا رسول الله ؟قال:« نَعَمْ أَنْتِ اليَوْمَ مِنْ خَطِيئَتِكِ كَيَوْمَ وَلَدَتْكِ أُمُكِ» فأنزل الله قوله تعالى:﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

– وعند" **السّعدي**":يغفر لمن تاب، فترك الذنوب، وأصلح الأعمال والعيوب وذلك أن الله له ملك السموات والأرض، يتصرف فيهما بما شاء من التصاريف القدرية والشرعية، والمغفرة والعقوبة بحسب ما اقتضته حكمته ورحمته الواسعة ومغفرته[3] .

❖ **قوله تعالى:** ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾[4].

سنواصل عرضنا لتفاسير الآيات للوقوف أكثر على معاني الإصلاح .

– يقول" **ابن كثير**" في تفسيره لهذه الآية :أي فيما آمركم وأنهاكم إنما مرادي إصلاحكم جهدي وطاقتي.[5]

---

(1)ابن عبد الله القرطبي ،تفسير القرطبي ،مج:1 ،دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط:1 ،ت: 2000م ،تح: سالم مصطفى البدري، ص: 246– 247 .

(2) سورة المائدة، الآية: 39

(3)عبد الرحمان السّعدي ،المصدر السابق، ص: 210.

(4)سورة هود، الآية: 88.

(5)ابن كثير ،المصدر السابق، مج:4 ص: 344.

– أما" **السعدي**":فيقول: أي ليس له من المقاصد إلا أن تصلح أحوالكم ،وتستقيم منافعكم وليس لي من المقاصد الخاصة لي وحدي شيء بحسب استطاعتي. وهو قول سيدنا شعيب عليه السلام.[1]

– ذكر"**القرطبي**" في تفسير لقوله تعالى:﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ أي ما أريد إلا فعل الإصلاح أي أن تصلحوا دنياكم بالعدل وآخرتكم بالعبادة وقال ﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾ لأن الاستطاعة من شروط الفعل دون الإرادة (مَا) المصدرية أي أنا أريد الإصلاح جهدي و استطاعتي.[2]

❖ **قوله تعالى** :﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾.[3]

وقد جاء تفسير هذه الآيات عند" **ابن كثير**" أي عملا تحيه وترضاه توفني وألحقني بالصّالحين من عبادك ،والرفيق الأعلى من أوليائك .[4]

– قال "**السعدي**"في الآية: ﴿أَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ أي وفقني أن أعمل صالحا ترضاه،لكونه موافقا لأمرك، مخلصا فيه سالما من المفسدات والمنقصات؛﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ﴾ التي منها الجنة (فِي) جملة ﴿عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ فإن الرحمة مجعولة للصالحين،على اختلاف درجاتهم ومنازلهم، وهذا نموذج الله سبحانه من حالة سيدنا سليمان عليه السلام عند سماعه خطاب النملة وندائها.[5]

من خلال ما تناولنا من تفاسير للآيات نجد أن الإصلاح ورد في القرآن الكريم بسياقات مختلفة أدت إلى اختلاف معنى الإصلاح فهناك:

(1)عبد الرحمان السّعدي، المصدر السابق، ص: 366.

(2)ابن عبد الله القرطبي ،المصدر السابق، مج: 5 ،ص: 60.

(3)سورة النّمل، الآية : 19.

(4)ابن كثير ،المصدر السابق، مج:3 ، ص: 465.

(5)عبد الرحمان السّعدي،المصدر السابق، ص: 578.

– إصلاح **ذاتي** وهو إصلاح لنفسه دون تدخل فرد آخر لتوجيه سلوكه مثل :المذنب الذي يهديه الله فيتوب عن المعاصي .

– وإصلاح **عام** وهو الذي يقوم به الفرد من أجل إصلاح غيره أو مجتمعه، وهو مثل ما يفعله الرسل عليهم السلام و اخترنا له هذا الاسم (عام) لسببين هما :

✓الأول :لأنه يشمل عامة أو كافة الناس ،فهو إزالة فساد قائم عن غيرنا .

✓الثاني :هو أن هذا الإصلاح يشمل مختلف المجالات في الحياة .

إذن الإصلاح هو العمل بما يرضي الله سبحانه وتعالى لإزالة الفساد في أي مكان وزمان وأي مجال وهو نوعان: إصلاح الفرد لذاته، وإصلاح الفرد لغيره .

المطلب الثالث:الـحركـة الإصـلاحـــية

إن الوضع المتردي الذي عاناه أبناء الجزائر إبّان الاحتلال الفرنسي، المعروف بالاضطهاد الفكري والعقائدي، وذلك بسب ما نُشِرَ من أوهام وخرافات وبدع، إضافة إلى ما عاشه المجتمع من تخلف جرّاء الذل والقهر واغتصاب للحرية ،فلم يكن هذا إلا دافعا قويا لنهوض ثلة من أبناء هذا الشعب الأبي لنسف غبار التأخر والجمود،والدعوة إلى التجديد في مختلف مجالات الحياة ،ويبعثوا فيه الأمل للاستمرار والنضال والتضحية والإيمان بالاستقلال؛لأنهم تأثروا بالفكر الإسلامي ومبادئه في المشرق .[1]

لهذا كانت للحركة الإصلاحية بالجزائر جذور عميقة بذرتها الأولى نشأت في المشرق، حيث أن للتطور الديني والثقافي الذي أحدثاه كلا من "محمد عبده" و"جمال الدين الأفغاني" تأثيرات في نفوس بعض الجزائريين،فأخذت أفكارهم الإصلاحية الأخلاقية والدينية تمتد شيئا فشيئا في العقد الثاني من القرن العشرين ،خصوصا بعد زيارة **"محمد عبده" للجزائر**.[2]

(1)ينظر، عمار طالبي، ابن باديس حياته وآثاره ، الأمام عبد الحميد بن باديس ،ج: 3، دار اليقظة العربية، الجزائر، ط: 1،ت: 1388هـ – 1968م،ص:15.

(2)ينظر، علي مراد ،الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من1925–1940،تر:محمد يحياتي،دار الحكمة ،(دط)، (دت)، ص: 3.

وكل هذه الظروف التي سيطرت على أذهان الكثير من أفراد الشعب، هو الأمر الذي مهد لظهور الحركة الوطنية بقيادة **"الأمير خالد"** 1919م، ولأنه كان عارفا بالحضارة الإسلامية الأوروبية ومحاربا قديما فقد عدت حركته بذرة للحركة الإصلاحية بـ:**الجزائر**،والـتي أصبحت فعلية لا فكرية ،ما مكنه من دخول المعركة السياسية وتعيينه في منصب المتحدث الرسمي باسم الحركة الوطنية الجزائرية ،ما سمح له القيام بالعديد من النشاطات التي يهدف من خلالها الحصول على بعض الحقوق الإنسانية لأبناء وطنه التي هضمها لهم المستعمر،فقد وجه رسالة إلى الرئيس إلى باريس كي يظل تحت المراقبة.[1]

غير أنّ السلطات الاستعمارية كشفت أمره نواياه تجاهها،فضيقت عليه الخناق وتعرض لمضايقات عدة ،انتهت بنفيه الأمريكي "ويلسون" سنة 1913م تتضمن بعض مطالب الجزائريين.

أما عن نشأة التكتلات السياسية في **الجزائر** فقد سبقت ظهور **"الأمير خالد"**، والتي كانت لها مجهودات كبيرة في الساحة السياسية ، ك:**كتلة النخبـة** تحت قيادة **"ابن التهامي"** و**كتلة المحـافظين** التي تسلم قيادتها **"ابن موهوب"** و**"ابن سماية"** هذا الأخير كان متأثرا كثيرا بأفكار **"محمد عبده"**[2]

ولم يتوقف نشاط الجزائريين بعد نفي **"الأمير خالد"**، الذي أعطى قيادة جديدة في **الجزائر**؛ فقد برز حزب سياسي جديد سنة 1926م يدعو إلى التغيير الجذري لأوضاع البلاد مع المطالبة بالاستقلال ،وهو **حزب نجم شمال إفريقيا** بقيادة **"مصالي الحاج"** ، الـذي قام بنشاط دؤوب على مختلف المستويات، فيُعْتَبَر خطوة كبيرة في الإصلاح،ومن أبرز مطالبهم حرية الأرض والشعب في حق التعليم ببناء المدارس، وحرية الصحافة لإيصال صوتهم و صدى صرختهم لبقية الشعوب ، وذلك بتركيزهم على ثلاث أفكار هـامـة :

- ✓ فكرة الوطنية .

(1)ينظر، أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930 ،ج:1، دار الغربي الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: 4 ، ت: 1992م ،ص: 360.

(2)ينظر،أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 361.

- ✓ فكرة العروبة بالمناداة بالتعليم العربي .
- ✓ استرجاع مكانة اللغة العربية .

وفي غمار هذه الحركات ، ظهرت "**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**"،ذات الهدف الاجتماعي والبعد السياسي والتي ترئسها الشيخ "**عبد الحميد بن باديس**"، فقد قيض الله لهذا الشعب،التي كادت سياسة البدع والأراجيف أن تؤثر فيهم؛ علماء مخلصين وحدوا كلمتهم تحت اسم هذه الجمعية الإسلامية.[1] ولأنّ "**ابن باديس**" كان يؤمن بالعمل الجماعي المنظم ، فجمع الدعوة اللفظية بالعمل الإصلاحي، وعلى هذا الأساس تشكلت هذه الجماعة التي تفكر وتدير وتخطط وتنظم ؛لأن هذا ما تتطلبه النهضة الإصلاحية.[2]

تزامن ذلك مع عودة هؤلاء العلماء أو الطلبة الذين أنهوا دراساتهم من بلاد المشرق ، حيث تلقوا من بحر العلوم العديدة ما ينير عقولهم ويضيئون به طريق غيرهم، ومن أمثال هؤلاء الشيخ "**الطيب العقبي**" الذي عاد من **الحجاز** ، و"**البشير الإبراهيمي**"الـذي رجع من **بلاد الشام** ،أما "**العربي التبسي**" و"**المولود الحافظي**" إضافة إلى الشيخ "**الرزقي الشرقاوي**" فقد عادوا من **مصر** بعد تخرجهم من **جامع الأزهر**.[3]

كان الميلاد الفعلي **لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين** في 05 مايو 1931م(الخمس من مايو ألف وتسع مئة وواحد و ثلاثين في **الجزائر العاصمة** بزعامة "**عبد الحميد بن باديس** "[4].

وحملت هذه الجمعية على عاتقها تطهير الدين الإسلامي مما الحق به الاستعمار من خرافات وبدع، وإيقاد شعلتها الوضّاءة التي بذل الاستعمار لإخمادها كل غال ونفيس[1] .

---

(1)أحمد الخطيب ،الثورة الجزائرية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط: 1، ت: 1958 ،ص: 22.

(2)أحمد الخطيب ،جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،(د ط)،ت: 1985، ص: 96.

(3)الونّاس شعباني ،تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، (د ط)،(د ت)، ص: 13 .

(4)علي مرّاد ،المرجع السابق، ص: 143.

كما نادى "**عبد الحميد بن باديس** "إلى إصلاح التعليم وإصلاح الدين، وتجديد مفاهيم العقيدة الإسلامية التي لا ينبغي أن تظل جامدة بالية بل يجب أن تساير العصر، وتواكب مصالح المسلمين تبعا لتغير الزمان والمكان لأن الإسلام دين عالمي.[2]

وإثر هذا النشاط الإصلاحي؛ نشأ صراع عنيف بين **جمعية العلماء** والمستعمر الفرنسي، فاستخدمت **فرنسا** جميع الأسلحة و الوسائل ، حيث كانت تُحَرِّضُ الطرقيين وأصحاب الزوايا على الجمعية؛ بأنها ستطيح حتما بمراكزهم الدينية،وإثارة الفتن بينهم من أجل تعطيل عمل الجمعية،وصرف الأنظار عنها،لكن هذا لم يعق النخبة من العلماء في مواصلة نشاطهم الاجتماعي والسياسي على الصعيد الوطني فقد تصدوا لهذا الصراع ووقفوا لهم بالمرصاد دفاعا عن الحق والحرية.[3]

لذلك قام علماء الجمعية يخطبون في الناس، موضحين لهم مبادئها لنشر الدين الصحيح بكل الوسائل التربوية، ونشر التعليم الديني الحر، كما عززوها بالصحافة الوطنية والمجلات فقد انشئوا جريدة **البصائر** كما قاموا بحملات دعوية وتفسيرية خاصة في الزوايا وكافة مراكز المذهب الإصلاحي .[4]

ولم يتوقف نشاط **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** على الجانب الإصلاحي الديني وحده، الذي حماها مدة من التصادم مع الاستعمار، بل تجاوزته إلى النشاط السياسي النضالي، حيث كانت له أهداف مشتركة مع شعارات الأحزاب الوطنية في المطالبة بالاستقلال .

استمرت الجمعية في العمل السياسي والدعوي الإصلاحي إلى أن تفطن المحتل لأعمالها الكفاحية، فقد رفضت كل العروض و المساومات المقدمة لها من طرف **فرنسا**، وهذا ما أدى إلى

---

(1)أحمد الخطيب ،الثورة الجزائرية، المرجع السابق،ص: 123.

(2)عبد الملك مرتاض ،نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1954، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر ،ط: 2 ، ت: 1983، ص: 80 .

(3)أحمد الخطيب ،المرجع السابق ،ص: 123.

(4)علي مرّاد ،المرجع السابق، ص: 150.

تعطيل صحفها وإغلاق مدارسها و نفي واعتقال رجالها، من ضمنهم" **البشير الإبراهيمي**" و"**محمد العيد أل خليفة**" إضافة إلى "**الطيب العقبي**" و"**محمد الأمين العمودي**" وغيرهم، ونحن الآن سنتطرق لهم من خلال الحديث عن إنجازاتهم وأعمالهم العظيمة إضافة إلى أشعارهم الدعوية الإصلاحية .[1]

فما يمكننا قوله أن الحركة الإصلاحية في **الجزائر** لم تحملها كتلة أو حزب واحد بل تعاقبت عليها أحزاب كثيرة ؛بغية تحقيق الهدف المنشود ألا وهو الاستقلال ، وذلك عائد إلى وجود علماء بهذه القيمة مؤمنين إيمانا راسخا بالإصلاح ومتأثرين بالوضع الذي يعانيه أبناء وطنهم .

(1)ينظر،محمد بن سعيد طالبي، الشيخ محمد الطاهر التليلي ومنظومته قواعد البيان في الثابت والمحذوف في القرآن على رواية ورش، جامعة الحاج لخضر،عنابه،إ:منصور كافي،2007م-2008م،رسالة ماجستير علم القراءات، ص: 4.

المبحث الثاني :أعـلام الحـركة الإصـلاحية في الجـزائـر

لقد خصصنا هذا المطلب للتعريف ببعض العلماء الذين ساهموا في بناء **الجزائر** سياسيا دينيا اجتماعيا من خلال شعرهم على أسس أخلاقية نبيلة بأهداف إصلاحية و ثورية وقد وقع جل تركيزنا على الأعلام كالتالي :

المطلب الأول:عبـد الحمـيد بن باديس

الإمام العلاّمة " **عبد الحميد بن باديس**" رائد النهضة الاجتماعية والعلمية الإصلاحية صاحب فكرة تأسيس **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** ؛وهذا لإيمانه بالعمل الجماعي المنظم ،فهو رجل عاش للإسلام و**الجزائر**.[1]

وهو من قال فيه "**محمد العيد آل خليفة**" :

بِمِثْلِكَ تَعْتَزُ الْبِلاَدُ وَتَفْخَـــرْ وَتُزْهِرْ بِالْعِلْمِ الْمُنِيرِ وَتَزْخَـرُ
طُبِعْتَ عَلَى الْعِلْمِ النُّفُوسُ نَوَا شِينَا بِمُخْبِرٍ صِدْقٍ لاَ يُدَانِيهِ مُخْبِرُ
نَهَجْتَ لَهَا فِي الْعِلْمِ نَهْجَ بَلاَغَـةٍ وَنَهْجَ مَفَادَاةٍ كَأَنَّكَ حَـيْدَرُ[2]

مولده ونشأته :

هو "**عبد الحميد بن باديس** "بن "**محمد المصطفى**" بن" **المكي** "ولد سنة 1306هـ/ 1889 م في مدينة قسنطينة، من أسرة عريقة ومشهورة علميا وماليا وسياسيا في تاريخ **الجزائر**، حفظ القرآن الكريم على يدي معلمه الخاص" **محمد المداسي**" كما تلقى تعليمه الأول للعلوم العربية والإسلامية على يدي أستاذه" **أحمد بوحمدان لونيسي**".[3]

---

(1)أحمد الخطيب ،جمعية العلماء المسلمين الجزائرية ،المرجع السابق، ص: 96 .

(2)محمد العيد محمد علي خليفة،ديوانه، ط: 3 ،الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب،(دت) ،ص:155.

(3)ينظر،الربعي بن سلامة ،عمار ريس ،محمد العيد ،عزيز العكايشي ،موسوعة الشعر الجزائري ،ج:1 ،دار الهدى ، الجزائر، ط:1،ت:2002، ص:37.

والعلاّمة كبقية أقرانه أراد مواصلة دراسته وزيادة للعلم والفائدة ؛انتقل إلى **جامع الزيتونة بتونس** وبعودته إلى **الجزائر** اتجه لأداء مناسك الحجّ وهناك التقى بالشيخ "**البشير الإبراهيمي**" لأول مرة .[1]

ثم عاد بعدها ليستقر بوطنه **الجزائر**، ليشتغل بها معلما ومربيا للصّغار وموجها للكبار، عن طريق تفسير القرآن الكريم والسيرة النبوية المحمدية في المساجد والنوادي، فهو من أوائل المفسرين لكتاب الله في **الجزائر**.[2]

وأبرز الأدلة على حرص العلاّمة " **ابن باديس**" على نشر الإصلاح والوعي بين أفراد الشعب الجزائري هو إنشاؤه **لجمعية العلماء المسلمين** ورئاسته إيّاها وكما كان إماما أيضا عالما وخطيبا وشاعرا مقلا. [3]

وفـاتـه :

فارق المناضل الكبير"**عبد الحميد بن باديس**" الحياة ليلة الثلاثاء 8 ربيع الأول 1359هـ الموافق لـ: 16 أفريل (نيسان) 1940م في مدينة **قسنطينة** إثر مرض أودى بحياته لكن أعماله الإصلاحية أبقته خالدا .[4]

آثـاره :

ومن أبرز أعماله الشاهدة والمرسِّخة لإنجازاته :

✓ كتاب العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وهو عبارة عن دروس كان "**ابن باديس** " يلقيها على طلابه .

(1)ينظر،أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص: 121.

(2)ينظر،الربعي بن سلامة ،عمّار ويس ،محمد العيد ،عزيز عكاشة ، ص: 37.

(3)ينظر،عبد الملك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين،دار هومة، الجزائر،(د ط)،ت: 2008،ص: 68.

(4)أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص: 146.

✓ تفسير ابن باديس أو مجلس التذكير من كلام الحكيم الخبير، وهو عبارة عن مجموع ما نشر من تسير لبعض آيات القرآن الكريم "الشهاب ".

✓ ابن باديس حياته وأثاره إعداد وتصنيف عمار الطالبي.[1]

ولقد كان العلاّمة كما ذكرنا سابقا مقلا في أشعاره ولم يجمع شعره في ديوان، ورغم ذلك فهو من الشعراء الفحول ويمتاز شعره بالسلاسة والعذوبة وسرعة الحفظ ومن أشعاره:

✓السياسة في نظر العلماء سنة 1937 .

✓تحية المولد الكريم .

✓القومية والإنسانية 1938 .[2] وغيرهم كثير من القصائد الرائعة.

مما سبق ندرك أن الإمام **"عبد الحميد ابن باديس"** من العلماء العظماء،ومن أكبر المصلحين الإسلاميين غايته نشر القيم النبيلة والأخلاق الحميدة وكان هذا بجهد عظيم .

شعر عبد الحميد بن باديس :

لقد كان لهذا الشيخ مقتطفات شعر كأنها درر، ولأنه من مشاهير الإصلاح في الوطن العربي كان شعره هادفا إلى التغيير وإصلاح حال الناس فشعره يتميز بصياغته الجذابة ومحتواه الهادف.

نأخذ هذا المقطع مثلا:

حَيِيـــــتَ يَـــا جَمْـــعَ الأَدَبِ وَرَقِيتَ سَامِيَةَ الرُّتَـبِ.

وَوُقِيـــــتَ شَرَّ الكَائِـــــدِينَ ذَوِي الدَّسَائِسِ وَالشَّغَبِ.

وَمُنِحْـــــتَ فِي العَلْيـــــاَ مَـــــا تَسْمُوا إِلَيْهِ مِنْ أَدَبِ. [3]

ففي هذه الأبيات يشيد بالعلم وأصحابه ومكانتهم الممجدة في المجتمع .

(1)أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،ص: 146.

(2)عمار طالبي ،المرجع السابق،ج: 1 ، ص: 264 .

(3)الربعي بن سلامة، عمار ويس، محمد العيد، عزيز العكايشي ،المرجع السابق، ص: 38.

قال أيضا وهو يدعوا إلى التخلق بالفضائل والخصال الحميدة التي توصل الناس إلى بر الأمان وتبعدهم عن الرذائل التي توقعهم في المخاطر، فالأخلاق توحدهم وتقويهم على الأعداء فيقول :

خُـــذْ لِلْحَيَـــاةِ سِلاَحَهَـــا وَخُضْ الخُطُوبَ وَلاَ تَهَبْ.
وَأَذِقْ نُفُـــوسَ الظـــالمين السُّـــمَ يَمْـــزُجُ بِالرَّهـــبِ.
وَاقْلَـــعْ جُـــذُورَ الخَائِنِـــينَ فَمِـــنْهُمْ كُـــلَّ العَطَـــبِ. [1]

المطلب الثاني:محمد البشـير الإبراهـيمي

الشيخ "**محمد البشير الإبراهيمي** "من أبرز ممثلي المدرسة الإصلاحية الإسلامية الجزائرية وثاني رؤساء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المنادي ببناء المدارس للتربية والتعليم والإصلاح الديني والأخلاقي، لكي تعم الفائدة القطر الجزائري بأكمله .

مولده وحياته :

ولد "**الإبراهيمي**" في 14 جوان ،حزيران 1889م في قرية "**سيدي عبد الله**" من عشيرة أولاد إبراهيم الفلاحية، التي تقطن نواحي مدينة **سطيف** ببلدة **رأس الوادي**، حفظ القرآن الكريم ودرس بعض الفنون في الفقه واللغة العربية على يد والده وعمه.[2]

وفي سنة 1911م توجه إلى المشرق حيث واصل دراسته في **المدينة المنورة**، وهناك زاد اكتشافا للفكر الإسلامي، وكان يقدم دروسا **بمسجد الأمويين**بـ:**دمشق** وارتبط بالأوساط الأكبر استلهاما لفكر المصلح "**رشيد رضا**".[3]

عاد "**الإبراهيمي**" إلى وطنه **الجزائر** سنة 1921م وعمل طوال العشرية الثالثة من القرن العشرين مع "**ابن باديس**" والعلماء الآخرين؛ من أجل التحضير الجاد لإصلاح أوضاع الجزائريين التربوية والثقافية والدينية والاجتماعية .[1]

(1)ينظر،أحمد الخطيب ،جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص: 148.

(2)المرجع نفسه ، ص: 148.

(3)ينظر، أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ص: 102.

اشتغل نائبا لـ:"**عبد الحميد بن باديس**" عام 1931م في **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** وعمل طوال العقد الرابع في المنطقة الغربية من القطر الجزائري ،أُنتخب "**الإبراهيمي**" سنة 1940م بعد وفاة "**ابن باديس**" رئيسا للجمعية وهو لا يزال في المنفى، وهذا يبرز مدى جهاد الشيخ العلامة وعدم انقطاعه عن مزاولة نشاطه الإصلاحي وكانت همزة الوصل بينه وبين الجمعية هي عائلتــه .[2]

وفـــــاتـــــه:

أصيبت **الجزائر** كلها والأمة العربية الإسلامية بأسرها بفاجعة وفاة هذا الأديب، والمصلح والشاعر والمجاهد العظيم الشيخ "**محمد البشير الإبراهيمي**" يوم الخميس 20 مايو 1965م، ودفن في مقبرة **سيدي محمد** في **الجزائر العاصمة** .[3]

آثاره :

ما خفف مصاب الأمة العربية الإسلامية هو ما خلفه العلاّمة من كتابات وشعر، سيبقى دائما يدعوا إلى الإصلاح في شتى المجالات فمن آثاره :

– الفكرية المطبوعة عيون البصائر وهي مجموعة من المقالات كتبها لجريدة **البصائر** .

– وهناك مخطوطات لم تنشر تتعلق بشؤون لغوية وأدبية منها :

- ✓أسرار الضمائر العربية .
- ✓التسمية بالمصدر .
- ✓الاطراد والشذوذ في اللغة .
- ✓كاهنة الأوراس .
- ✓رسالة الضب .
- ✓وللإبراهيمي أيضا أرجوزة شعرية طويلة تتألف من ستة وثلاثين ألف بيت. [1]

(1)ينظر، الربعي بن سلامة ، عمّار ويس ،محمد العيد ،عزيز العكايشي ، ص: 4

(2)عبد الملك مرتاض ،مرجع سابق، ص: 5

(3)أحمد الخطيب ،جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص: 149.

شعر محمد البشير الإبراهيمي:

بما أن الشيخ "**البشير الإبراهيمي**" كان يمثل الثورة الجزائرية لدى ملوك ورؤساء الدول العربية والإسلامية، فقد كانت له إسهامات عظيمة في الإصلاح بكل اتجاهاته، على وجه الخصوص الإصلاح الديني، حيث أنه نظم قصيدة بعنوان **الإسلام** يمجد فيها الدين الحنيف دين الانفتاح والتطور وبطريقته السلسة يحاول جلب الناس لإتباع هذا الدين فيقول :

بُورِكْتَ يَا دِينَ الهُدَى مَا أَثْبَتَكَ حَقَكَ بَت المُبْطِلِينَ وَبتك
مَنْ ذَا يُجَارِيكَ؟وَأَنْتَ السَّبِيلَ وَالسُّبُلَ فِيهِ غَرَقٌ وَوَيْلُ.
مَنْ ذَا يُسَارِيكَ ؟وَأَنْتَ النَّجْمُ النَّجْمُ نُورُ الهَدْيِ وَرَجْمُ
شِعَارُكَ ؟الرَّحْمَةُ وَالسَّلاَمُ للعالمين واسمك الإسلام (2)

وقد آمن الشيخ أن الشباب أمل الأمة وعدة المستقبل، ولن يفلح في بناء الأمة إلا إذا تحلى بالأخلاق الفاضلة والتمسك بالمبادئ الرفيعة، وهذا ما يبرز أن الشيخ قد اهتم أيضا بالإصلاح الاجتماعي، فيقول للشباب : أحب منه ما يحب القائل :

أُحِبُّ الفَتَى يَنْفِي الفَوَاحِشَ سَمْعَهُ كَأَنَّ بِهِ مِنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ وَقْراً

وأهوى منه ما يهوي المتنبي :

وَأَهْوَى مِنَ الفِتْيَانِ كُلَ سَمَيْدَعٍ أَرِيبٌ كَصَدْرِ السَمْهَرِي المَقُومِ
خَطْتَ تَحْتَهُ العَيْشَ الفُلاَةَ بِهِ الخَيْلَ كَبَاتِ الخَمِيسِ العَرَمْرَمْ.

يَا شَبَابَ الجَزَائِرْ هَكَذَا كُونُوا ! ....أَوْلاَ تَكُونُوا ! ...(3)

(1)محمد البشير الإبراهيمي،عيون البصائر ،المقالات التي كتبها افتتاحيات لجريدة البصائر خاصة، دار المعارف،القاهرة،(دط)، ت: 1863 ،ص: 541.

(2)محمد البشير الإبراهيمي،عيون البصائر ،المقالات التي كتبها افتتاحيات لجريدة البصائر خاصة، دار المعارف،القاهرة،(دط)، ت: 1863 ،ص: 579.

(3)المرجع نفسه،ص: 579.

وقد اهتم "**البشر الإبراهيمي**" بالمغرب الأقصى وأهدى هدية إلى حماة العروبة وهي قصيدة بعنوان: **سكت ...وقلت** ... يقول فيها :

سَكَتَ فَقَالُوا: هُدْنَةٌ مِنْ مُسَالِمٍ وَقُلْتُ فَقَالُوا ثَوْرَةٌ مُحَارِبِ
وَبَيْنَ اخْتِلاَفِ النُّطْقِ وَالسَّكْتِ لِلْنُّهَى مَجَالُ ظَنُونُ ،وَاشْتِبَاهُ مُسَارِبِ
وَمَا أَنَا إِلاَّ البَحْرُ يَلْقَاهُ سَاكِنـاَ وَيَلْقَاكَ جَيَاشًا مَهُولَ الغَـوَارِبِ[1]

ويظهر أن "**الإبراهيمي**" يهدد الاستعمار ويخيفه من ثورة المغرب الأقصى .

المطلب الثالث:الطيـب العقبـي

إن الدعوة الإصلاحية الدينية والأخلاقية التي قام بها الشيخ" **الطيب العقبي**" جعلته إلى حد بعيد رائدا من الرّواد المهاجمين للبدع المفسدة للدين الإسلامي وترهات الطرقية الضالة فكان يدعو بضرورة التطور و الإصلاح وإظهار حقيقة الإسلام العظمى وعقيدته الصافية .

مولده ونشأته :

ولد" **الطيب العقبي** "بن" **محمد إبراهيم**" من عائلة "**محمد بن عبد الله**" في شهر شوال عام 1307هـ/ 1889م في بلدة **سيدي عقبة ببسكرة** وهو ينتسب إلى **قبيلة أولاد عبد الرحمن**.

وفي سن الخامسة هاجر مع عائلته إلى الحجاز حيث استقر في المدينة المنورة فحفظ القرآن الكريم بالمسجد النبوي وما لبث أن أصبح معلما في نفس الحرم الذي تعلم فيه .[2]

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى تولى رئاسة تحرير جريدة **القبلة** ،وفي سنة 1920م عاد إلى **الجزائر** فصار بها واعظا وخطيبا ومعلما في مساجد **بسكرة** ساهم في النهضة الإصلاحية والوطنية في **الجزائر** سواء بمشاركته في تأسيس **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** وإدارتها أو بما كتب من مقالات

(1)محمد البشير الإبراهيمي،عيون البصائر ،المقالات التي كتبها افتتاحيات لجريدة البصائر خاصة، دار المعارف،القاهرة،(دط)، ت: 1863 ،ص: 467.

(2)يحي الشامي ،موسوعة الشعراء العرب، ج: 3 ، دار الفكر العربي، بيروت،لبنان،ط:1، ت: 1999، ص:689 – 690.

وأشعار في الصحافة الوطنية العربية وقد نشر في جرائد:(صدى الصحراء، المنتقد ،الشهاب ،الإصلاح) و**الإصلاح** التي أنشأها بنفسه منذ سنة 1927م.[1]

واصل "**العقبي**" مسيرته الإصلاحية باستكمال نهضة **الجزائر**،ثم استسلم الشيخ لداء السكري سنة 1958م ولازم الفراش ثلاث سنوات فتوقفت دروسه وتعطّل نشاطه .

وفـــاتـــــه :

توفي "**الشيخ العقبي**" في الواحدة بعد الزوال يوم: 21ماي 1960م عن عمر يناهز 72 سنة،في بيته ببولوغين **بالعاصمة** .[2]

آثـــــــــاره:

إن آثار "**العقبي**" غزيرة خاصة المقالات فقد بدأ الكتابة في الصحف في وقت مبكر في الجرائد

الحجازية ثم كتب في جرائد الشيخ "**ابن باديس**" وجرائد الجمعية بالإضافة إلى **صدى الصحراء** و**الإصلاح** النّي كان يديرها .[3]

شعـر الطـيـب العقـبـي:

كما أشرنا سابقا فهو من علماء **الجزائر** المصلحين الواعين الذين دعوا إلى العلم ووقفوا بقوة في وجه الجهل التي نشرها آنذاك جماعات الطرقية في أوساط الشعب الجزائري ويظهر دعوة" **الطيب العقبي**" في سعيه بعدّة وسائل وخاصة في الشعر :

حيث نجد الإصلاح الديني في قصيدته: **إلى الدين الخالص** .

فقد جاءت لمحاربة الطرقية يقول فيها :

مَاتَتْ السُّنَةَ فِي هَذِهِ البِلاَدِ قُبِرَ الْعِلْمُ وَسَادَ الجَهْلُ سَادَ

(1)ينظر،رابح خدّوسي ،موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين،دار الحضارة ، بئر التوته،الجزائر،(دط)،(دت)،ص:58-59.

(2)ينظر، محمد الطاهر فضلاء، الطيب العقبي رائد الحركة الإصلاح الديني في الجزائر، الجزائر،(د ط)، ت: 2007، ص: 93.

(3)ينظر، محمد الطاهر فضلاء،المرجع السابق، ص: 93.

وَفَشَا دَاءُ اعْتِقَادِ بَاطِلٌ فِي سُهُولِ القُطْرِ طَرًا وَالنِّجَادَ
عَبَدَ الْكُلُّ هَوَاهُ شَيْخُهُ جَدُّهُ ضَلّوا وَضَلَّ الاعْتِقَادَ
حَكَّمُوا عَادَاتِهِمْ فِي دِينِهِمْ دُونَ شَرْعِ اللَّهِ أدعم الفساد[1]

وبما أن الإصلاح لا يختص بمجال واحد فقط؛ بل على المصلح يشمل العديد من الميادين محاولا القضاء على البدع والآفات، فقد وظف "**الطيب العقبي**" الإصلاح الاجتماعي في قصيدته: **كيف يكون بعد مماته**، فقد جاءت لتوقظ النّاس المنقادين وراء ملذّات الحياة؛ بأن هناك ممات وبعده حساب وعقاب فيضرب مثلا بالسكّير في قوله :

شَرُّ الوَرَى مَنْ عَاشَ طُولَ حَيَاتِهِ فِي الْخَمْرِ مُنْهَمِكًا وَفِي لَذَّاتِهِ
لاَ يَرْعَوِي عَنْ غَيِّهِ وَضَلاَلِهِ وَإِذَا انْتَشَى فَإِلَى الشَّقَاءِ بِذَاتِهِ
أَشْقَى ذَوِيهِ وَوَالِدُهُ وَزَوْجُهُ وَبَنُوهُ قَدْ تَعِبُوا وَكُلُّ بَنَاتِهِ
قَدْ ضَيَّعَ الدُّنْيَا وَأَذْهَبَ عَقْلَهُ وَالدِّينُ أَصْبَحَ مِنْ كِبَارِ عُدَاتِهِ[2]

ولخوف" **الطيب العقبي**"وغيرته على وطنه نجده يحاول استنهاض القوم من سباتهم مذكراً إيّاهم بمجد الأجداد الذي أصبح منسيا حيث أنه تطرق إلى المجال السياسي في قوله :

عَـرِّجْ عَـلَى قُطْرِنـاَ أُنْظُـرْ لِحَالَتِـهِ فَحَالُهُ الْيَوْمَ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ تَحْزِينَا
يَا مَعْشَرَ اَلْقَـوْمِ هُبُّـوا مِـنْ سُـبَاتِكُمْ طَـالَ الزَّمَـانُ وَكَـمْ غنـي معنيـا
وَلاَ سَـمِيعَ لَنَـا مِـنْكُمْ وَكُلُّكُـمْ أَصْـبَحْتُمْ لِقَـدِيمِ المَجْـدِ نَاسِـينَا[3]

المطلب الرابع:محمـد العيـد آل خليفـة

أمير شعراء **الجزائر**، ومن بين الأعلام الإصلاحيين البارزين سواء كان الإصلاح متعلقا بالقيم الأخلاقية النبيلة أو بروحانية موسومة بالصوفية، وأسهم "**محمد العيد آل خليفة**"خلال حياته

(1)الربعي بن سلامة، عمّار وبس، محمد العيد،عزيز العكايشي، المرجع السابق،ص: 691.

(2)عبد الله حمادي ،شعراء الجزائر في العصر الحاضر،ج:1، دار بهاء الدين،الجزائر، (د ط) ، ت: 2007 ،ص:243 .

(3)الونّاس شعباني ،المرجع السابق،ص:18 .

في النهضة العلمية والأدبية والفكرية الإصلاحية في **الجزائر**، وقد قيل عنه شاعر الشمال الإفريقي بلا منازع .

مولده ونشأته :

وهو "**محمد العيد**" بن "**محمد علي**" بن "**خليفة**"، نزل إلى هذه الدنيا في 27 جمادى الأول 1323هـ الموافق لـ: 28 أوت 1904م بـ:مدينة **عين البيضاء**، من أسرة دينية عريقة ونشأ بهذه المدينة وحفظ القرآن وتعلم بمدرستها الابتدائية عن الشيخين: "**محمد الكامل بن عزوز**"و "**أحمد بن ناجي**". [1]

ثم انتقل إلى **بسكرة** سنة 1918م ودرس على مشايخها، ومنها إلى **جامع الزيتونة**، ثم عاد إلى **الجزائر** ليشارك في حركة الانبعاث الفكري بالتعليم والكتابة.

كان مساهما بارزا في إيقاظ الهمم مع العلاّمة "**عبد الحميد ابن باديس**" في **جمعية العلماء المسلمين** وكان معلما وشاعرا وكاتبا في عدة صحف و مجلاّت منها :

(صدى الصحراء ،الإصلاح، الشهاب ،البصائر).[2]

عند اندلاع الثورة الكبرى ألقي عليه القبض وزج به في السجن من قبل الاستعمار، وحين أطلق سراحه فرضت عليه الإقامة الجبرية بـ:**بسكرة**، وبقي فيها إلى أن فرّج الله عليه وعلى الشعب الجزائري بالاستقلال والحرية .[3]

وفـــــاتـــــه:

في 7 رمضان 1399 هـ الموافق لـ:31 جويلية 1979م؛ أخذ الله أمانته روح "**محمد العيدأل خليفة**" بمستشفى باتنة ودفن في **بسكرة** رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه الفردوس الأعلى.

---

(1)ينظر، أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، دار الرائد،الجزائر، ط: 5، ت: 2007 ،ص: 86.

(2)ينظر، نسيب نشاوي، المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر،الاجتماعية،الرومانسية، الرمزية،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (دط)، ت: 1984، ص: 352.

(3)ينظر، الربعي بن سلامة، عمّار ويس، محمد العيد ،عزيز العكايشي ، ص: 320.

آثـــــاره :

ترك لنا "**محمد العيد أل خليفة**" العديد من الأعمال الرائعة وأغلبيتها من الأشعار، فقد نظم شعرا كثيرا جمع في ديوان من الحجم الكبير وهو من آثاره المطبوعة والمنشورة .ومسرحية بعنوان **بلال بن رباح**[1].

شعر محمد العيد آل خليفة :

لم يكن شعره يمثل اتجاها سياسيا معين أو يخدم شخصية بذاتها، كما كان يفعل بعض الشعراء وإنما كان يمثل الرأي العام ويخدم مبادئ الإصلاح الوطني الشاملة، وبذلك جعل موضوع شعره وشعوره هو الشعب عن صدق ووفاء، فقد تناول العديد من قضايا المجتمع وعلى رأسها القضايا الدينية، وحرصه الشديد على دعوة النّاس إلى التمسك بالدين الحنيف فنجده يقول :

أَيُّهَـــا التَّـــارِكُ الصَّـــلاَةَ أَبِـــنْ لِي أَيُّ عُذْرٍ لَهُ تَرَكْتَ الصَّلاَةَ
أَيُّ عُـــذْرٍ لَـــهُ تَرَكْـــتَ الصَّـــلاَةَ تُكْسِبُ الْعَبْدَ خِشْيَةً وَأَنَاةَ

قوله :

بَـــادِرْ الفَـــرْضَ واسْـــتُرْ الْعَـــرْضَ فَتَرَقّبْ مِنْ رَبِكَ اللَّعَنَاتَا
هَـــذِهِ دَارُ كُلْفَـــةٍ لاَ تُـــــوَانِ فَاجْعَلْ الصَّبْرَ عُدَّةَ وَالثَّبَاتَا[2]

فهنا يوجه توبيخا لتارك الصلاة، ولا يلتمس له أي عذر في تركه للصلاة، ويأمره بالالتزام بأوامر الله سبحانه وتعالى لكسب رضاه ورحمته .

كما نجده مستاءً مما وصل له حال المجتمع من انحلال في الأخلاق وانتشار الرذيلة يقول في قصيدة مطلعها :

مَا بَالُ سَيْرِ فَتَاةِ الْعَصْرِ مُنْحَرِفًا يَهْوِي بِهَا فِي مَهَاوِي الإِفْكِ وَالزُّورِ

حتى يصل إلى قوله :

(1)أبو القاسم سعد الله،شاعر الجزائر محمد العيد أل خليفة، ص: 97.

(2)محمد العيد آل خليفة ،المرجع السابق، ص: 274.

عَافَــتْ تَقَالِيــدَهَا المُــثْلَى وَقَــدْ أَنْوَارُهَا وَارْتَمَتْ فِي كُلِّ دَيْجُورِ
مَــا جُــلُ أَرَائِهَــا المُسْــتَحْدَثَاتِ مُسْــتَوْرَدَاتٍ مَــدَاهَا غَــيْرُ مَشْــكُورِ
فِــي كُــلِّ مَرْحَلَــةٍ تَــزْدَادُ ظُلْمَتُهَــا فِي الرَّأْيِ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا سُورَةَ النُّورِ [1]

"سورة النور" ذكرها الشاعر ؛ لأنّها اشتملت على بيان بعض حقوق النّساء وواجباتهن.

من الموضوعات التي نالت اهتمام الشاعر "**محمد العيد أل خليفة**"، هو الدعوة إلى طلب العلم لأنّه سلاح يعتد به الإنّسان في حياته فيقول :

العِلْــمُ سُــلْطَانُ الْوُجُــودِ فَسُــدَ بِــهِ مَنْ شِئْتَ أَوْ ذُدْ عَنْ حَيَاتِكَ وَادْفَعْ
وَالجُــأْ لَــهُ بَــدَلَ الْحُصُــونِ فَــلاَ أَرَى حِصْنًا كَمَدْرَسَةٍ سَمَتْ أَوْ مَصْنَعْ
قُــلْ لِلْجَزَائِــرْ أَنْشِــئِ كُلِّيــــةً تَمْحُو جَهَالَةَ شَعْبِكَ اَلْمُتَسَكِعْ
اَلْجَهْــلُ أَشْــبَهُ بِــالْغُرَابِ فَمَالُــــهُ مِنْ مَنْزِلٍ غَيْرَ الْخَرَابِ الْبَلْقَعْ[2]

المطلب الخامس:محمـد الأمـين العمـودي

"**محمد الأمين العمودي**" منشئ جريدة **الأمّة** باللغة الفرنسية ،للدفاع عن حقوق المسلمين الجزائريين ضد القوانين الاستعمارية، وبالإضافة إلى هذا فقد ساهم بقلمه في جل الصحف الوطنية الإصلاحية التي كانت تكتب باللغة العربية .وثقافته المزدوجة جعلته عضوا في جمعية **العلماء المسلمين الجزائريين**، فهو يعدّ من المصلحين الثوريين .

مولده وحياته :

ولد "**محمد الأمين العمودي**" سنة 1308م- 1890م **بوادي سوف** بالجنوب الشرقي للجمهورية الجزائرية، تعلّم بالمكتب الفرنسي الابتدائي والمكتب القرآني بـ:**وادي سوف**، في السادسة عشر من عمره التحق بمدرسة **قسنطينة** الفرنسية الإسلامية، تخرج منها ليشتغل بوظيفة كاتب عدالة في **فج مزالة**بـ:**وادي الماء** وبعدها عمل وكيل شرعي ورئيس جمعية الوكلاء **بالجزائر العاصمة**.[3]

(1)المرجع نفسه، ص: 279 .

(2)محمد العيد آل خليفة ،المرجع السابق، ص: 145 .

(3)نماذج من الشعر الجزائري المعاصر ،شعر ما قبل الاستقلال،العدد:3،السنة:،مجلة أدبية ثقافية، ص: 7.

وقد التقى الشاعر "**الأمين العمودي**" بالمصلح الكبير "**عبد الحميد ابن باديس**" عند استلامه منصب أمين عام **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** أثناء رئاسة الإمام "**عبد الحميد بن باديس**"، وقيل أنّه صاحب فكرة عقد **المؤتمر الإسلامي الجزائري** سنة 1936م،والتي لقيت استحسانا من العلاّمة "**ابن باديس**".[1]

وفـــاتـــه :

استشهد شاعرنا "**محمد الأمين العمودي**" بعد خروجه من منزله بحي **سانتوجين بولوجين بالجزائر العاصمة**، وهو في حالة يرثى لها من أثر المرض الذي اعتراه آخر حياته، حيث كانت **الجزائر** تمر بأيام عصيبة، فوُجد طريح الأرض غرب **لبويرة** وذلك في 10أكتوبر 1957م رحمه الله وتغمده برحمته[2]

شعر محمد الأمين العمودي:

رغم أنّنا لم نعثر على الكثير من إنتاجه الشعري، إلاّ أنّنا وجدنا بضع قصائد تحمل في طياتها نصحا وإرشادا للنّاس بقصد إصلاح أحوالهم، فنجده في بعض الأحيان يتخذ الشعر كوسيلة لإيصال ما يسمو إليه فيقول :

دَارِي زَمَانَـكَ يَـا أَمِـينُ وَأَهْلـــــهُ وَاصْبِرْ عَلَى مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ
فَلَقَـــدْ تَـــرَى الإنســـان دَوْمـــاً سَوْطَ العَذَابِ وَيَصْبِرُ الإِنْسَانُ
فَـإِذَا صَـبَرْتَ عَـلَى احْـتِمَالِ مُصِـيبَةٍ يَوْمًا تَوَلَى أَمْرَهَـا الدَيَّـانُ
وَاجْعَلْ مِـنَ الإِيـمَانِ قُوَتَـكَ كُلَّـــهُ مَا خَابَ مَن فِي قَلْبِهِ الإِيمـانُ[3]

فالشاعر في هذه الأبيات يدعو إلى التمسك بالله سبحانه وتعالى، وأنّ نجعله عدّتنا في الصبر على عقبات الحياة.

---

(1)ينظر، الربعي بن سلامة ، عمّار ويس ،محمد العيد ،عزيز العكايشي ،مرجع سابق، ص: 725.

(2)نماذج من الشعر الجزائري المعاصر ،المرجع السابق، ص: 8.

(3)محمد الأخضر عبد القادر السائحي، محمد الأمين العمودي، الشخصية المتعددة الجوانب، دار هومة، الجزائر، ط:2 ، ت: 2001، ص: 93 .

ويقول أيضا :

خَـــيْرُ خِصَـــالِ الفَتَـــىَ حَـــزْمٌ وَشَرُّهَا عَنْ قَضَاءِ الوَطْرِ إِحْجَامٌ
نَفْسِي تريدُ العُلاَ وَالدَّهْرُ يَعْكِسُهَا بِـــالقَهْرِ وَالزَّجْـــرِ إِنَ الـــدَّهْرَ ظَـــلاَّمٌ
إِنَّ الزَّمَانَ سَطَا عَنِّي بِسَطْوَتِهِ كَمَا سَطَا عَنْ ضعِيفِ الوَحْشِ ضِرْغَامٌ[1]

فهو يحكي عن اعتراض الزّمان طريق النّاس حتى المجتهد، وأنّه أصبح جدار مانعا لكل من يريد الاجتهاد والعلا .

(1)محمد الأخضر عبد القادر السائحي، محمد الأمين العمودي، الشخصية المتعددة الجوانب، دار هومة، الجزائر، ط:2 ، ت: 2001، ص: 91 .

المبحث الثالث :الاتجاهات الإصلاحية في الديوان

المطلب الأول :التعريف بديوان الدموع السوداء

مما لا شك فيه أن أفضل ما يخلّفه بن آدم بعد موته هو ما قدّمه للنّاس من علم بالكتاب والسنّة؛وعلى هذا قد سار شيخنا "**محمد الطاهر التليلي**"-رحمه الله- فبعد تعرفنا على سيرته الشخصية والعلمية ومكانته بين العلماء ؛ارتأينا أن نقدّم تمهيدا بسيطا نعرّف فيه أكبر وأبرز أعمال الشيخ التي سلك فيها منهجا إصلاحيا ألا وهو ديوانه المخطوط الموسوم بعنوان:

الدموع السوداء وبما أن هذا الديوان يحتوي على ترجمة لحياة الشيخ تعكس مشواره الشخصي والعلمي الإصلاحي فقد سماه أيضا **مرآة حياتي**،حيث وضع على غلاف الديوان أبياتا في هذا الصدد تلخص محتواه العام وتفسر ما جاء فيه فيقول :

إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ مِنِي عِلْمًا بِتَارِيخِ حَالِي
وَسِيرَتِي فِي حَيَاتِي وَبَيْنَ قَوْمِي وَآلِي
فَاقْرَأْ دِيوَانِي هَذَا فَفِيهِ ظِلُّ حَيَاتِي [1]

لكن هذا لا يعني أن فحوى الديوان ما هو إلا سرد لوقائع وأحداث جرت للشيخ وأراد بها النّصح و الاتّعاظ بأخذ العبرة منها،بل هناك قصائد تأريخية لأحداث وطنية وعربية،وأيضا مقطوعات وقصائد إصلاحية بحتة لم يتطرق فيها "**التليلي**" لسيرته؛ فقد كانت عبارة عن حكم وإرشادات حاول من خلالها رسم الطريق الصحيح لأهله وإنقاذ أمته من الفساد.

وقد قسم الشيخ" **محمد الطاهر التليلي**" ديوانه إلى جزئين سنعطي لمحة خفيفة عن كلّ منهما كالتالي:

أولا: الجزء الأول:

أ- احتوى هذا الجزء على (170 صفحة)سبعين ومائة صفحة ضمت اثنان ومائة قصيدة .

(1)محمد الطاهر بن القاسم التليلي ،مخطوط ،ديوان الدموع السوداء، ج:1- 2،ص :غلاف الديوان

ب-كما ألم هذا الجزء على قصائد ومقطوعات مرتبة حسب ترتيب الحروف الهجائية، بدء بالهمزة وانتهاء بالياء، ومن خاصية هذا الجزء أنّه تضمن العديد من أبواب الشعر وأغراضه.[1]

ثانيا: الجزء الثاني :

وهو القسم المدرسي لأنّه ضم مقطوعات مدرسية تربوية .

أ- اشتمل هذا الجزء على(107صفحة) سبعة ومائة صفحة؛ فهو أقل من الجزء الأول،احتوى على(57 قصيدة) سبعة وخمسين قصيدة .

ب-لم تكن قصائده على ترتيب معين ولكنّه يشترك مع الجزء الأول في إلمامه بمعظم أبواب الشعر.

ذكر الشيخ **"محمد الطاهر تدليلي"** في مقدمة الجزء الأول من الديوان أنّ بعض الملاحظات شملت القسمين الأول والثاني نستهلها :

✓بأنّه لم يكتب في الغزل والحبّ النسائي وقد برر قائلا:« لعامل الانكماش والنّقرة أولا وعامل تربيته التي حصرت في الإصلاح الديني الذي يكبح جماح الشباب ويكتب نزواته ولا يدع له فرصة الترويح عن النفس والتخفيف عن الفكر»[2].

✓ويضيف بأنّه لم يراع تسمية الأشخاص والترتيب التاريخي للأحداث والمناسبات .

✓كما يصرح بأنّ هناك خلل في الأوزان وقد تركها بعلم منه وبقدرة على إصلاحها لكنّه لم يصلحها وتعمّد تركها إمّا لموسيقاها الشعرية أو للتلميح الهزلي أو للإبقاء على الصورة الصادقة.

✓وأفرد كل قسم أو جزء على حدث حتى يتمكن من إلحاق بعض القطع التي يعثر عليها في زوايا الإهمال فيكون محلها القسم الثاني [3].

(1)محمد الطاهر بن القاسم التليلي ، مقدمة الديوان ،الدموع السوداء ،ج:1، ص:و.

(2)المصدر نفسه، ج:1 ، ص: و.

(3)المصدر نفسه، ج:1،ص: ز.

❖ وخلاصة القول إن معظم قصائد الشيخ رحمه الله كانت تعليمية تربوية هدفها تقويم الأخلاق والكمال الإنساني في إطار القيم الإسلامية والتعاليم القرآنية، حيث أنّه يَعُدُّ العلم أمانة تحفظ ورسالة تبلغ ؛فهي ليست وسيلة للكسب أو التظاهر أو الشهرة التي طالما طرقت بابه لكنّه صدّها، فلم يكن يعمل لراتب أو لرتبة أو لبروز بل كان هدفه الأسمى تحرير العقول وإنارة الفكر لأنّه يؤمن بأنّ الحياة تقوم على سواعد العمّال وعقول النوابغ كذلك على الأخلاق الفاضلة محتسبا أجره على الله .لقد حمل الديوان جانبا إصلاحيا.ومن خلال دراستنا له وجدنا فيه ثلاث اتجاهات وهي :

✓**الأول**: وهو الذي يحمل في طيّاته الدعوة إلى الدين الحنيف والتشبث بمعالمه، وقد طغى هذا الجانب على كل شعره فقد تخلل الدين حتى الجوانب الأخرى .

✓**الثاني**:و هو الذي يهدف إلى إصلاح المجتمع بحثّهم على طلب العلم ونبذ البدع والخرافات ؛ونصح المرأة وإرشاد الصّغار إلى الطريق السليم لأنّهم عماد الأمّة و الوطن.

✓**الثالث**: وهو السياسي الذي يحمل إشارات تاريخية حدثت فيما مضى ؛حيث إن الشيخ ينبه من حصولها مرة أخرى؛وقد ظهر هذا الاتجاه بشكل أقل من سابقيه.

المطلب الثاني :الدعـــوة إلى حفـــظ كتاب الله

لقد كانت صلة الشيخ التليلي بالدين الإسلامي أقوى من أن تقاوم،أو تكون محل مناقشة فهو الذي تربى على التقّوى وحسن الأدب في المعاملة منذ نعومة أظافره، وهو الذي حفظ القرآن وأتقن تلاوته وتعمق في فهم معانيه. وفي الزيتونة أختلط بالأساتذة العظام من جهابذة العلم في مختلف علوم الدين فالدين عنده عبادة مستمرة دائمة وغاياته إصلاحية بحتة حيث كان الشيخ يؤدي واجباته المفروضة عليه في أوقاتها تاليا للقرآن في كل وقت متوهجا بقلبه وروحه إلى الله .

فكان يحث النّاس على حفظ القرآن الكريم لأنّه دين وتاريخ وأدب، فبه ساد أجدادنا وخضع لهم العالم كله عند تطبيقهم لتعاليمه على أنفسهم وعلى غيرهم، فهو يربي الناس ويحثهم على الصدق

في القول والعمل والدفاع عن الحق بالعدالة والسلوك الحسن المتخلق والعديد من الصفات الحسنة التي لا تعد ولا تحصى و لأنه طاعة لله عز وجل لمن رام التقرب منه فيقول :

احْفَظُوا القُرْآنَ أَبْنَاءَ العَرَبْ فَهُوَ تَارِيخٌ وَدِينٌ وَأَدَبْ
وَبِهِ العــزَّةُ بِنْتُ الودي لِجَمِيعِ العَرَبْ مِنْ ابن وَأَبْ
وَهُوَ أَمْجَادٌ لِمَنْ شَاءَ العُلاَ وَهُوَ طَاعَاتٌ لِمَنْ رَامَ القُرْبْ
فَاحْفَظُوا القُرْآنَ تَحْظَوْ بِالمُنَى وَتَنَالُوا كُلَّ غــَايَاتِ الطَّلَبْ (1).

وقد كان للشيخ دروس يلقيها على الكبار في المسجد لعدة سنوات يحضرها الكثير ممن يؤمنون بالإصلاح الديني و الاجتماعي، متأثرين بالدروس التي كان يلقيها الشيخ **"عمار بن الأزعر"** قبل هجرته إلى البقاع المقدسة ومن بعده الشيخ **"عبد القادر الياجوري"** خطيب جمعية العلماء ورفيق الشيخ في الدراسة الزيتونية. ولما رأى الشيخ بأنّ العامة يسودهم الجهل والأمية مما جعل لغة القرآن تصعب عليهم ويتعسر فهمها؛ طالبهم بمحو الأمية ليسهل عليهم حفظ القرآن وفهمه في آن واحد فقال :

مَنْ يَحْفَظْ القُرْآنَ كَانَ دَلِيلُهُ وَحُجَّتُهُ يَوْمَ التَّكَلُّمِ بِالحُجَجِ
وَكَانَ لَهُ سَيْفًا حَاسِمًا لِمَنْ لَهُ تَصَدَّى بِإِلقَاءِ الشُّكُوكِ الهَمَجِ
وَكَانَ عِنْدَ التَّفْكِـيرِ عِبْـرَةً وَمَوْعِظَةً تَهْدِيهِ لِطَّيِّبِ الأَرَجِ*
وَكَانَ لَهُ وَقْتُ الهَشِيبِ عِبَادِهِ وَذَكَرَ أنه تحيا الموت من المهج.(2)

ولا يتخلى الشيخ عن معتقده الراسخ في أن القرآن هو أفضل ما يقرأ و أجدر بالتلاوة من سواه من الكتب، لأنّ قارئه بعناية وتفهم هو الذي يقطف ثمرة في الدنيا والآخرة ففي القرآن:الدين والدنيا،و من ذلك زينة الأخلاق وحسن المعاملة وفصاحة اللسان وتنوير الأفكار وتصدر في المجالس لأنّه حجّة على كل من عادى أهله :

كِتــَابُ اللهِ أَفْضَـلُ مَا قَـرَأْنَا وَأَجْــدَرُ بِالتِّلاَوَةِ مِنْ سِـوَاهْ

(1)محمد الطاهر بن القاسم التليلي،مخطوط ،ديوان الدموع السوداء، ج: 1 ، ص :26.

(2)المصدر نفسه ص :27.

فَقُمْ وَاحْفَظْ كِتَابَ اللهِ تَحْظَـى بِكَوْنِكَ فِي الأُولَى قَطَفُوا جَنَاهْ
فِيهِ الدِّيـنُ وَالدُّنْيَـا جَمِيعًا فَطُوبَى لِلَّذِيـنَ بِهِ تَبَـاهَوْا
وَزِينَةُ مُدَرِّسِـي لَوْذَعِـيٍّ كِتَابَ اللهِ يُحْفَظُ فِي صِبَـاهْ[1]

وفي آخر القصيدة يضيف بأنّ أحسن حلّة للعالم هي القرآن الكريم فهو السيف القاطع في وجه الأعداء لأنّه مليء بالأدلة والبراهين القوية في المناظرات الدينية، فلا يفضل أحد كلاما آخر غيره ويمهله لكي تكون آخرته هي ما يرضي الله عز وجل فيقول :

وَحِيلَـةُ عَـالِمٍ فَطِـنٍ لَبِيـبٍ تَصَـدُّرٌ فِي المَجَـالِسِ وَ اصْـطَفَاهْ
دَلِيلُ فَيْصَلٍ وَحُسَـامُ حَقٍّ لِمَنْ يَبْغِي الهُجُومَ عَلَى عِـدَاهْ
تَمَسَّكْ مَا اسْتَطَعْتَ بِهِ ولاَزِمْ تِـلاَوَتَهُ وَلاَ تَفْصُـمْ عُـرَاهُ
وَلاَ تَخْتَرْ حَـدِيثَ النّاسِ عَنْهُ فَتُحْمَى فِي القِيَامَةِ عَنْ جِمَاهُ [2]

المطلب الثالث :دور المناسبات الدينية في الإصلاح الديني

لدى الشيخ محمد الطاهر التليلي مواقف إصلاحية كثيرة ومتعددة خاصة في الميدان الديني الذي أولاه أهمية كبيرة ومقاما رفيعا وجعله فوق كل شيء حيث يظهر ذلك جليّا في سعيه الحثيث المتواصل لدعوة إلى إتباع الحق ونبذ الابتداع و الاستقامة على منهج الكتاب والسنّة، ولهذا كان يستغل المناسبات الدينية أحسن استغلال لإيصال نظرته في إصلاح نفوس الأفراد وليفتح أعين الأمّة على دين الحق والكمال، وإسلام الرحمة و الانفتاح فقد نظم قصائد كثيرة وكثيرة جدا في هذا الاتجاه .

نظم الشيخ رحمه الله قصيدة بعنوان **مولد الرسول صلى الله عليه وسلم** داعيا النّاس للتحلي بأخلاق وصفات خير الخلق سيدنا وحبيبنا مذكرا بخصاله النبيلة التي تحلى بها، فالله أرسله لكافة الناس ليتم مكارم الأخلاق ويبشر بالجنة ويحذر من النار فدعى الجميع لإتباع طريق الحق والهدى والفلاح فيورد قائلا :

(1)محمد الطاهر بن القاسم التليلي،مخطوط ،ديوان الدموع السوداء، ج: 1 ، ص: 159.

(2)المصدر نفسه ،ص: 159.

أَكَـادُ أَعْلُـو السُّـهَا مِـنْ فـارِطِ لَمَـا بـدَا مُرْسَـلٌ مِـنْ أُمِّـهِ العَـرَبْ
أَتَى إِلَى الكَوْنِ حَيْثُ الكَوْنِ فِي وَنَبَهَ النَّاسَ حِينَ النَّاسُ فِي صَخَبْ
دَعَا عَشـيرَتَهِ وَالنّـاسَ كُلَّهُمْ إِلَى عِبـادَةِ رَبِ الكَوْنِ فِي أَدَبْ
يَأْتِي النّـوَادِي يُنَادِي باسْم خـالِقِهِ لِيُنْقِضَ القَوْمَ مِنْ نَارٍ وَمِنْ لَهَبْ[1]

ويضيف الشيخ في نفس القصيدة مؤكدا على وجوب إتباع ما جاء به النبي **محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم**، و الإقتداء به والمشي على خطاه و الاتسام بالعفة و اجتناب كل ما يشوب الإنسان من شرور وكذب، وبذلك الرجوع إلى القرآن الكريم في كل أمر، وفهم الدين على ضوئه صافيا من شوائب عصر الانحطاط نقيا كما نبع بين يدي **الرسـول الكريـم** مطبقًا في العقيدة والقول والعمل فيقول :

بَـدَا صَبِيًا عَلَى الخَيْرَاتِ مُنْطَبِعًـا لاَ يَعْرِفُ الشَرَّ فِي جِدٍ وَلاَ لَعِبِ
قَضَـى شَبِيبَتَهُ فِي حَـرِّ زَعْفَتِـهِ وَفِي الكُهُولَةِ جَاءَ الوَحْيُ بِالأَرَبِ [2]
بَلْ قـوْلُهُ قَوْلَهُ يَا قَوْمَ فاستمعـوا إِلَى حَدِيثٍ أَتَى مِنْ خَالِقِ السُّحُبِ
فَهَـذَا دَاعِي الهُدَى جَاءَتْ مَحَافِلُهُ تَدُوسُ ظَهْرَ الهَوَى وَ البَغَي الكَذِبِ
فَمَنْ بَغَى أَو طَغَى نَالَ الرَدَى فَهَوَى فِي جُبِ نَارِ مَعَ الأَوْثَانِ وَالحَطَبِ
وَمَنْ أَتَى فاستقى مِنْ حَوْضِهِ فَرَوَى فَذَاكَ ذُو الحَزْمِ لاَ يَدْنُو مِنْ النَّصَبِ[3]

بألم وحزن شديد يصور الشيخ ما آلات إليه هذه الأمّة من انحطاط نتيجة ما لحقها من بدع وفتن ومعاصي،حالت بين المسلمين ودينهم وجعلتهم يفرقون بين الدنّيا والدّين،كما الدين والسياسة، فيسأل لما كل هذا التنافر عن الدين الإسلامي الحنيف؟ وبلومٍ شديد يحاول الشيخ دعوة الأمّة للاستيقاظ مما هي فيه والرجوع للحق فيقول :

مَالِي أَرَى نَفَـرًا قَدْرَ جِدٍ جِدِهِمْ لِهَدْمِ دِينِ الهُدَى مِنْ غَيْرِ مَا سَبَبِ

(1)محمد الطاهر بن أبي القاسم التليلي القماري،الديوان ، المصدر السابق، ج: 1 ، ص: 159.

(2)الأرب: الرجل أو الأمر أقلقه وأزعجه، المنجد الأبجدي ،دار المشرق، بيروت، ط:1 ،ت: 1967 ،ص: 41.

(3)المصدر نفس، ج: 1 ،ص: 14.

مَالِي أَرَى نَفــرًا كَـانَ مِنْ نَفَرٍ قَدْ شَنَّ غَارَتَهُ الشَّنْعَاءَ فِي الحَسَبِ
مَالِي أَرَى ظُلْمَةً مِنْ فَوْقِنَا سَقَطَتْ مِنَ التَجَــاهُلِ أَوْ جَهْلٍ فَلَمْ تَغِبْ
يَا أُمَّةَ الدِينِ مَا هَذَا التبَـاعُدُ عَنْ هُدَى النَبِي وَهِيَ السَـادَةُ النُّجَبِ
يَا أُمّةَ الدِينِ مَا هَذَا التبَاغُضُ مِنْ دُونِ البـرَايَا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ فِي الكُتُبِ
يَا أُمَّةَ الدِينِ مَا هَذَا التَفَاخُرُ وَ الإِ سْلاَمُ بَيْنَكُمْ قَدْ سـوَّى فِي الرُّتَبِ [1]

قال عزّ وجل في كتابه الكريم ﴿ **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا**﴾[2] .

كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه في جميع أحواله حركة وسكونا، إشارة ونطقا، قلبا وقالبا، يمثل القرآن الكريم فقد لبس القرآن ظاهرا وباطنا وكان لسانا ينطق بالهداية والإرشاد وكان حريصا كل الحرص على أن يكون خلق الأمّة الإسلامية القرآن .

ولذا نظم الشيخ التليلي قصيدة ثانية يصف فيها ميلاد النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم الذي أنار السموات والأرض وأزاح كل الظلمات فسرّ الكون كلّه بهذا المولود،موصيا بعدم الابتعاد عن الخصال التي كانت فيه، وكذلك عدم نسيان هذا اليوم العظيم فيقول :

مِـــــيلاَدُ أَحْمَـــــدُ طـــــه نُـــورُ السَّـــمَاءِ الأُمَـــمْ
مِيلاَدُ نُورِ مُبينٍ بِهِ تَجَلّى الظُّلَمْ
يَا لَيْلَةً مِنْ رَبِيعٍ كَانَتْ بِطهَ العَلَمْ
لأَنْتِ خَيْرُ اللَّيَالِي بَلْ أَنْتِ كُلُّ النِّعَمْ
فَلْتَحْفَظُوا يَا رِفَاقِي تَارِيخَ هَادِي النَّسَمْ
كَانَتْ وِلاَدَةُ طَهَ فِي عَامِ فِيلِ العَجَمْ
فِي ثَانِي عَشَرَ رَبِيعٍ عَنَيْتُ شَهْراً يَهُمْ
مِنْ سَابِقِ اثْنَيْنِ وَاعْلَمْ أَنَّ الإِلهَ خَتَمْ

(1)محمد الطاهر بن أبي القاسم التليلي القماري،الديوان ، المصدر السابق، ج: 1 ، ص: 15.

(2)سورة الأحزاب،الآية: 45-46.

رِسَالَةً مِنْ سَمَاءٍ إِلى جَمِيعِ الأُمَمْ[1]

أمّا إذا جئنا إلى رمضان الذي جعله الله شهر الرّحمة والغفران والعفو عن كلّ الذنوب والمعاصي بالتسبيح بكرة وعشية ورحمة منه على العاملين، نجد الشيخ قد نقل صورة هذا الشهر العظيم عند بعض الشباب الغافلين عتابا منه عليهم وخوفا على مصيرهم وآخرتهم، ولكي يوقظهم مما هم فيه من استهزاء وسخرية ولا مبالاة، ومن شهوات وملذات لن تؤديهم إلا للهلاك وبئس المصير، فيقول على لسان حال بعض الشباب :

أَيَـا شَـهْرَ الصّـيَامَ إِلَيْـكَ عَنَّـا فَلَسْـتَ لَنـاَ وَلَسْـنَا لَـكَ القَرِينَـا
تَأَمُرُنَـا بِمَخْمَصَـةٍ وَظَـمْء وَتَـزْعَمُ أَنَّ ذَا يَشْـفِي البُطُونَـا
نَقُـومُ اللَيْـلَ لَكِـنْ فِي المَقَـاهِي عَـلَى فُـرْشِ الفَـوَاحِشِ سـاجدينا
بَـذَلْنَا المَـالَ لَكِـنْ فِي المَلاَهِـي وَكَفِّ البُؤْسِ يَصْفَعُنَا رَنِينَا
فَعَصْرُ اليَوْمِ قَدَّمْنَا عُقُولاً فَلاَ نَحْتَاجُ إِصْلاَحًا وَدِينَا
وَقُـلْ لله يَـوْمَ العَـرْضِ أَنّي رَأَيْـتُ شَـبَابَنَا فِي المُلْحِـدِينَا[2]

المطلب الرابع :الدعوة إلى توحيد الله والتمسك بمبادئ الدين

لقد كان الشغل الشاغل للشيخ هو إصلاح الدين بما طرأ عليه من بدع وضلالة، والإصلاح عنده هو التثبت بروح الدين الإسلامي ظاهرا وباطنا وتطبيقه في كل مناحي الحياة بإتباع أصوله بعيدا عن كل الشوائب، فقد سعى الشيخ –رحمه الله– في الدعوة إلى إتباع الحق ونبذ الابتداع.

فكتب الشيخ العديد من النّصائح والوصايا لأمّته الإسلامية ومنها قصيدته **وصية دينية** يدعو فيها العباد إلى تطهير النفوس من كل هوى والتمسك بالعقيدة التي هي أساس الإسلام وعبادة الله جل جلاله والسجود له أطراف النهار وجوف الليل،و الاتكال عليه وحده في العزم على إنجاز الأعمال المراد لها النجاح مع التحلي بكل صفات الشجاعة والإقدام وذلك بالمحافظة على العقيدة من

(1)محمد الطاهر بن القاسم التليلي ،الديوان،المصدر السابق،ج:1، ص:120.

(2)المصدر نفسه، ج:1،ص: 123.

كل دنس وهذا هو غذاء الروح والنّفس لتبتعد عن كل الأهواء والرغبات والمعاصي فيقول في هذه الوصية :

طَهِّـــرْ فُـــؤَادَكَ مِـــنْ هَـــوَى وَاحْفَـــظْ ثِيَابَـــكَ مِـــنْ دَنَـــسْ
وَاسْجُدْ لِرَبِّكَ دَائِمًا عِنْدَ العَشِيَّةِ وَالغَلَسْ[1]
وَالْبَسْ لأَمْرِ كُلِّ عَزْ مِكَ فَالنَّجَاحُ لِمَنْ لَبِسْ
وَأْبَ المَظَالِمَ مِنْ عَدُوٍّ وٍ أَوْ صَدِيقٍ مُخْتَلِسْ
وَكُنْ الشُّجَاعَ وَلاَ تَكُنْ عَيْراً يُجَرَّكُ بِالنَّخَسْ[2]
فَإِذَا اتَّبَعْتَ وَصِيَتِي فَالحُرُّ أَنْتَ وَلَوْ خَنَسْ [3]

كما خصص" **محمد الطاهر التليلي**" قصيدة في ديوانه لبنات الأمّة الإسلامية تدعوهنّ بالتمسك بالشريعة والتدين لأنّ الله ميّزها بأحكام تناسب طبيعتها فعلى الفتاة المسلمة أمانة عظيمة تحملها فهي مكلّفة بالحجاب والعفة و الاحتشام والطهارة، فأوصاها الشيخ -رحمه الله- للاهتداء بالأخلاق الفاضلة لنساء السلف الصالح الثقات منهنّ اللاتي اتسمن بكل معاني العفاف والنزاهة لتؤدي مهمتها على أتم وجه وتتغلب على الشهوات والأفكار المنحرفة ،فالأخلاق كنز لا يفنى وسراج لا يطفأ، وحُلّة لا تَبْلَى فيقول :

إِنَّ التَّدَيُّنَ حِلْيَةٌ أَجْمِلْ بِهَا عِنْدَ الفَتَاةْ
فَتَدِينُ دِينَ مُحَمَّدٍ دِينَ التَّمَدُّنِ وَالحَيَاةْ
تَخْشَ وَتَعْرِفُ رَبَّهَا فِي النَّفْسِ أَوْ فِي الكَائِنَاتْ
تُرَاعِي حَقَّ الله أَوْ حَقَّ الرَّعِيَّةِ وَالرّعَاةْ
وَ الأُسْوَةُ الحُسْنَى لَهَا فِي نِسْوَةِ السَّلَفِ الثُّقَاتْ
وَبِأُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيـــ ـنَ ..فِي كُلِّ شَأْنِ المُؤْمِنَاتْ[1]

(1)الغلس: جمع أغلاس، ظلمة الليل آخر الليل .

(2)النخس :نخس نخسا الدابة حرز جنبها أو مؤخرتها بعود فهاجت ،المصدر السابق ،المنجد الأبجدي، ص: 739-1056.

(3)محمد الطاهر بن القاسم التليلي ،المصدر السابق، ج: 1 ،ص: 153.

ومن إشارات الشيخ للمرأة في المجتمع حثّه على تدينها الدين الصحيح، بالارتباط والتمسك بالعقيدة وقراءة القرآن ونشر الفضيلة من حفظ للشرف وتربية للناشئة وتعليمها للآداب السامية من قناعة وإباء وعلم وشجاعة ودفاعا عن الحق مهما كان الثمن؛ فهي التي يسمو بها الإسلام فيورد:

نِعْـــمَ الفَتَـــاةُ إِذَا تَلَـــتْ ... فِي بَيْتِهَـــا سُـــوَرَ النَّجَـــاةْ
وَتَأَمَّلَتْ وَتَفَهَّمَتْ ... وَتَبَصَّرَتْ طُرَقَ الأُنَاةْ [2]
فَهِيَ الّتِي فِي أُمَّةٍ ... دُونَ النِّسَاءِ المَرْتَضَاةْ
وَهِيَ الّتِي يَسْمُو بِهَا الـــ ... ـإِسْلاَمُ فِي كُلِّ الجِهَاتْ [3]

عاش الشيخ حياته معلما للناشئة، فارا بدينه وعفّته وطهارته وأنفته من المجتمع حتى يفوز عند الله بنعمة نشر العلم للصّغار والكبار و الاستفادة منه؛هو السبع الضاري إذا أسيئ العقيدة الإسلامية أو اشتم روح الانتقاص منها أو تحريفها، لذلك نراه يكثر في شعره من تناول المواضيع الدينية ويدعوا إلى الاتكال إلاّ على الله في قوله :

لاَ تَخْـــــشَ غَـــــيْرَ اللهِ فِي ... كُـــلِّ الأُمُـــورِ وَلاَ تَقِـــسْ
وَاعْلَـــمْ بِأَنَّـــكَ عَبْـــدُهُ ... لاَ عَبْـــدُ مَخْلُـــوقٍ نَجِـــس
وَاحْفَـــظْ عَقِيـــدَتَكَ الّتِـــي ... كَانَتْ لِفِعْلِكَ كَالأُسُسْ
وَاسْـــجُدْ لِرَبِّـــكَ دَائِـــمًا ... عِنْـــدَ العَشِـــيَّةِ وَالغَلَـــسْ [4]

وبما أن الإصلاح عند الشيخ هو التشبث بروح الدين الإسلامي ظاهرا وباطنا وتطبيقه في كل مناص الحياة بإتباع أصوله بعيد عن الشوائب داعيا إلى الإقتداء بسنّة الرسول الأعظم صلوات الله

(1)محمد الطاهر بن القاسم التليلي،الديوان ، ج: 1 ،ص:31.

(2)الأناة :جمع أنوات. الحلم ، الانتظار، التودد، الوفاء أمل عبد العزيز محمود، الأداء، القاموس العربي الشامل، عربي –عربي، دار الراتب الجامعية، بيروت ،ط: 1 ،ت: 1997 ،ص: 76.

(3)محمد الطاهر بن القاسم التليلي،الديوان ، ج: 1 ، ص: 31.

(4)المصدر نفسه ، ج: 1، ص: 153.

وسلامه عليه والتخلق بأخلاقه انتهاج منهجه في كل السّلوكات والمعاملات وهذا هو اعتقاد الشيخ وما كان يطبقه على نفسه، ونراه يصرح بما يعتقده في شعره قائلا :

أَمُـوتُ وَمَـا فِي القَلْـبِ مِثْقَـالُ ذَرَّة مِنْ الشِّرْكِ أَوْ مَا قَدْ يَؤُولُ إِلى الشِّرْكْ
وَاعْلَـــمْ أَنِّ لاَ مَحَالَـــةَ صَـــائِرٌ مُصِـــيرَ أُنَـــاسٍ لِلْفَنَـــاءِ وَلِلْفَـــكِّ
وَأُوقِـــنُ أَنَّ الله سَـــوْفَ يُعِيـــدُنِي وَتُعْـرَضُ أَعْـمَالِي عَـلَيَّ بِـلاَ شَـكِّ [1]

لإيقاظ الهمم وإعلاء كلمة الحق والتعاون من أجل توحيد كافة النّاس على كلمة واحدة ألا وهي: **أن لا أله إلا الله وحده لا شريك له**، نظم الشيخ قصيدة بعنوان:**أين تكون راحة الإنسان** مجيبا فيها عن كل من سأل أين تكمن الراحة؟ بأنّها في التوحيد بالله عزّ وجل والإيمان بدين الإسلام وكل ما خلقه وجاء به وفرضه على العالمين فيقول فيها :

أَيْـــنَ تَكُـــونُ رَاحَـــةُ الأَنَـــامِ[2] فِي يَقَظَـــةٍ أو سِـــنَةِ الأَحْـــلاَمِ
وَرَاحَـــةِ الجَمِيـــعِ فِي الإِسْـــلاَمِ إِذَا اِهْتَدَوْا السُّبُلَ السَّلاَمِ
وَاعْتَصَـمُوا مِـنْ دُونِ مَـا انْفِصَـامِ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ فِي الخِتَامِ
فَـــإِنْ تَكُـــنْ قِيَامَـــةُ القِيَّـــامِ تَجِدْهُمُ فِي أَسْعَدِ المَقَامِ
فَـــذَاكَ قَـــوْلُ قَائِـــلٍ إِمَـــامِ مُحْتَرَمٌ فِي العُرْبِ وَ الأَعْجَامِ[3]

المطلب الخامس :وصـــايا دينيـــة مختلفـة

لقد اهتم الشيخ بالدين العظيم، الذي من خلاله يقوم البناء الصحيح للمجتمع، وقد جعلنا هذا العنوان ليكون جامعاً لتوجيهات عديدة التي من شأنها تثبيت مبادئ الدين الإسلامي في نفوس النّاس، والتي تعتبر سلاحهم الذي يواجهون به ما يعيقهم في بناء حياتهم من بدع وخرافات وليكونوا سادة العلم وقادته، حاملين لواء الحضارة العظيمة المبنية على ركائز ثابتة لأنّه لا يمكن أن يضل كل من اتبعها و ارتكز عليها .

(1)محمد الطاهر بن القاسم التليلي،الديوان ، ج: 1 ،ص: 99-100.

(2)الأنام: الخلق.، المنجد الأبجدي، المصدر السابق ،ص: 150.

(3)محمد الطاهر التليلي ،الديوان ،المصدر السابق، ج: 2،ص: 37.

فنجده ينظم أبياتا يحث فيها البشرية على إتباع نهج الله سبحانه وتعالى؛ لأنّه لا خير في سواه من المناهج، فلا وجود لراحة من دونه، ويحذر من عاقبة من حاد عن مبادئ العقيدة الصحيحة وما في ذلك من خسران كبير فيقول :

طَرِيقَــةُ الله في القُــرْآنِ وَاضِــحَةٌ لوِ اسْتَقَمْتُمْ عَلَيْهَا نِلْتُمْ الأرجَا [1]
دَعُــوا الطرَائِــقْ وَالسُّــبْلَ الّتــي ابْتَعَدَتْ عَنِ السَّبِيلِ سَبِيلِ الله
وَجَـانِبُوا مَـا اسْـتَطَعْتُمْ كُـلَّ مَحْدَثَـةٍ فَمَنْ تَجَنَّبَهَا في نِعْلِهِ فَلَجَا[2]
فَكُــلَّ مُحْدَثَــةٍ فِي الــدِّينِ مَرْجِعِهَــا إلى الضَّلاَلِ فَوَيْلٌ لِلّذِي دَلَجَا[3] [4]

ومن بين النّصائح الأخرى التي قدمها الشيخ للنّاس ألا وهي: الابتعاد عن الصفات السيئة من كذب وحسد النّاس على ما يملكون كذلك الجلسات والتجمعات التي تكثر فيها النميمة، وذكر الآخرين بما يكرهون، والتّكبر عن نعم الله وخيانة العهد، فهذه أكبر المآثم التي يرتكبها الإنسان.

وهي في نظره شيء بسيط، فلهذا يوقضنا الشيخ لها ويدعوا إلى تجنبها والحرص على أداء الصلاة في وقتها وقد صاغ دعواه تلك في هذه الأبيات فيقول :

قَــالَ الّــذِينَ لَهُــمْ بِالطِّــبِّ مَعْرِفَــة وَبِالطِّبَاعِ وَبِالأَمْرَاضِ وَالدَّاء
وَالكِــــبَرِ وَالحُسُــــدُ وَالكَــــذَّاب أكَــذَا النَّمِيمَــةُ أوْ خَــوْنُ الأَخِــلاّء
تَــرْكُ الصّــلاَةِ وَنَــوْمٌ في الصّــبَاحِ وَقَاحَةٌ وَفُجُور مِثْلُ بَغْضَاء
وَفِي الصَّــلاَة تَقْــوىَ الله في مَجْلَبَــةٌ لِلْخَــيْرِ وَالــرِّزْقِ في جَهْــرٍ وَاقْفَــا[5]

(1)الأرجا:أرج،الرجاء،الأمل،الشيء المرجو:أمّله.عاصم نور الدين، معجم نور الدين الوسيط، عربي-عربي ،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 1 ،ت: 2005م -1426ه ،ص: 253.

(2)فلجا فلج الشيء: شقه وقسمه .فلج بالحاجة أو نحوها: ظفر بها ونالها .

(3)دلجا: دَلَج، يَدْلُج، دلوجا :حمل الدلو من البئر الى الحوض ليرفعها فيه.جبران مسعود، الرائد معجم القبائي في اللغة والأعلام ،دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط: 2، ت: 2005، ص: 408.

(4)محمد الطاهر التليلي ،المصدر السابق، ج:1 ،ص: 50.

(5)المصدر نفسه، ج:1 ،ص: 50.

كما دعا الشيخ إلى التّحلي بالصبر ؛تلك السمة الفاضلة التي تكون في المسلم نابعة من إيمانه القوي بالله سبحانه وتعالى، الصبر على ما يقدّر له لأن المؤمن الحقيقي هو المصاب فيبتليه المولى بأعزّ ما يملك وفي أقرب النّاس إليه ليمتحن إيمانه، ولهذا فيكون عائله في ذلك هو الصبر، ولم يكتفي الشيخ بالأمر بالصبر فقط لأنّه لا يكفي بل يجب الشكر والحمد على كل شيء؛ المفرح والمحزن وبالعودة دائما إلى الله سبحانه وتعالى فيقول :

الصَّـــبْرُ أَجْمَـــلُ حِلْيَـــةِ الإِنْسَـــانِ فِي سَاحَةِ الأَوْصَابِ وَالأَحْزَانِ
إِنَّ الحَـــوَادِثَ مَـــا تَـــزَالُ بِسَـــاحِنَا بِـــالرَّغْمِ مَـــا سَـــآئِرَ الأَزْمَـــانِ .[1]

وفي قصيدة أخرى يقول :

فَكُنْ صَابِرًا جَابِرًا كَسْرَهَا بِإِهْدَاءِ مَا قَدْ يَسُرُّ الصِّحَاب
وَكُنْ حَامِدًا شَاكِرًا رَبَّكُمْ عَـلَى أَنْ تَـوَارَتْ وَعَـزَّ الجِنَـاب [2]

وقد ذكر الشيخ ضرورة الاستغفار والإيمان بأنّ الله هو صاحب العزّة والعدل ،وهو المتنزه عن الظلم والفرقة أو التفريق بين البشر هذا ما يوجب الصبر في كل عسر، فيحذر من الاستفزاز وعدم الرضا بالقضاء والقدر بل يجب دعوة الله بالرزق الحلال وحمده وشكره فيقول :

واسْـــــتَغْفِرْ الله وَانْسُـــــبْ إِلَيْهِ عَدْلاً وَعِزًّا
وَاصْـــبِرْ لِحَالَـــةِ ضَـــنْكٍ[3] إِيَّـــــاكَ أَنْ تُسْـــــتَفَزَّا
وَاسْـــأَلْ إِلَهَـــكَ رِزْقًـــا فَـــالرِّزْقُ مِنْـــه تُجْـــزَ[4]

وقد نظم الشيخ **"التليلي"** أبياتا أخرى ناصحا فيها بالتّضرع إلى لله جلّ جلاله والدعاء بصلاح الدنيا والآخرة، وكي يكون دعاء المرء مستجابا فيجب أن يكون خالصا لوجهه بين الفرد

(1)محمد الطاهر التليلي ،الديوان ،ج: 2، ص: 53.

(2)المصدر نفسه، ص: 84.

(3)ضنك: ضَنْكٌ، مص :ضنُك وضُنِكَ من كل شيء: الضّيق «عيش ضنك، حياة ضنك». ينظر، جبران مسعود، المصدر السابق، ص: 567.

(4)محمد الطاهر التليلي ،الديوان ، ص: 84.

وربه دون رياء، فيتجه العبد داعيا خالقه بكل انكسار وتذلل راجيا رضاه ومغفرته وذلك إقتداء بأصحاب الدين والسلف الصالح فيقول :

يَـــــا أَخِـــــي العَـــــرَبِي ذِي حِكْمَةٌ مِنْ أَجْوَدِي
فأَحْفَظْهَـــــــا وَاحْتَـــــــذِ حُذْوَ أَصْحَابِ اليَمِينِ
سَـــــمَا يَـــــوْمٌ القِيَامَـــــةِ يَـــــوْمَ لاَ يُـجْـزَى الـحَـزِينِ
وَدَعَـــــا مِنْـــــكَ طَـــــاهِرًا يَرْتَجِيهِ العَبْدُ الطَّاهِرِ
فَـــــدُعَاءُ الغَيْـــــبِ طَـــــاهِرٌ مُسْـــتَجَابٌ لِكُـــلِّ حِـــينِ[1]

كما جاء الشيخ بأبيات يذكّر النّاس بدار الدوام ويوم الحساب الذي تُعرض فيه الأعمال، وما قام به المرء طول حياته خيرًا وشرًا. ونحن عرضنا سابقا دعوة الشيخ إلى العمل الصالح في الدنيا لتكون نهايته سعيدة، ويكون القبر روضة توضع فيها جثة الميت وليست حفرة تضيق بما وضع فيها فيقول :

وَانْظُـــــرْ إلى تِلْـــــكَ المَـــــذَا هِبِ في العِبَادَةِ واذْكُرَا
وَالخُلْـــــفُ في مَعْنـــــىَ الإِلـــــ ـــــهِ وَفي القِيَامَـــــةِ وَالـــــوَرَى
وَالـــــرُّوحُ بَعْـــــدَ فِرَاقِـــــهِ لِلْجِسْمِ أَيْنَ تَسَتَّرَا
وَالجِسْـــــمُ بَعْـــــدَ فَنَائِـــــهِ أَيَكُونُ شَيْئًا آخَرَا
وَالقَـــــبْرُ هَـــــلْ هُـــــوَ حُفْـــــرَةٌ أَوْ رَوْضَـــــةٌ إنْ أَقْـــــبِرَا[2]

المطلب السادس :الاتجاه الاجتماعي

أولا :الدعـــــوة إلى طلب العلـــم

لقد كان الشعر وسيلة من وسائل عدّة اتخذها الشيخ **"محمد الطاهر التليلي"** ،لنشر العلم والقضاء على الجهل فكان أكثر تركيزه في الحث للإقبال على طلب العلم، لأنّه السبيل الأمثل للسّمو الروحي العقائدي .فمن خلال تتبعنا لديوانه **الدموع السوداء** وجدنا قصائده عديدة تتكلم عن

(1)محمد الطاهر التليلي ،الديوان، المصدر السابق ،ج:1،ص:65.

(2)المصدر نفسه ،ج:1،ص:65.

العلم وتدعو إلى السعي في تحصيله والإشادة بأصحابه، والمشرفون على دُورِه كلّ ذلك ناجم عن حزنه من آفة الجهل والأمية اللذان يخيمان على النّاس فهو يقول :

فَلْـيَعْلَمِ العِلْـمُ أَنَّـا قَـدْ هَوِينَـا عَـلَى رُؤُوسِـــنَا فِي مَهَـــاوِي الجَهْـــلِ

وَأَنَّنَـا قَـدْ شُـغِلْنَا وَالعُـدَاةُ هُنَـا بِحَلِّنَـا عُقْـدَةَ الإِسْـلاَمِ وَالـرَّحِمِ[1]

في هذين البيتين يشكو من سوء حال المجتمع، بسبب الجهل الذي قد أتى على القيم والمعتقدات فأفسدها، وقد نهش فكر الشعب فأرداه في مهاوي الإيمان بالخرافة والضلالة ومهالك الفقر والذّل، هذا كله دون يقظة منه بما يحدق به من مخاطر بسبب غياب الوعي الحقيقي الذي يفتقر إليه .

الحث على طلب العلم :

جاء في دعوته للشعب الجزائري إلى النهوض واللّحاق بالركب الحضاري في قصيدة نظمها عندما كان معلما **ببلاد القبائل** سنة 1935 يقول :

يَـا بِـلاَدِي تَنَبَّهِـي مِـنْ سُـبَاتِ وَاغْسِلِي العَـيْنَ مِـنْ قَـذَى[2]الغَفَـلاَتِ

وَانْظُـرِي فِي سَـمَاءِ هَـذِي الحَيَـاةِ تَنْظُرِي النُّورَ حَولَ كُلّ الجِهَاتِ

إِنَّمَا اليَومَ مَبْدَأ الغَايَاتِ

يَـا بِـلاَدِي رِدِّي حِيَـاضَ العُلُـومِ وَانْهَضِي نَهْضَةَ القَوِي العَظِيمِ

وَاشْرَبِي مِـنْ صَـفَاءِ كُـلِّ زَعِـيمِ فَنَصِـيبُ الـغَـدِ مِنَ الكَـدَرَاتِ[3]

إنما اليوم مبدأ الغايات[4]

وكذلك نجده يناشد الشعب من أجل الاستيقاظ من سباته العميق والنظر إلى ما وصلت إليه الشعوب من العلم والتّقدم .وقد دعا إلى طلب العلم والسعي لذلك بصدق وحرص لأنّ به يتم

(1)محمد الطاهر التليلي ، ج: 1 ،ص: 115.

(2)قذى: عينه ما يقع في العين أو في الشراب من تبنه ونحوها. المنجد الأبجدي،المصدر السابق، ص: 790.

(3)الكدرات: كدَر، كدرًا والكَدِر من العيش: المتعس .أمل عبد العزيز محمود،الأداء،المصدر السابق،ص:480 .

(4)محمد الطاهر التليلي،المصدر السابق ،ص: 116.

الفهم الصحيح لمعالم الحياة كلّها، فالعلم رمز لعزة أهله، فهو سلاح قوي يمتلكه الشعوب لأنّه يوحد صفوفهم ويهديهم إلى الصواب ويسير بهم إلى بر الأمان فيقول :

فَالجَهْـلُ قَائِـدُنَا وَالجُـبْنُ رَائِـدُنَا وَالحِقْدُ عَائِدُنَا وَالحَسْدُ لَمْ يَنَمِ
هَيَّـا بَنِـي وَطَنِـي قَومُـوا لِمَّـتِكُمْ وَ اسْتَمْسِـكُوا بِعُرَاهَـا أَيَّ مُعْتَصَـمِ
هَيَّـا بَنِـي وَطَنِـي هُبُّـوا لِعِـزَّتِكُمْ فإِنَّ عِزَّ الفَتَى مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ
هَيَّـا بَنِـي وَطَنِـي هُشُّـوا لِمَعْرفَـةٍ تَدْعُوكُمُ لِدَوَاءٍ نَاجِعٍ شَبِمِ
إلى إتِّحَـاد إلى عِلَـمٍ إلى حِكَـمٍ إلى اعْتِـدَادٍ إلى ذَوْدٍ إلى هِمَـمِ[1].[2]

وفي قصيدة أخرى نظمها الشيخ بمناسبة مولد البني ﷺ يخاطب فيها الأجيال النّاشئة التي بثّ فيها الرسول عليه الصلاة والسلام رسالته وجعلها أمانة لديهم طالبا منهم المحافظة عليها ونشرها لغيرهم، ولا يكون ذلك إلا بالعلم والعمل بما جاء به خير الأنام من مكارم ومبادئ في الأخلاق والمعاملات وغيرها فالشيخ يرى في تلك الأجيال أهلية لذلك فهي مبعث مفخرة لديه فيقول :

يَا نَشْءُ أَنْتَ الَّـذِي مَـا زِلْـتَ مَأْمَلَنَـا حُيِّيـتَ مِـنْ وَلَـدٍ يَـا نَـشْءُ فَـاقْتَرِبْ
لاَ تَسْـأَمِ العِلْـمَ وَاجْلِـسْ فِي مَجَالِسِـهِ وَأَطْلُبْهُ بِالجَدِّ وَالإِتْقَانِ وَالدَّأَبِ
وَاذْكـرْ أَبَـاكَ الّـذِي رَبَّـاكَ مُجْتَهِـداً بِالفَضْلِ وَالخَيْرِ وَالإِحْسَانِ وَالحَدَبِ
فَـإِنَّنِي بِكُـمُ يَـا نَـشْءُ مُفْتَخِـرٌ أَكَادُ أَعْلُو السُّهَا مِنْ فَارِطِ الطّرَبِ[3]

ولا تزال رغبة الشيخ" **التليلي**" في الدعوة إلى طلب العلم وبناء المراكز التي تجمع النّاشئة، وذلك في قصيدة بعنوان: **فتى الصحراء** التي نظمها سنة 1951 والتي يعرض فيها فضائل العلم والثقافة ومكانة صاحبها في المجتمع عبر الزمن فيقول :

فَـرِدْ هَـذِي العُلُـومَ وَلاَ تُرِدْهَـا لِغَـيْرِ المَجَـدِ أَوْ فَـكِّ العِقَـالِ

(1)همم :ما هُمَّ به من أمر ليفعل؛ العزم القوي.أمل عبد العزيز محمود،ص: 480-612.

(2)محمد الطاهر التليلي ،الديوان،المصدر السابق ،ج: 1 ،ص: 103.

(3)المصدر نفسه ،ج: 1 ،ص: 103.

وَشَـيِّدْ مَـا اسْـتَطَعْتَ لَهَـا قِلاَعـاً قِـلاَعُ العِلْـمِ تَحْفَـظُ مِـنْ زَوَالِ
وَنَـاطِحْ بَعْـدَهَا كُـلَّ البَرَايَـا وَلاَ تَخَشَ الهَزِيمَةَ فِي النِّضَالِ
فَـمَا بَلَـغَ الّـذِينَ أَرَاكَ مِـنْهُمْ بِغَيْرِ العِلْمِ أَجْوَازَ الكَمَالِ
وَبِـالتَّثْقِيفِ عَمَّهُـمُ جَمِيعًـا عَلَـتْ أَخْلاَقُهُـمْ دُونَ اخْـتِلاَلِ[1]

ثانيا :تمجيـد العلـم :

بما أننا ذكرنا سابقا حرص الشيخ على الدعوة إلى طلب العلم، والإنسان إذا دعا إلى شيء فإنّه يجب عليه ذكر مناقبه لجلب انتباه المدعوين وتحبيبهم فيه، فإنّه استوجب علينا ذكر مواقف الشيخ في تمجيده للعلم ومحاسنه .

في سنة 1932 التي تم فيها إنهاء الترميم الذي شمل مسجد الطلبة **بقمار**، وشُرع في بناء مدرسة **النجاح**، كتب **"التليلي"** قصيدة تحمل في طيّاتها أهمية العلم الذي يعتبر سرّ تطور الأمم والشعوب و الازدهار في شتى المجالات كأنّه شمعة منيرة توجّه كل من يسلك هذه الطريق فيقول :

العِلْـمُ أَعْظَـمُ مِرْقَـاةٍ[2] إلى الأُمَـمِ تَرْقَـى بِـهِ لِسَـمَاءِ المَجْـدِ وَالكَـرَمِ
العِلْـمُ أَعْظَـمُ مِرْقَـاةٍ إلى الأُمَـمِ تَرْقَـى بِـهِ لِسَـمَاءِ المَجْـدِ وَالكَـرَمِ
العِلْمُ أَكْـبَرْ خِرِّيـتٍ [3] هَـدَى نَفَـرًا إلى صِرَاطٍ سَوِيٍّ وَاضِحِ العلَمِ
العِلْـمُ أَفْضَـلُ قِـدِّيسٍ تَـلاَ صُـحُفًا مِنَ الإِلهِ عَلَى الأَنَامِ فِي الحِكَمِ
بِـهِ الشَّـرَائِعُ جَـاءَتْ وَهِـيَ حَامِلَـةٌ لِوَاءَهُ لِجَمِيعِ الخَلْقِ وَالأُمَمِ
بِـهِ الدَّسَـاتِيرُ رَاقَـتْ وَهِـيَ عَادِلَـةٌ تَـدْعُوا إلى الرِّفْـقِ وَالإِصْـلاَحِ والسِّـلَمِ[4]

(1)محمد الطاهر التليلي،الديوان، المصدر السابق،ج:1، ص: 115.

(2)مرقاة :المرقاة،(ج مراق الدرجة).أمل عبد العزيز محمود،المصدر السابق ،ص: 535.

(3)خريت:الدليل الحاذق الذي يهتدي إلى أخرات المفاوز وهي مضايقها وطرقها الخفية. لويس معلوف،المصدر السابق،ص: 169.

(4)محمد الطاهر التليلي،الديوان ،المصدر السابق،ج:1،ص:136.

وظل معلمنا الفاضل يمجد العلم ويرفع من قيمته ففي سنة 1936 تحصل الشيخ "**الحفناوي هالي** "-رحمه الله- على شهادة التحصيل،فقدم له التليلي تهنئة بذلك في قصيدة عدّ له فيها ما سيحصله وما عليه من واجب إزاء العلم فيقول :

فَـــالْعِلْمُ أَفْضَـــلُ مُقْتَنَـــي ... وَأَعَـــزُّ كَـــنْـــزٍ رَائِـــعِ
وَالعِلْـــمُ فَـــاعْلَمْ مَـــا أَرَا ... كَ حُقُـــوقَ شَـــعْبٍ ضَـــائِعِ
وَالعِلْـــمُ مَـــا أَدْرَاكَ أَنَّـــ ... ـــكَ عَـــالِمٌ بِـــالوَاقِعِ
وَأَرَاكَ جَهْلَـــكَ أَنَّـــهُ ... جُـــرْثُـــومَـــةٌ بِـــمَـــنَافِـــعِ
مَـــا العِلْـــمِ فِي مَـــذْقِ اللِّسَـــانِ ... وَجَـــرِّ ثَـــوْبِ الـــشَّـــارِعِ [1]

كما نجده في قصيدة أخرى بعث بها إلى أحد الشيوخ ينصحه بإتباع الحق ونبذ الابتداع، وعدم الفتوى دون علم، ويوصيه بالسعي لدى العلماء لطلبه و الاستنارة بنورهم، فالعلم أمانة ومن يحفظه سينال ثوابه، ولا يعني بحفظ العلم حبسه ودفنه بل العكس؛ نشره في أوساط النّاس لكي تعم فائدته، والشيخ يحذّر من استعمال العلم لغرض مشين للأخلاق، لأنّ ذلك يعتبر خيانة للأمان فيقول:

وَ اسْـــأَلْنَ لِلْعِلْـــمِ أَهْـــلاَ ... إِنَّهُمْ أَهْلُ اليَقِينِ
إِنَّـــمَا العِلْـــمُ أَمَانَـــةْ ... فَازَ مَنْ أَدَّى وَصَانَهْ
وَالـــذِي عَمْـــدًا أَهَانَـــهْ ... فَهُوَ بِالْهُونِ قَمِينْ[2]
لاَ تُـــدَنِّسْ بِالمَطَـــامِعِ ... وَجْهَ عِلْمٍ فِيكَ لاَمِعْ
فهِـــيَ خَـــالٌ فِي المَجَـــامِعْ ... خَـــالُ عَـــارٍ لاَ يَـــزِينْ[3]

ومن حرص الشيخ على العلم وإكباره له نجده في إحدى رسائله الإخوانية يرفض هجرة العلماء إلى المشرق الذين اتخذوا من العلم مصيدة يبتغون به السّمعة والجاه والمال، فإن لم يجدوا ذلك

(1)محمد الطاهر التليلي،الدموع السوداء ، تح، أبو القاسم سعد الله ، عالم المعرفة، الجزائر، ط،2011، ص:143.

(2)قمين :أمين ، قمناء :أمناء ،ينظر،الزمخشري، المصدر السابق،ص:558 .

(3)محمد الطاهر التليلي،الديوان ،المصدر السابق،ج:1،ص:136.

غادروا أوطانهم إلى حيث الوجاهة والمال والراحة، فهو يراهم هاربين من ميدان المعركة ويعتبرهم خائنين للأمانة والعلم والدين تاركين أمتهم تتخبط في ظلمات الجهل والعسف والقهر، لا تعنيهم إلاّ أنفسهم وراحتهم و وجاهتهم فيقول :

عَجِبْتُ لَعَالِمٍ فِي مِثْلِ هَذَا يَفِرُّ إِلَى المَشَارِقِ فِي اِنْزِوَاءِ
وَيَتْرُكُ غَرْبَهُ وَبِهِ سِبَاعٌ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ أَدْرَى الرِّعَاءِ
وَيَعْلَمُ أَنَّهُ فِي الحَرْبْ شَهْمٌ شُجَاعٌ لاَ يُنَهْنَهُ عَنْ لِقَاءِ
يَفِرُّ إِلَى المَشَارِقِ فِي أُنَاسٍ بِدَعْوَى الحَجِّ أو دَعْوَى النَّجَاءِ [1]

ثالثا:دور المدارس والجمعيات في الإصلاح

لقد دعا الشيخ أفراد المجتمع الجزائري باستمرار إلى بناء دُور العلم وتشييدها، والإنفاق عليها، وحث الناشئة على الالتحاق بها والارتواء من نبعها، فجاء في قصيدة نظمها بمناسبة احتفال أقيم لمدرسة **بسكرة** سنة 1950 نادى فيها الشعب وخاصة أهل الصحراء إلى التفطن لبناء المدارس؛ لأنّها مراكز لنفخ مسك العلم وتثبيت مبادئ الإسلام وأصول العروبة في العقول فيقول :

يَا أَهْلَ ذِي الصَّحْرَاءِ لاَ يَسْبِقُكُمْ أَهْلَ الجَبَلْ
إِخْوَانُكُمْ قَدْ شَيَّدُوا لُهُمُ المَدَارِسَ فِي القُلَلْ
فَابْنُوا المَدَارِسَ وَالحُقُوا وَدَعُوا القُصُورَ إلى أَجَلْ
وَابْنُوا المَدَارِسَ وَاحْفَلُوا وَدَعُوا التَّوَاكُلَ وَالبَخَلْ
وَابْنُوا المَدَارِسَ تَنْشُرُوا مَجْدَ العُرُوبَةِ لِلْمِلَلْ [2]

وبناء المدارس أصبح أكثر من ضرورة في هذا العصر للرّقي بالأمّة إلى أسمى المراتب، فهي من ت تنجب جيلا يكون ذخرا للوطن، فيضيف قائلا :

فَالعَصْرُ عَصْرُ العِلْمِ لاَ عَصْرَ التَّشَدُّقِ وَالجَدَلْ
وَالصَّوْتُ لِلْعُضْوِ المُفِيدِ وَلَيْسَ لِلْعُضْوِ الأَشَلْ

(1)محمد الطاهر التليلي، الديوان ،ج 1، ص:4.

(2)المصدر نفسه،ج: 1 ،ص: 104.

وَإِذَا المَـــــــدَارِسُ أُنْشِـــــــئَتْ فَعَـــــلَى العَـــــزَائِمِ تَتَكِـــــلْ
إِنَّ المَـــــــدَارِسَ قَوْمَنَـــــــا رَوْضٌ كَمَـائِـــمُهُ الـــدُّوَلْ [1]

ونرى شيخنا الجليل يسرّ كلّما شاع خبر للشروع في بناء مدرسة عربية أو معهد في أي مكان من ربوع الوطن ،ويطرب لذلك كثيرا، داعيا الكبار إلى دفع أبنائهم إلى تعلّم العلم للشّفاء من داء الجهل. ففي حفل تأسيس مدرسة **بسكرة** برئاسة **"الشيخ الإبراهيمي"** أنشد قائلا:

هَذَا يَوْمَ المُنَى وَأَفْرَاحُ أُنْسِي هَذَا يَوْمُ الهَنَا لأَبْنَاءِ جِنْسِي
هَذَا يَوْمُ الخُلُودِ أو جَنَّةَ الخُلْـ ـــدِ إِذَا شِئْتَ أو قَدَاسَةُ نَفْسِي [2]

وفي نفس القصيدة نراه يهلل بتوجه أبناء وطنه نحو التقدم للعلى وبناء سروح العلم الشامخة المقدسة واصفا إياها بالجبال العالية والبواخر الراسية المنقذة من الأمواج العاتية فيقول :

كَيْفَ لاَ وَالجَزَائِرُ اليَوْمَ تَبْنِي لِلعُلاَ وَالمَلاَ مَدَارِسَ قُدْسِ
كَيْفَ لاَ وَالحُصُونُ لِلعِلْمِ تَعْلُو كَجِبَالٍ أو كَالبَوَاخِرِ تُرْسِي
فَتَلَفَّتْ تَجِدْ أَمَامَكَ قَصْرًا خَاشِعًا يَسْمَعُ الحَدِيثَ بِخَلْسِ
وَتَسَمَّعْ تَجِدْهُ وَهُوَ صَمُوتٌ الوَاعِظِينَ فِي أَيِّ دَرْسِ [3]

لقد نظم الشيخ قصيدة بمناسبة ختم الدروس بمدرسة **النجاح** سنة 1950 والفرحة تغمر قلبه لأنّه تحقق ما كان يصبوا إليه، وهو تلقين الدروس لأهل قريته لتثقيفهم، وذلك من خلال ما قامت به المدرسة من إنجازات فيقول :

حَـــيِّ الشـــعور وحـــي العِلْـــمَ وَحَـــيِّ وَيـْحَكَ مَـنْ لِلْـعِلْمِ قَدْ طَلَبَا
وَحَـيِّ مِـنْ كُـلِّ حَـيِّ أُمَّـةً نَهَضَـتْ وَطَاوَلَـتْ فِي النُّهُـوضِ السَّـبْعَةِ الشـهبا
وَقَـدَّمَتْ كُـلَّ غَـالٍ مِـنْ نَفَائِسِـهَا لِتَرْتَقِـي سُـلَّمًا لِلْمَجْـدِ قَـدْ صَـعُبَا
وَحَـيِّ مَـنْ لِلْعُـلَا عَـزَّتْ مَطَالِبُـهُ فَمَدَّ فِي نَيْلِهَا الأَسْبَابَ وَ الطُّنُبَا

(1)محمد الطاهر التليلي ،الديوان ، المصدر السابق ،ج1، ص: 105.

(2)المصدر نفسه، ج: 1 ، ص: 142.

(3)المصدر نفسه، ج: 1 ،ص: 148.

وَحَيِّ لا تَـنْسَ هَـذَا الجَمْـعُ مُحْـتَفِلاً بِـالنَّشْءِ يَرْقُـبُ مِـنْ إنْتَاجِـهِ أَرِبـا [1]

فمثلما استحوذ العلم على قلب شيخنا كان لأهل العلم ورجال الفكر والإصلاح مكانة في قلبه،لما يُكنّ لهم من حب وتقدير مثل: **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**. لقد قام هؤلاء بزيارة **لوادي سوف** بقيادة **"الشيخ عبد الحميد بن باديس"** كان ذلك سنة 1938م،فخصهم التليلي بقصيدة نظمها لاستقبالهم دعا فيها سكان المنطقة إلى القيام بواجب الضيافة تجاه هذا الضيف المبجل، كيف ولا وهم حملوا على عاتقهم واجب إخراج النّاس من الخطر الذي يحدق بهم جرّاء ما يخطط له الاستعمار من مكائد ومحاولات لطمس معالم الدين الإسلامي والحضارة العربية،وتغييب العلم عنها فيقول:

هِـيَّ يَـا قَرْيَـةَ الرِّمَـالِ وَهِـيِّ وَجِبَاتِ اللِّقَا إلى خَيْرِ وَفْدِ
هَـيِّ يَـا قَرْيَـةَ الرِّمَـالِ وَحَـيِّ أُسُدَ العِلْمِ وَالْهُدَى وَالتَّحَدِّي
هُبِّـي يَـا قَرْيَـةَ الرِّمَـالِ وَلَبِّـي سَادَةً ذَادَةً وَ قَادَةً رُشْدِ
لاَ يَخَـافُونَ لَومَـةً مِـنْ لَئِـيمْ لاَ يَهَابُونَ صَوْلَةَ[2] الْمُسْتَبِدِّ
أَصْـبَحَ اليَـوْمَ فِي الجَزَائِـرِ نَـشْءٌ عَرَبِيٌ يَدْرِي الْحُقُوقَ وَيفْدِي [3]

إن الشيخ كما رأيناه يرحب بوفد جمعية العلماء، ثم يذكر إنجازاتها وما قامت به تجاه أبناء الوطن من تعليم ومساهمة في تحرير الجزائر كل ذلك تحت ستار أنّها جمعية تثقيفية تهتم بنشر التعليم باللغة العربية فيقول :

نَشَرُوا بِالسَّلاَمِ دِينًا قَوِيمًا طَالَمَـا النّـاس أَلْحَـدُوهُ بِلَحْـدِ
هَـدَمُوا قَلْعَـةَ الخُرَافَـةِ لَمَـاَّ شَيَّدُوا بِالعُلُومِ أَبْرَاَجَ مَجْدِ
إِيـهِ جَمْعِيَّـةَ الجَزَائِـرِ سِـيرِي وَانْـشُرِي بَيْنَنَا صَـحَائِفَ وُدِّ
وَجُـدُودًا هُـمُ الأُسُـودَ بَـلاَءً فِي لِبَاسٍ مِـنَ الـمَـهَابَـةِ وَرْدِ [1]

(1)محمد الطاهر التليلي ،الديوان ،المصدر السابق ،ج1، ص: 9.

(2)صولة: صول: الجولة و الحملة في الحرب ،السطوة، القهر ،القدرة. المنجد الأبجدي، المصدر السابق، ص: 639 .

(3)محمد الطاهر التليلي ،الديوان ،المصدر السابق،ج:1 ،ص:164– 165.

رابعا :دور المـــرأة والطفـل في الإصــلاح

حتى وقت قريب جدا، وإلى ما بعد الاستقلال كان المجتمع الجزائري وخاصة المحافظ منه يتنكر لتعليم المرأة ويرفضه وهذا التنكر والرفض هو تقليد لبعض التيارات المتعصبة، أو المأخوذة من الموروث الثقافي العثماني سابقا، أو خوفا من تعلّم المرأة ثقافة أجنبية ليس لها علاقة بالمجتمع المسلم المتمسك بقيمه وأصالته، وقد لاحظ رجال الإصلاح تأثير جهل المرأة وأميتها على تربية الأطفال أو الناشئة الذين هم عماد الأمم والشعوب وأملها في صلاح المجتمعات ورقيّها، وفي هذا العنصر نستهل الحديث عن دور المرأة الإصلاحي في شعر **"الشيخ محمد الطاهر التليلي"** :

دور المرأة في الإصلاح :

لقد كان الشيخ **"محمد الطاهر التليلي"** لا يؤمن بالحرية المطلقة للمرأة ولا يوافق على اختلاطها بالرجال في الدراسة أو العمل بل يؤكد على وجوب التزام بيتها ورعايته والتكفل بتربية الأطفال ولا يرى مانعا في تعليمها ما يفيدها في الحياة، ولكن مع جنسها وله في ديوانه إشارات قليلة لهذا الموضوع حيث يقول :

وَاحْـــرِصْ عَـــلَى أَدَبِ الفَتَـــاةِ ... وَاسْـــبَحْ بِهَـــا بَحْـــرَ الحَيَـــاةِ
فَهِـــيَ السَّـــفِينَةُ لِلنَّجَـــاةِ ... إنْ أَحْـكَـــمَتْ أَوْصَـــالاَ
البِنْـــتُ أُمٌ فِي الغَـــدِ ... وَبِهَـــا الجَزَائِـــرُ تَرْتَـــدِي
ثَـــوْبَ العُـــلاَ وَ السُـــؤْدُدِ ... مِـــنْ فَـــوْقِـــهَا سِـــرْبَـــالاَ[2]
وَلَـــدَيْنَا فِي نَفْسِـــهَا ... فِي أَهْلِهَـــا فِي جِنْسِـــهَا
أَدَبٌ يُحِـــيطُ بِقُدْسِـــهَا ... يَسْـــتَوْعِبُ الأَعْـــمَالاَ
فَالشَّـــعْبُ إنْ لَمْ يَحْتَـــذِ ... بِـفَـــتَاتِـــهِ حَـــذْوَ الَّـــذِي
سَـــادَ القَبَائِـــلَ ذاَ وذِي ... لَـــمْ يَـطْـــعَمْ اسْـــتِقْلاَلاَ[3]

(1)محمد الطاهر التليلي، الدموع السوداء،ص:52.

(2)سربالا:ج:سرابيل(سربل): القميص أوكل ما يلبس ،المنجد الأبجدي،ص: 546.

(3)محمد الطاهر التليلي، الدموع السوداء،ص:277.

لقد ذكر الشيخ "**التليلي**" العديد من صفات ومميزات الفتاة المسلمة، كما اهتم أيضا بدور المرأة العظيم والكبير في تربية النشء ومساندة زوجها في كل الصّعاب لترقى بأسرتها وهي مجتمعها الصغير، والوطن وهو مجتمعها الأكبر ،حيث أنّها تتحمل العديد من الماسي والآلام لا تستطيع تحملها إلا المرأة التي تحلّت بالصّفات الحقيقية للإسلام؛ وهذا من أجل تربية أولادها على أسس وأخلاق حميدة وطيبة تجعلها ربّة بيت متميزة،والمنزل من دونها مجرد جدران تبكي لفراقها، وأولاد قد عافوا الحياة من بعدها وزوج لم يقدر تحمّل هذا العبء الذي وُضع على كاهله، ولذا ينصح الشيخ الأزواج بأن يقدّروا قيمة المرأة ويحترموها بطريقة غير مباشرة ،فيقول في قصيدته: **الزوجة الشهيدة** :

يَـا رَبَّـةَ البَيْـتِ كُـلَّ البَيْـتِ أَجْمَعِـهِ البَيْتُ بَعْدَكِ فِي غَمَّاءَ[1] يَبْكِيكِ
لاَ البِنْـتُ بَعْـدَكْ بِنْـتٌ فِي قراراتهـا عَزِيــزَةٌ بِــدَلاَلٍ حِــينَ تَرْجُــوكِ
وَلاَ البَنُونَ كَـمَا كَـانُوا وَكُنْـتِ لَهُـمْ أَعِــزَّةً وَلِخَــافُ العَطْــفِ يَعْلُــوكِ
فَكَــمْ سَــعَيتِ وَكَــمْ أَعْــدَدْتِ مَــآرِبَ الخَــيْرِ تَعْنِينَــا وَتَعْنِيــكِ[1]

وبهذه القصيدة يكون الشيخ قد كسر حاجز الرجل الشرقي برثاء زوجه.

ومن الأمثلة التي أدرجها الشيخ-رحمه الله- في صفات وأخلاق بعض النساء اللواتي لا يتسمن بميزات المرأة المسلمة، ويُحذّر الرجال من نكاح هاته النسوة اللواتي كُرهت أخلاقهم السيئة، ولذا يجب على كل فتاة أن تبتعد عن هاته الخصال الرديئة لأنها هي التي ستجعل من النشء القادم ذا أخلاق نبيلة، ولهذا ستفخر بها وبهم الأمة فيقول :

لاَ تَــنْكِحَنَّ الّتِــي لاَ تَعْــرِفُ الشَّــبَقَا أو الّتِي لاَ تَرَى فِي وَجْهِهَا الشَّفَقَا
أو الّتِــي لاَ تُهَــادِي قَلْــبَ صَــاحِبِهَا مَحَبَّــــةً وَاشْــــتِيَاقاً يَبْعَــــثُ الأَرَقَــــا
مِثْــلَ الصَّــغِيرَةِ أو مِثْــلَ المَرِيضَــةِ أو تِلْكَ التـي دَمُــــهَا فِي الـحَالِ قَــدْ نَفَقَا [2]
أو العَجُــوزِ التــي أَمْسَــتْ كَشَــنَّتِهَا [3] أو وَحشَــةِ الوَجْــه تُعْمِـي عَـيْنَ مَـنْ رَمَقَـا

(1)غماء: الغماء :الحزن: الكرب: الداهية.أمل عبد العزيز محمود،المصدر السابق ،ص: 49.

(2)نفقا :نفاقا الشيء، نفذ وفني وقلّ . المنجد اللغوي الأبجدي، المصدر السابق، ص:1082.

(3)شنتها: الشنة: القربة .

أو التـــي ثَـــار في أَوْدَاجِهَـــا [1] غَضَـــبٌ حـنْـــقًا عَلَـــيْـــكَ فَـــإِنَّ الـحَـــبْلَ قَدْ خَلَقَ
أو التـــي صَـــوْتُهَا يَعْلُـــوا السَّـــمَاء إذا تَكَلَّـمتْ وَكَـــأَنَّ الرَّعْـــدَ قَـــدْ طَرَقَـــا [1]

وفي هذا الوقت الحافل بالفتن بشتى أنواعها من قبل أعداء الدين الذين يدّعون الحضارة والتمدّن ويضيّعون أفكار الشباب بإقناعهم أن التبرج والتمرد على دين الله **الإسلام** هو انفتاح وتقدم؛ سواء كان عند الفتاة أو الفتى في حين أن ذلك هو إغراق المجتمع في موجة الانحراف والتدهور والضياع ومن هذا تطرق الشيخ إلى مدى خطورة الصراع الحضاري القائم؛ وتحديد الموقف الإسلامي الواضح لدى المرأة أو الرجل حتى يثبتا للمجتمع ككل بأن الدين الإسلامي؛ دين الحضارة و الانفتاح و الازدهار، ولذا يجب الابتعاد عن هذه البدع وإظهار الأخلاق الطاهرة النزيهة فيقول :

هَـذِي الحَضَـارَةُ وَالتَّمَـدُّنُ وَالهَـوَى وتَمَرُّدٌ في نِسْوَةٍ وَمُجُونُ
جَلَبَـتْ لَنَـا كُـلَّ الرَّذَائِـلِ فِتْنَـةً وَرَئِيسُهَا شَيْطَانُهَا المَلْعُونُ
قَـالُوا التَّـبَرُّجُ لِلْفَتَـاةِ وَلِلْفَتَـى شَرْطُ التّمَـدُّنِ بِـالهَوى مَعْجُـونُ
وَالحُـرُّ أَنْـتَ إذا أَرَدْتَ تَمُـدُّنَا فَـافْتَحْ عُيُونَـكَ مَـا عَلَيْـكَ عُيُـونُ[2]

كما يفتخر **"محمد الطاهر التليلي"** ببنت الجزائر المتمسكة بدينها وقيمها الإسلامية الحنيفة، داعيا إلى إخراجها من التخلف الذهني الذي تعيشه، وتعليمها تعليما إسلاميا وفقا للقيم المسطرة في الدستور السماوي وإتباعا لسلوك السلف الصالح، مبرزا قيمتها الكبيرة في المجتمع ودورها العظيم في الأوقات العصيبة فهي تقف جنبا إلى جنب مع الرجل في المحن، فيورد قائلا:

نَحْـــنُ البَنَـــاتُ المُسْـــلِمَاتْ أَزْهَـــى بَنَـــاتِ المُسْـــلِمِينَ
نَـــدْعُو ونَسْـــعَى لِلْحَيَـــاةِ وَالعَـــوْنُ رَبُّ العَـــالَمِينَ
نَحْـــنُ بَنَـــاتُ المَكْتَـــبِ نَصْـــبُو لأَسْـــمَى الرُّتَـــبِ
نَبْغِـــي عَزِيـــزَ المَطْلَـــبِ بِالعِلْمِ والخُلُقِ المَتِين

(1)أوداجها: عرق في العنف ينتفخ عند الغضب. المنجد اللغوي الأبجدي، المصدر السابق، ص: 608- 1143- 1144.

(2)محمد الطاهر التليلي، الدموع السوداء،ص:135.

فَلْتَعْتَنُـــوا بِالبِنْـــتِ الفَتَـــاةِ عِـنَـايَـةٍ مِـثْـلَ الـبَـنِـيـنِ
نَحْـــنُ الشَّـــقَائِقُ لِلرِّجَـــالِ فِي العِلْمِ أو مَعْنَى الكَمَالِ[1]

وفي آخر القصيدة يوصي الشيخ الآباء بأن يعتنوا ببناتهم وأن يثبّتوا فيهم الأخلاق الحسنة الإسلامية التي ستنهض بالأمة للسير نحو المعالي والقيم السامية وهذا بالتحلي بالأدب الرفيع كصيانة العرض و الابتعاد عن كل ظن مريب؛ لأنّ كلّ امرأة رعت واجب الشرف هي كالدّرة بين الأصداف فيقول :

يَـــا أَيُّهَـــا الآبَـــاء لاَ تَـــأْبَوا عَـلَى البِنْـتِ العُـلاَ
فَنُهُوضُـــكُمْ وَقْـــفٌ عَـــلَى إِصْـــلاَحِهَا دُنْيَـــا وَدِيـــن
رَبُّـــوا البَنَـــاتِ وَهَـــذِّبُوا أَخْلاَقَهُـــنَّ وَحَبِّبُوا
لِنِفُوسِـــهِنَّ ورَغِّبُـــوا دُيـــنا تَقْرَبُهُ العُيُون[2]

خلال دراستنا لشعر الشيخ **"محمد الطاهر التليلي"** وجدنا أنّ المرأة لم تكن موضوعا لقصائد عديدة في شعره، وما عثرنا عليه من قصائد تخص المرأة كانت بمثابة توجيهات ودراسات تربوية دينية أخلاقية، لكي تكون ذات أهلية للمسؤولية التي وضعت على عاتقها ألا وهي تربية الأجيال تربية صالحة وعفيفة .

سادسا: دور الطفل في الإصلاح:

لقد نظم الشيخ قصيدة بعنوان **صغير الشعب هيّا للمعالي** ينادي فيها النشء الجزائري ويغرس فيه حب الوطن والتضحية من أجله بالغالي والنفيس، وهذا لأنّه يدرك: **أنّ العلم في الصغر كالنقش على الحجر** فلا يمحى مهما مرت السنون، ولذا فقد اهتم بتربية الطفل وتعليمه العلم الصحيح لأنّه مستقبل البلاد وأملها في التطور و الازدهار أمام كل الشعوب فيقول:

صَـــغِيرَ الشَّـــعْبِ هَيَّـــا لِلْمَعَـــالِي وَحَيِّ المَجْدَ تَحْتَ ضِيَا الهِلاَلِ
وَأَدْرِكْ مَـــنْ عَلَـــوْ نَجْـــمَ الكَـــمَالِ فَذَاكَ النَّجْمُ قَدْ نَادَاكَ هَيَّا

(1)محمد الطاهر التليلي،مخطوط ، منظومات تربوية للمدارس الابتدائية، ت: 1935م – 1962م ،تابع للديوان،ص: 36.

(2)المصدر نفسه، ص: 36.

صَـــغِيرَ الشَّـــعْبِ قَـــدْ آنَ الأوانُ لأَنْ تَرْقَى وَيَرْقَى بِكَ الزَّمَانُ
فَقِـفْ يـا ابـن الـذينَ أَرَاكَ مِـنْهُمْ عَلَى سَاقِ العَزِيمَةِ وَانْظُرْنَهُمْ
وَصَـفِّحْ مُعْجَـمَ التَّـارِيخِ عَـنْهُمْ تَجِـدْهُمُ حَلَّقُـوا فَـوْقَ الثّرَيـا [1]

وأضاف الشيخ في نفس القصيدة ناصحا ومرشدا **صغير الشعب** بأن يحب بلاده ويزرع هذا الحب في روحه ووجدانه ولذا عليه أن يحافظ على هذا الوطن مستقلا عزيزا و يحارب كل من أراد له السوء، فحذّره من خيانة أرضه التي كانت له الأم الحنون المعطاءة بدون أخذ، داعيا إيّاه أن يوصل بلاده إلى أعلى المراكز والمراتب فيقول :

بِـــلاَدُكَ تَبْتَغِـــي مِنْـــكَ الـــدُّيُونَا فَحَاذِرْ أَنْ تَكُونَ لَهَا خَؤُونَا
فَـــمَا تَـــرْضَى لِغَـــيْرِكَ أَنْ تَكُونَـــا وَمَـــا تَرْضَـــاكَ لَـــوْ تَلْوِيهَـــا لَيَّـــا
فَهَـــا هِـــيَّ الجَزَائِـــرُ يَـــا فَتَاهَـــا لَهَا تَاجٌ عَلَى الأَفْلاَكِ تَاهَا
وَلَكِـــنْ أَمْـــسِ فِي الأَجْـــوَاءِ تَاهَـــا فَهَلاَّ اليَوْمَ تَأْتِي بِهِ عَلِيَّا
فَغَـــيْرُكَ مِـــنَ صِـــغَارِ القَـــوْمِ هَبُّـــوا وَلِلأَوطَانَ قَدْ هَرَعُوا وَلَبُّوا
وَقَدْ شَـقُّوا الصِّـعَابَ فَلَـيْسَ شَـعْبٌ تَـــرَاهُ اليَـــوْمَ إلاّ أَصْـــمَعِيَّا[2][3]

وأخيرا يوصي الشيخ **صغير الشعب** بأن يراعي وطنه ويدافع عنه ويحميه من كل الشرور التي تحيط به، فعندما يصبح شابا عليه أن يصونه ويصل إلى مراتب علمية وأدبية مشرّفة للوطن والأمّة ككل وأن يهبّ في كل الأوقات لمساندة بلاده وإنقاذها من الفساد فيقول :

صَـغِيرَ الشَّـعْبِ أَنْـتَ غَـدًا كَبِـيرُ وَشَـــعْبُكَ بِـــالعُلاَ أَبَـــدًا جَـــدِيرُ
وَلَـيْسَ لَـهُ لَـدَى البَلْـوَى مُجِـيرُ مِـنَ الأَسْـوَاءِ غَـيْرَكَ أَحْوَذِيَّـا [4][5]

(1)محمد الطاهر التليلي،الديوان،المصدر السابق،ج:2 ،ص: 81.

(2)أصمعيا :الصمع، وقلب أصمع، ذكي به سمي الرجل .أحمد بن محدج بن علي الفيومي المقرّي ،المصباح المنير ،الدار النموذجية صيدا ،بيروت ،معجم عربي –عربي، ت: 1425ه/ 2004م، ص: 181.

(3)محمد الطاهر التليلي، الدموع السوداء،ص:275.

(4)أحوذيا :الرجل أخوذي: يسوق الأمور أحسن مساق.الزمخشري، ص: 148.

(5)محمد الطاهر التليلي، الدموع السوداء،ص:276.

وفي قصيدة أخرى بعنوان: **نصيحة الصغار** ينصح فيها الشيخ الصّغار بأن يصادقوا الأخيار ويتجنبوا أتباع أصحاب السوء لأنّهم سيأخذونهم إلى طريق التهلكة و الانحراف، ويعظهم بأن يحملوا كتاب الله دائما في حفيظتهم؛ فهو دينهم ودنياهم وآخرتهم و فلاحهم؛ لأنّه يبني الأخلاق الحسنة على أسس متينة ،تعلّمهم كيفية التعامل مع كافة الناس فيقول :

أَنْصَحُكُمْ مَعَاشِرَ الصِّغَار عَلَيْكُمْ بِصُحْبَةِ الأَخْيَارِ
وابْتَعِدُوا عَنْ صُحْبَةِ الأَشْرَارِ فَإِنَّهُمْ وَبَاءُ كُلِّ جَارِ
قُرْآنُكُمْ دِينُكُمْ العِمَادُ وَفِقْهُكُمْ تَفْسِيرُهُ المُعْتَادُ
تَارِيخُكُمْ أَمْجَادُكُمْ سَنِيَّةٌ عِلْمَكُمْ بِالأَرْضِ جُغْرَافِيَّه
حِسَابُكُمْ يَنْفَعُ فِي الدُّكَان هَنْدَسَة تَخْطِيط كُلَّ بَانِ
أَخْلاَقُكُمْ لَو أَنَّهَا قَوِيمَه لَكَانَتْ الأَحْوَالُ مُسْتَقِيمَه
فَهَذِهِ نَصِيحَتِي إِلَيْكُمْ أَهْدَيْتُهَا مُعْتَمِدًا عَلَيْكُمْ [1]

ومما استخلصناه من هذه القصائد أن الشيخ –رحمه الله– اهتم اهتماما كبيرا بالطفل، فقد وجّهه إلى الطريق الصحيح الذي يجب أن يتّبعه ليصل إلى نهاية ترضي المجتمع، ولأنّه يدرك إدراكا تامّا أنّ الأطفال هم شباب وأمل المستقبل لوطنهم وأهليهم وهم حماة البلاد في كل الصّعاب ،فيغرس في أذهانهم روح القومية العربية، وحثّهم على الاجتهاد في مختلف المواد .

سابعا: حكم ونصائح اجتماعية متفرقة

إن الشيخ من العلماء الذين اهتموا بالإصلاح بشتى مجالاته وميادينه ولعلمه بأنّ المجتمع لا يصلح إلا بصلاح الفرد، فقد حاول فيما أسلفنا ذكره بأن يبرز دور العلم والمرأة والطفل في الصعود بالأمم وإنقاذها من الفساد، ولكن في هذا العنصر سنرى مدى أهمية الإصلاح الاجتماعي عنده وهذا بإيراده لبعض النصائح والحكم التي توقظ الشعوب من سباتهم وتنهض بهم للمجد والحضارة.

(1)محمد الطاهر التليلي، الدموع السوداء،ص:270.

فمن الحكم التي أوردها الشيخ في ديوانه حكمة: **الخطأ والصواب** وقد نُظمت في ثلاث أبيات حثّ فيها على ضرورة اجتناب فعل الخطأ إذا كان الفرد على علم به، لأنّه بذلك سيكون بعيدا عن النزاهة، فنصح بالاقتراب من الصواب والحقيقة لأنّ تركها بمعرفة هو طريق الانجراف وراء النّفس الأمّارة بالسوء، وهنا ينتقد الشيخ الذين يفتون في الدين بغير علم فيقول :

إذا مـــا عَلِمْـــتَ الخَطـــا فَابْتَعِـــدْ فَفِعْـــلُ الخَطَـــا آفَـــةٌ لِلْعَفَـــاف

وإمَّـــا عَلِمْـــتَ الصَّـــوَابَ اقْـــتَرِبْ فَـــتَرْكُ الصَّـــوَابِ طَرِيـــقُ انْحِـــرَاف

وَمَـــا آفَـــةُ الـــرَأْيِ إلاَّ اللُّجَـــاج[1] وَفِعْلُـــكَ مَـــا قَـــدْ جَهِلْـــتَ اعْـــتِرَاف[2]

بما أن شيخنا يُعدّ من المصلحين الذين ناضلوا في سبيل فلاح أبناء الأمّة، فقد اعتمد كثيرا على أسلوب الإرشاد والوعظ ؛وهو أسلوب مؤثر في الفرد بصفة خاصة وفي المجتمع بصفة عامة ،ومن شعره الذي اتّبع فيه هذا المنهج أبيات عنوانها: **"لا"** ، حيث ألّمت بمجموعة من المواعظ؛ ففي كُلّ بيت نجد جواهر من الحكم؛ حيث يقول :

قَـــــالَ أَصْـــــحَابُ الكَلِـــــمْ كَلِمَةً فِيهَا حِكَمْ

لاَ تَـــــرُمْ* مَـــــا لَمْ تُطِـــــقْ حَمْلَهُ مِنْ كُلِّ هَمْ

لاَ تُبَـــــــاشِرْ عَمَـــــــلاً نَفْعهُ قَلَّ وَذُمْ

لاَ تَقُـــــلْ مَـــــالِي زَكَـــــا لَسْـــتُ أَخْشَـــى مِـــنْ عَـــدَمْ

وَهْـــيَ مِـــنْ بَعْـــضِ الـــذِي ذَكَـــرُوهُ فَـــانْـــتُـــظِـــمْ[3]

ومن هذه القصائد الرمزية قصة خيالة تمثل مؤتمرا لبعض الحيوانات القوية، والتي ينتقد فيها ظلم الاستعمار للشّعوب، ويهدّده بأنّ كلّ ظالم سيلقى نهايته من دعاء ذلك المظلوم، وفي نفس الوقت ينبّه النّاس بأن لا يظلم أحد أخاه إن كان ضعيفا فيقول:

(1)اللّجاج:اللجاجة(مص. لجّ): الإلحاح العناد في الخصومة والتمادي فيها. أمل عبد العزيز محمود، المصدر السابق ،ص: 501.

(2)محمد الطاهر التليلي، الدموع السوداء،ص:206.

(3)المصدر نفسه،ص:124.

وَعَقَّــبَ قَــوْلَ الجَمِيــعِ عَظِــيمٌ مِنَ الإبِلِ قَالَ المَقَالَ الأَسَدْ
فَــلاَ يَهْــزَأَنّ قَــويٌّ سَــلِيط بِقُوَّى ضَعِيفٍ إذا ما اتَّحَدْ
ولا يَفْخَــــــرَنَّ بِقُوَّتِــــــهِ ظَلُومٌ تَجَبَّرَ ثُمَّ اسْتَبَدْ
فــإنَّ المَظَــالِمَ ضُــعْفٌ لَــهُ إذا مَــا أَبَــاهَــا ضَـعِـيـفٌ حَقَدْ
فَــلاَ تَهْــزَؤونَ طُغَــاةَ الوُحُــوش بِــأَيِّ ضَــعِيفٍ سَــعَى وَ اجْتَهَــدْ[1]

كما قال الشيخ من الرجز أبياتا ضمت حكما تهدف إلى خصال معيّنة يجب التّخلي عنها وتجنّبها فمن يفعلها لن ينال إلا الظلال والجهل ولن يستطيع الوصول إلى التّميّز مهما فعل، فيقول فيه :

وقَالَــتْ الحِكْمَــة إنّ خَمْسًــا لَــنْ يَفْلَحُــوا وَلَــو تَعَــالَوْا نَفْســا
الجَاهِــلُ الكَــذَّابُ ذُو الطُّغْيَــانِ وَمُبْتَلَى بِشَهْوَةِ العِصْيَانِ
وحَاسِــدٌ فِي قَلْبِــهِ التِيَــاع وَزَاهِــدٌ وزُهْــدُهُ خِــدَاع
وخَــامِسٌ ذَاكَ الــذِي قَــد عَقَّــا أَبَــا وأُمَّــا خُسْــرُهُ قَــدْ حَــقَّا [2]

من الحكم التي شملت خصالا وصفات جيدة للإنسان، من يعمل بهذه النّصائح لن يعرف منه الفشل أو الإخفاق شيئا، وهذا لسيره على خطوات ثابتة بالصبر والإيمان والكفاح والعمل المتقن سيحصل على مبتغاه من الخير والصّلاح ومحبة النّاس له ،وفخرهم به حيث يقول الشيخ في هذا الصدد :

أَرْبَعَــــةٌ لاَ يُخْفِقُــــونَ أَبَــــدَا مُكَافِحٌ وقَصْدُهُ قَدْ حَدَّدَا
ومَــنْ أَعَــدّ لِلْحَيَــاةِ العُــدَّه بالصَّبْرِ والأَنَاةِ طُولَ المُدّه
وعَامِــلٌ عَمَلُــهُ قَــدْ أَتْقَنَــه وأَحْسَــنَ الــتَرْوِيجَ فــيمَا أَحْسَــنَه
وطَالِــب لِلعِلْــمِ بِاجْتِهَــادٍ مــع الــذَّكَاءِ و وفُــورِ الــزَّاد[3]

(1)محمد الطاهر التليلي، الدموع السوداء،ص:70.

(2)المرجع نفسه ، ص: 218.

(3)المرجع نفسه ،ص:218.

أولى "**التليلي**" اهتماما بالغا للعلم، وحَرَصَ على نشره حرصا كبيرا ومجّده واعتبره هو الهادي إلى طريق الصواب في الدنيا والدين وكل المجالات الحياتية، فمن خلال اهتمامه الكبير بالعلم برز حرصه الأكبر على الكتب والتوصية بالمحافظة عليها، باعتبارها المادة الأولية وكنز العلوم ككل حيث عدّ إعارة الكتب للغير سببا رئيسيا في ضياعها، فنظم قصيدة يبيّن فيها نتيجة إعارة الكتب للغير سواء كان المستعير عالما أو مفكّرا أو جاهلا، ستبقى نتيجة الإعارة معاناة لصاحب الكتاب في ملاحقة المعير إليه، ولكن رغم نصحه لم يفده هذا النّصح لشخصه، فكم أعار الشيخ كتبا ولم تُردّ إليه فيقول :

احْفَظْ كِتَابَكَ فِي الخِزَانَةِ مُحْكِماً ... إغْلاَقَهَا كَي لاَ يَرَاهُ ذَوُو البَصَرْ
وأبْخَلْ بِهِ عَنْ عَالِمٍ أو جَاهِلٍ ... فَالبُخْل خَيْرٌ مِنْ مُطَالَبَةِ البَشَرْ
فمَنَ السَّفَاهَةِ أن تُعِيرَ و تَشْتَرِي ... ومِنَ الحَمَاقَةِ أن تُطَالِبَ مَنْ نَكَرْ
فإذا طَلَبْتَ فَكُنْ لِرَشْقِ نِبَالِهِ ... مُتَهَيِئًا لِلسَّبِّ هذا إنْ أَقَرْ
أَنْتَ السَّعِيدُ إذا أَتَاكَ بِهِ وإن ... كَانَتْ صَحَائِفُهُ كَأَوْرَاقِ الشَّجَرْ
إني نَصَحْتُكَ إن قَبِلْتَ نَصِيحَتِي ... والظَّـنّ أن نَصِـيحَـتي لَمْ تُعْتَبَرْ
لَـو كـان نُصْـحِي نَافِعًـا ومُـؤَثِّرًا ... لأَفَـادَنِي وأَنَـا النَّصِـيحُ فَلَـمْ أُعِـرْ (1)

وقال الشيخ ناظما في حكمة مشهورة بالرّأفة بالنّاس وأخصّ منهم فئات معروفة تستحق الرحمة والعفو والإعانة وعدم السّخرية منهم و الاستهزاء بهم لما كانوا عليه وبما أصبحوا فيه، فينصح الشيخ المؤمنين بأن يتّعظوا من حالهم ويعينوهم لأنّهم قد وقعوا في شدّة من الشدائد يبتلي بها الله سبحانه وتعالى عباده فتكون امتحانا صعبا لا يتحمّله إلا ذو القوة والعزيمة الكبيران فيقول :

أَحَـــقُّ النَّـــاسِ بِالرَّحْمَـــةِ ... عَلِيمٌ بَيْنَ جُهَّالِ
وَذُو عِـــــزٍّ وَذُو سَـــــطْوَه ... وَلَكِنْ ذَلَّ في الحَالِ
وَذُو مَـــــالٍ وَذُو ثَـــــرْوَه ... فَقِيرًا صَارَ في الآلِ(2)

(1)محمد الطاهر التليلي، الدموع السوداء،ص:91.

(2)الآل:أول: السراب أو هو ما يشاهد في الضّحى.أو أيام القيظ في البادية،كالماء بين الأرض والسماء كأنّه يرفع الشخوص، المنجد

وَمَـــنْ كَانَـــتْ لَـــهُ حَظـــوه وَفِـــيـــهَا مَـــنْصِـــبٌ عَـــــالِ
فَأَقْصَـــــــاهُ ذَوُو القُـــــــوَّه إلى مُنْحَـــــــدَرِ خَـــــالِ[1]

نجد الشيخ "**التليلي**" ينصح بالابتعاد عن النّاس والعيش من دون نميمة وهمز ولمز حيث سيكون في هناء وسيرتاح من القيل والقال وينصح النّاس أيضا بالعلم والمال معا، فالحياة بعلم من دون مال هي حياة ذلٍّ وهوان بين الأفراد، والعيش بمال دون علم هو همّ وفتن تلبس الإنسان وهو لا يدري، ولذا فوجود هما الاثنان عزّ و وقار فيقول ناصحا :

فَكُـــــنْ بَعِيـــــدًا بَعِيـــــدًا مِـــــنْ الجَمِيـــــعِ اهتمامَـــــا
إن لـــــزَّك الـــــدَّهْرُ يَوْمًـــــا وَعَـــضَّ مِـــنْكَ اللَّـــجَـــامَـــا
فَعِـــــشْ بِعِلْـــــمٍ وَمَـــــالٍ تَعِشْ عَزِيزًا هُمَامَا
فَـــــالعِلْمُ بِالمَـــــالِ عِـــــزٌّ يَقِيكَ فِي النَّاسِ ذَامَا
وَالمَـــــالُ بِـــــالعِلْمِ كَنْـــــزٌ يَقِيكَ فَقْرًا زُؤَامَا
فَـــــارْفَعْ بِعِلْمِـــــكَ نَفْسًـــــا وَارْفَـــعْ بِمَـالِـــكَ هَـــامَـــا
وَكُـــــنْ مَـــعَ الكُـــلِّ شَـــهْمَا فِي حَالَتَيْكَ عِصَامَا [2]

ولمعرفة الشيخ أن الإنسان لا يصلح إلاّ بصلاح داخليته أو نفسيته وإنقاذ ما يحيط به نجده اهتم بوعظ النّاس في شتّى القضايا حيث نظم العديد من الحكم والنّصائح المختلفة التي تفيدهم في حياتهم العادية البسيطة، فقد اهتم بالفقير والغني وغيرهم من الفئات الاجتماعية المختلفة.

المطلب السابع :الاتجـاه السيـاسـي

المنجد الأبجدي،المصدر السابق ، ص: 3.

(1)محمد الطاهر التليلي، الدموع السوداء،ص:115.

(2) المرجع نفسه، ص: 245.

أولا : الدعـــوة إلى الثـــورة

إن القصائد السياسية التي عثرنا عليها في ديوان **التليلي** كانت عبارة عن تأريخ لأحداث سياسية لكنّها تحمل في طيّاتها بصمة إصلاحية كانت بمثابة إيماءات توجيهية عن الفساد الحاصل في بعض المراكز السياسية أو ما يحدث من غش و تلاعب في كواليس الانتخابات مثلا، وكذلك فيها نصح لأبناء الوطن بالمحافظة عن البلاد التي ضحّى الأجداد بالغالي والنفيس من أجل أن ننعم نحن بالحرية فهو يدعوهم إلى تطويرها والرقي بها إلى أسمى المراتب فهذه القصائد تناولت أحداثا كانت شديدة الوقع على نفوس الجزائريين كبيرا وصغيرا، وجاهلا ومثقفا جرّاء ما يقوم به الاستعمار الفرنسي الغاشم الذي لا يهدأ له بال إلا إذا أتى بأكبر المكائد، وخلق أكبر المجازر بالشعب الجزائري.

وذلك مثل حوادث الثامن من مايو 1945م الظالمة ؛والتي مفادها أن الشعب الجزائري احتفل مع بقية الشعوب المنتصرة في الحرب العالمية الثانية من جهة ولأنّه كان موعودا باستقلال بعد انتصار **فرنسا** في الحرب إذا ما شارك الشباب الجزائري في مواجهة عدو فرنسا وهي دول المحور.ولما تم الانتصار فعلا واحتفل الجزائريون به قابلهم العدو بالمجازر المعروفة التي عجز اللسان على التعبير عنها ووجلت العين عن البكاء من هول هذا الحدث فيقول الشيخ:

في ثَـــامِنٍ مِـــنْ مَـــايِهِمْ بِالضَبْـــطِ زَرْبُوطُهُمْ أَبَانَ عَدْل الْمُعْطِي
فَنَـــائِمٌ فِي بَيْـــتِهِمْ بِالغَـــــطِّ[1] وَغَافِلٌ فِي السُّوقِ أو فِي الرَّهْطِ [2]
أَيْقَظَهُ لِلْمَوْتِ ذَاكَ القِبْطِي
فَلَـــو رَأَيْـــتَ تَعْسَـــاءَ الحَـــظِّ بَيْنَ سِطِيفَ وَهِضَابَ الفَيْظِ
إِذْ مائـــة الأَلْـــفِ كَلَمْـــحِ اللَحْـــظِ مِنْ مُسْلِمِينَ قُتِلُوا بِفـــظ
قَـــدْ ذَهَبُـــوا فَـــلاَ النِّسَـــاءُ تَبْكِـــي وَلاَ الرِّجَـــالُ بَقِيَـــتْ فَتَحْكِـــي[3]

(1)بالغطّ: غطّ النائم: نخر في نومه. المنجد الأبجدي،المصدر السابق ،ص: 24.

(2)الرَّهْط :الرّهَط (ج: أَرْهُطْ وأَرْهَاطْ) الجماعة وتعدادها ما بين الثلاثة والعشرة أشخاص.أمل عبد العزيز محمود، المصدر السابق، السابق، ص: 276.

(3)محمد الطاهر التليلي، الدموع السوداء،ص:178.

كما يصور حالة **الجزائر** وهي تحت وقع الاستعمار كأنّها فريسة وقعت بين الكلاب وهم الخونة الذين يبيعون وطنهم من أجل مصالحهم الشخصية ، والذئاب الذين ينهشون لحمها(ثرواتها وخيراتها) وهي تنادي من يخلصها من هذه المحنة وتطلب المساعدة فيقول :

وَلَكِنَّـــهُ مِـــنْ بَعِيـــدٍ بَعِيـــدْ تَسْمَعُ صَوْتًا بِأَقْصَى الشِّعَابِ
يُنَـــادِي هَلُـــمَ هَلُـــمّ إِلَيَّ إِلَيَّ بَنِيَ فَهُشُّوا الذِئَابِ
إِذْ بِـــالجَزَائِرِ أَمَّ الجَمِيـــعِ تَئِنُ أَنِينَ المَرِيضِ المُصَابِ
فَهَـاذِي الكِـلاَبُ وَهَـاذِي الـذِئَابُ وَهَذَا الغُرَابُ وَذَاكَ العُقَابِ
تَـــدُورُ عَلَيْهَـــا تَهِـــرّ و تَعْـــوِي وَتَنْعِـــقُ وَالأُمُ وَسَـــطَ العُقَـــابِ
تُنَـاجِي السَّـمَاءَ وَشَـمْسُ الضُّـحَى وَفِي اللَيْلِ تَهْمِسُ أَيْنَ الصُّحَابِ [1]

لقد كانت فرنسا تقوم باعتقال القادة السياسيين لعرقلة نشاطهم ومنهم **"مصالي الحاج" رئيس حزب الشعب** حيث أنها أبقته في السجن خوفا من مطالبته باستقلال الجزائر عن فرنسا والذي كان قد طالب به سنة 1936م ،وعبر الشيخ عن ذلك بالخدعة السياسية وقال هي:(مُدْيَةُ) أي سكين الجزّار في الذبيح ، والذبيح هو الحزب المطالب بحرية **الجزائر**، أما جمعية العلماء الغير سياسية في ذلك الوقت ومعها الشعب فكلهم في مهب الريح ليس لهم اعتبار ،فيقول :

وَخُلِّفَ المِصَالِي عَنْ تَسْرِيحٍ قَبْلَ انْتِخَابٍ خَشْيَةَ التَصْرِيحِ
بَلْ إنّ ذَاكَ خُدْعَةَ المُتِيحِ بَلْ مُدْيَةَ[2] الجَزَّارِ في الذَبِيحِ
ثم المِصَالِي بُغْيَةُ النَّصِيحِ إِنْ فَازَ في انْتِخَابِهِ الرَّبِيحِ
وَنَحْنُ رِيشٌ في مَهَبِ الرِّيحِ
وبِالمِصَالي نُصِّبَتْ فِخَاخٌ إِذْ أَطْلَقَـتْ سَرَاحَـهُ الأَرْخَـاخِ[3]

(1)محمد الطاهر التليلي ،الديوان ،المصدر السابق ج: 1 ،ص: 12.

(2)مدية: مدي الغاية والمنتهي.المنجد الأبجدي ،المصدر السابق، ص: 927.

(3)محمد الطاهر التليلي،الدموع السوداء، ص: 177.

ونجده يحكي عن مكائد المستعمر وما يثيره الحاكم العام من معارك للفتك بالمجاهدين؛الذين وقفوا في وجهه وقد اعتمد في نصب الكمائن على الخونة والجواسيس،من أمثال الرّئيس و الوزير ويقصد أصحاب المراكز الذين يطمحون إلى الرتب وزيادة العلاوات مقابل خيانة الوطن، لكنّ **فرنسا** لم تكتفي بهؤلاء فقط؛ بل استخدمت الحيلة في كسب قلوب البعض من فئة الفقراء والضّعفاء الذين قدّموا لها يد العون بطمع منهم في تغيير ظروفهم الاقتصادية، وقد نظم الشيخ أبيات في ذلك يهدف من خلالها إلى فتح العيون على ما يحصل حولهم فيقول :

مَعَـــارِكٌ أَثَارَهَـــا الأَمِـــيرُ دَسِيسَـــةٌ وَهُـــوَ بِهَـــا جَـــدِيرُ
وَعَوْنُـــهُ الْمُشِـــيرُ وَالـــوَزِيرُ وَالسَّـــيِدُ الـــرَّئِيسُ وَالْمُـــدِيرُ
وَعَيْنُـــهُ فِي ذَلِـــكَ الكَثِـــيرُ الشَّـــيْخُ وَالْمُرِيـــدُ وَالفَقِـــيرُ
وَالعَالِمُ الرَّسْمِيُّ وَالسِّكِّيرُ[1]

ثانيا: دور رجـال الإصـلاح في السياسة

كما يرينا الروح الوطنية الحقيقية النابعة من القلب،وذلك من خلال وصف استجابة أبناء الوطن لنداء أمّهم **الجزائر** المتوجعة والمتألّمة لما يفعله بها المستعمر،فهم مستعدون للتضحية بأرواحهم مقابل أن تنعم بلادهم بالحرية، وقد صوّر الشيخ ذلك بوصفهم أنّهم قشور و**الجزائر** هي اللّباب فجاءوا للدفاع عنها ومنع أي ضرر يصيبها فيقول :

أُمَّـــاهُ بِحَقِـــكِ لاَ تَجْزَعِـــي فَهَا أَنَا ذَا قَدْ سَمِعْتُ الخِطَابْ
وَجِئْتُـــكِ لَمَّـــا سَـــمِعْتُ النِّـــدَا لأَجْمِي حِمَاكِ وَكُنْتُ الجَوَابْ
أُدَافِـــعُ عَنْـــكِ ضَـــوَارِي الأُسُـــودْ وَأُلْقِي بِهَا مِنْ وَرَاءِ العُبَابْ
فَـــمَا أَنْـــتِ إلاَّ لُبَـــابُ الحَيَـــاةِ وَمَا أَنَا إلاَّ قُشُورُ اللُّبَابْ
وَهَـــاكِ حَيَـــاتِي ضَـــمَانًا لَـــدَيْكِ إِذَا أَنَـــا هِبْـــتُ صُـــعُودَ الصِّـــعَابْ[2]

(1)محمد الطاهر التليلي،الديوان، المصدر السابق، ج: 2 ،ص: 5.

(2)المصدر نفسه، ج: 1 ،ص: 13.

وقد تطرق الشيخ إلى مساهمة رجال الإصلاح في إيقاظ الشعب وتوعيتهم بخطر المستعمر الذي أتى لينهب خيراتها،ويسعى إلى محو كل معالم الوطنية والعروبة، ومن أمثال هؤلاء الرجال الجهابذة **"الطيب العقبى"** الذي دعا إلى الإتحاد والوقوف في وجه العدو لأن في الإتحاد قوة فيقول :

وَالطَّيِّبُ العُقْبِى قَالَ رُسُّوا هُجُومَكُمْ عَنْ دَوْلَةٍ وَشُذُّوا
عَلَى الطُّغَامِ[1] مِنْكُمْ يُعَدُّوا عُدَّةَ دِينٍ قَوْسُهَا عُرْدُ
وَفِي الأُمُورِ لَعِبٌ وَجِدُّ[2]

وكذلك تحدث الشيخ عن رأي **"البشير الإبراهيمي"** ونظرته الثاقبة للأمور ،حيث يرى أنّه من حق جمعية العلماء أن لا تشذّ عن رأي الشعب في المطالبة بالحرية ،والارتماء في أحضان القومية الإسلامية.لذلك لابد من الابتعاد العرين وهو السلطة الفرنسية والدعوة إلى الثورة للقضاء على زعماء الأحزاب الخائنة التي تريد الاندماج والفرنسة،فيقول عنه :

أَمَّا البَشِيرُ فَهُو ذَاكَ الفَذُّ فَرَأْيُهُ يَقُولُ لاَ تَشُذُّوا
دَعُوا العَرِينَ جَانِبًا وَغُذُّوا سِهَامَكُمْ وَسَدِّدُوا وَجُذُّوا
رُؤُوسَ أُسْدٍ أَيْنَعَتْ فَالبُذُّ مُحَقَّقٌ فَلاَ تَنُوا وَحُذُّوا
وَعَجِّلُوا فَلِلزَّيُّورِ النَّبْذُ[3]

ثالثا : توعيـــة الشعـــب :

وبفضل اتحاد أبناء هذا الوطن، ونيتهم الصادقة لحماية البلاد من شرّ الطّغاة، أعانهم الله على ذلك وتحقق ما كان يرجوا هؤلاء، وما دعا له الشيخ الشّباب لتحقيقه ألا وهو الاستقلال والنصر فنجده يدعوا الشباب مرة أخرى لأنه يعلم أن دعوته هذه لن تُرد وستلقي الآذان الصاغية، التي تتمثل في حثهم على ترميم ما أفسده المحتل الذي عاث في الأرض فسادا وما أحدثه من خراب فيقول :

(1)الطّغام: أوغاد النّاس.المنجد الأبجدي، المصدر السابق، ص: 661.

(2)محمد الطاهر التليلي ،الديوان ،المصدر السابق ،ج: 2 ،ص: 05.

(3)محمد الطاهر التليلي، الدموع السوداء، ص:177.

أَلاَ يَـــا شَـــبَابَ الجَزَائِـــرِ قُـــمْ لِتَرْمِيمِ بَيْتٍ عَرَاهُ الخَرَابْ
وَثُـــرْ لِلْبِنَـــاءِ كَـــمَا ثُـــرْتَ فِي وُجُوهِ العِدَا فَأَثَرْتَ العُجَابْ
شُـــدَّ الوَثَـــاقَ بِحَبْـــلِ الوِفَـــاقِ وَرُدِّ الفِـــرَاقَ كَـــرَدِّ الـــذُّبابْ
وَجُـــلْ فِي الـــبِلاَدْ لِبَـــثِّ الرَّشَـــادْ وَكُنْ خَيْرَهَا بِهَدْيِ الكِتَابْ
تَرَسَّـــمْ خُطَـــاهُ فَفِيـــهِ الهُـــدَى وَفِيـــهِ إِذَا شِـــئْتَ حُسْـــنَ الثَّـــوَابْ[1]

قرر المستعمر المستبد الطاغي إجراء انتخابات برلمانية في **الجزائر** سنة 1946م؛ففتح باب الترشيحات عندها ظهرت التصريحات لأعضاء الأحزاب التي بدا عليها التناقض والاختلاف وبهذا برزت التلاعبات في بعض المراكز ، فنجد الشيخ يشير إلى ما يحصل من غش وتزوير في الانتخابات، وما يظهر من مبادئ تنادي بها الحملات الانتخابية لبعض المرشّحين ويكون ذلك مجرد دعاية لأنّ النتيجة محسومة والفائز معروف و الانتخابات عبارة عن إجراء شكلي فقط لأنّه ضروري كي لا تنكشف ألاعيبهم فيقول :

غَـــيْرَ المُـــذَاعِ وَالمُشَـــاعِ نَصَّـــا فَلَمْ يَكُنْ بِحِزْبِهِمْ مُخْتَصَّا
مِثْـلَ انْتِخَـابٍ لِلْقُـوَى قَـدْ خَصَّـا بَعْضَ الذِينَ يَفْحَصُونَ فَحْصَا
فَيُعْرَفُـــونَ فَالعِشْرُـــونَ شَخْصَـــا وَمِائَـــةٌ وَتِسْـــعَةٌ لَمْ تُقْصَـــا
بِقَرْيَتِي انْتِخَابُهُمْ يَسْتَقْصِي[2]

إن أبرز ملاحظة لفتت انتباهنا هي أن تعاطي الشيخ **"التليلي"** لمواضيع السياسية لم يكن كثيرا، مقارنة بالقصائد التي تشمل الإصلاح الديني و الاجتماعي، «هذا يدل على أنّ الشيخ يكره السياسة ويكره الحديث عن الخوض فيها، لكن هذا لا يعني أن الشيخ لا يفهم السياسة بل على العكس؛ يدركها بخباياها وهو ما جعله يتجنب الكلام عنها» .[3]

(1)محمد الطاهر التليلي،الديوان، المصدر السابق، ج: 1 ،ص: 13.

(2)محمد الطاهر التليلي ،المصدر السابق، ج: 2 ،ص: 7 .

(3)مقابلة مع الأستاذ عيد الرحيم سعد الله في بيته الكائن بقمار، 22/ 03/ 2011 ،10.00-11.30.

وبمكن أن يكون ذلك عائدا إلى طبيعة منهجه الرامي إلى عدم الخوض في المعارك السياسية والاجتهاد في إعداد الشعب بالعلم فهو سلاح الضعفاء، مقتفيا أثر شيوخه ومن أنتهج طريقهم فإنهم كانوا له أسوة .

مـلخـــص:

إنّ الإصلاح لغة أشتق من مادة (ص –ل–ح): وهو ما اتفق العلماء على أنّه ضد الفساد، وكما جاء في كتاب الله أيضا بهذا المعنى؛ وهو دفع وإزالة المفاسد سواء في شخص الفرد أو الجماعة .

ومن يرى أنّه لا معنى للإصلاح في وقت تغلغل فيه الفساد فهو مخطئ لأنّ المصلح ما جاء إلا ليقتل الفساد ويمحوه فنجد مثلا: الحركة الإصلاحية في الجزائر والتي برز أصحابها بأفكار من شأنها إنقاذ المجتمع والوطن مما تخلّله من آفات وانحراف عن الطريق السليم، وأتى جهادهم باليقين أن لا عزّ للوطن إلاّ بالأمّة ولا وجود للأمّة إلاّ بالحرّية؛ وهذه الحركة لم تكن حِكْرًا على جهة أو حزب معين، لأنّ ما ساهم في نجاحها هو احتضان الشعب لها وذلك يعود إلى ذكاء الرجال الذين حملوا لواءها و على رأس هذه القائمة الطويلة **"عبد الحميد بن باديس"،"الطيبالعقبى"،"البشير الإبراهيمي"** وغيرهم كثر .

قد برزوا في قرى وبلدان الجزائر ليعمّ الإصلاح كافة الشعب، ومن هؤلاء المصلحين **"الشيخ محمد الطاهر التليلي القماري السوفي"** بن **"بلقا سم** بن**" الأخضر"** بن **"عمر"** بن **"أحمد"** بن **"قاسم" بن "أحمد"** الفرياني، الذي ولد في منتصف الليلة السادسة من شهر ذي الحجة سنة 1318 هـ الموافق لـ:1910 بمدينة **قمار** التابعة **لولاية الوادي،** وفيها بدأ تعلّمه الأول على يد جدّه **"الأخضر** بن **عمر" والشيخ "عمار بن الأزعر"** اللذان حرّضاه على طلب العلم وغرسا فيه حبّ العلوم والهجرة في طلبها حيث سافر إلى **جامع الزيتونة** وتلقى فيه العديد من العلوم المختلفة والتقى بكبار المشايخ، فاستقى من علمهم النفيس الكثير .

ومما تميّز به شيخنا أنّه آثر الابتعاد عن الأضواء والشهرة، لكي لا يعتني بالدنيا ومشاكلها وينسى دينه وآخرته عُرِفَ –رحمه الله– أنّه من سلسلة العلماء الذين قاموا بدور كبير في الدعوة والإصلاح في

بلادنا الجزائر رغم كل الظروف الصّعبة والعراقيل التي واجهته أثناء وبعد الاستعمار الذي عذّبه وشرّده، بالإضافة إلى الأمية والجهل الذي حاول الشيخ بمختلف الطرق والوسائل القضاء عليهما، وهذا ما دفعه لرفع راية الإصلاح بين أهله بعد هجرة شيخه **"عمار بن الأزعر"** إلى البقاع المقدسة، فقد كان مرجعا للمستفتين والباحثين لما كان له من العلم في اللغة العربية والمسائل التاريخية والدينية الفقهية .

وكان للشيخ العديد من المؤلفات في عدة فنون جمعت بين النثر والنظم.

ولم يُعرف للشيخ كتاب طبع في حياته سوى منظومات في **مسائل قرآنية**، أمّا كتابه **إتحاف القارئ** فقد طُبع بعد مماته الذي كان سنة 2003 بيوم الثلاثاء 11 نوفمبر الموافق لـ:16 رمضان ..

ولعلّ من بين مؤلفات الشيخ –رحمه الله– الأجدر بالاهتمام والعناية ديوانه **الدموع السوداء** الذي يعدّ مرآة عاكسة لحياته و إنجازاته في جميع أطوار مشواره كما شملت قصائد هذا الديوان العديد من الجوانب الإصلاحية كالإصلاح الديني و الاجتماعي؛ لأنّه يدرك حقّ الإدراك أنّ الأمم لن تصلح إلا بصلاح أفرادها، كما ألمّ الديوان ببعض الحكم والنّصائح التي ترقى بالأمّة والمجتمع وتفيد النّاس لتهذيب أخلاقهم، لأنّ حسن الخلق خير قرين، والأدب خير ميراث، والتّقوى خير زاد، وهذا ما يقوي الإيمان ويزيد من التعلّق بالله عزّ وجل والطمأنينة مع النفس والنّاس .

كما تطرق الشيخ في قصائده لبعض القضايا السياسية التاريخية خوفا منه على مصلحة الوطن وحبّا له؛ لأنّ حبّه نزعة طبيعية في كل إنسان مهما كانت مرتبه في عالم الحضارة، ومن لا يحبّ وطنه لا يمكن أن يحبّ شيئا؛ ولذا نبّه في قصائده السياسية القليلة بعدم تكرار هذه الأحداث التي تبرز خيانة البلاد من طرف أبنائها، فتعرّض الشيخ –رحمه الله– للاتجاهات الإصلاحية الدينية و الاجتماعية والسياسية بشكل مترابط وسلس وبسيط وواضح، يحاول من خلاله إنقاذ النّاس من الجهل الذي يعيشون فيه ،وتهذيب سلوكهم ليصلح المجتمع والأمّة بأسرها .

الفصل الرابع:

جماليات التلقي في مسرحية الشيخ العجوز وزوجته
(قراءة في المبنى و المعنى)

أولا: النص المسرحية

وقلت مازحاً وحاكيًا قصة شيخٍ أراد الزواج:

طَـرَق الْشَّـيْخ خَاطِبًـا بَـاب جَمْـع مِـن نِسَـاء أَقَمْـن حَفْلَـة عُـرْس
قَـائِلا مـن تُرِيـد مِـنْكُن زَوْجًـا فَتَـضَاحَـكْن مِن غَـبَاوَة هَرْس

الصغيرة ساخرة:

قالْـت وَقـد سَـمِعْت بِـأَنِّي أَشْـيَبْ هَـذَا الْعَجُـوز أَتَـى إِلَيْنَـا يَخْطِـب

المرأة النصف توصي:

أَوْصـت صـوَاحِبَهَا تَقُـول هَـزْلاً تَرْضَـيْن أَشْـيَب كَالْثُّغَـام غُـذَاره

المرأة العانس تقول:

عَنَسِي وَلاَ الْشَّيْخ الْعَجُوز الهَارِم وَلـو أَنَّه الْشَّيْخ الْوَقُور الْعَالِم

وذات الأولاد تقول:

مـا فِي الْـزَّوَاج شَـهوَّةٌ تَعْنِينِـي فَلِي مـن الأَوْلاَد مَـا يُغْـنِينِي

والمرأة العقيم تقول:

الْوَلَـد مَفْقُـود فمَـا احْتِبَاسـي وَالـرِزْق مَوْجُـود بِـلاَ مَسَـاسِ

وذات العاهة تقول:

حَسْـبِي مِـن الْعَاهَـات مَـا أُقَـاسِي فَلـنْ أَكـوَن سُـخْرَة لِلْنَّـاس

والأيّم تقول:

إِن الـذِي أَحْبَبْتـه تَوَلـى وَلـن يَعُـوَد فَالقُعـود أَوْلَى

والمطلقة تقول:

طَلَّـقُونِي وَمَـا فَعَلْـت ذُنـوبًا فَدَعُـونِي مـن الْقُسَـاة قُلُوبًـا

والعجوز الهرمة تقول:

دَعْنِـي مِـن الْـزَوَاج وَالْقَـرِين فَشَنّـتِي قـد يَبِسَـت مِـن حِـينْ

ورهط من الفتيات يقلن:

لاَ الدَّين نَبْغِي وَلاَ الْحَيَاء نُرَاعِي فَلَنَا فِي الْمُلاَهِي كُل الْدَّوَاعِي
لاَ بُيُوت الْزَّوَاج نَرْضَاهَا سِجْنًا نَحْن طَيْر إِلَى الْوُرُود سَوَاعِي
فِي الْبَسَاتِين كل نَوْعٍ وَلَوْنٍ مِنْ شِميمٍ وَلَذَّةٍ وَمَتَاعٍ

ونصحته عجوز فقالت:

أَنْت شَيْخٌ مِن الْشُّيُوخ الْقُدَامَى وَأَنَا شَيْخَةُ الْنِّسَاء الآيَامّى
جِيلُنَا فِي الْحَيَاة أَصْبح رَثًّا أَكَل الدَهْر لَحْمَه وَالْعِظَامَا
فَلْنَدَع لِلْجَدِيْد كُل جِدِيْدٍ وَلْنُبَادِرْ سُجُودَنَا وَالْقِيَامّا
فَزَمَان الْتَّصَابِي وَالْجَهْل وَلى وَزُمان الْمُتَاب حَان فَحَامَا

وهناك طائفة أخرى من النساء تقلن مشفقات:

وَيْح شَيْخ تَصَابَى بَعْد عَجُوزه فَقَد الْعَقْل قَبْل فَقَد كُنُوزه
يَتَجنّى على الْنِّسَاء فَيَبغِي زَوْجَةً كَاعِبًا لِفَك رُمُوزِه
قَائلاً فِي الْثَّرَاء أَفْضَل كُفءٍ جالبًا لِلْفِرَاش خَيْرُ طُرُوزِهِ
وَهو لَمْ يدْر أَن كُل فَتَاةٍ هَمُّهَا الْزَّوْج لا نَقَاوَة كُوزِه[1]

وبعد الاستماع قلت بالتياع:

قُلْتُ بَعْد اسْتِمَاع كُل جَوَابٍ مِن نِسَاءٍ أَسَأْن ظَنًّا وَرَدَّا
لَيْس مِن يُدْلِي لِلْزَّوَاج حِبَالا هَمُّه كُله الْعَسِيلَة قَصْدا
قَد يَكُون الْزَّوَاج صَونًا وَعَوْنًا وَحَدِيث الأُنْس هَزْلاً وَجِدّا
قَد يَكُون الْزَّوَاج تَعْمِير بَيْتٍ بِصَغَار تَقِيك حَرّا وَبَرْدَا
إِنّ بِيتًا مِن الْصِّغَار خَلاَءً كَان لاَ شَكّ لِلْشَّيَاطِين وِرْدَّا
إِنَّمَا الْبَيْت لِلْوَحِيد ضَرِيحٌ مَيْتًا فِيه ضَاق ذرْعًا وَلَحْدَا
فَاتَّقِين الإِله يَا نِسْوَة الْحَي وَذُدْن الَلعِيِّن عَنكُن ذَوْدَا
إِنّ قَصْدِي مِن الْزَوَاج شَرِيف وَهُو فِي الْشَّرْع قَد تَأَكَّد جِدَّا

(1) محمد الطاهر التليلي ،الدموع السوداء ،ص 184

مَـنْ لِطَـبْخ وَمَـن لِغَسْـل وَكَـنْس مَـنْ لِكَـيّ الثِّيَـاب مِـن يَرْفُـو جَـرْدَا
مَـنْ لَـه إِن عَـرَاهُ سُـقمٌ مُفَـاج مَـنْ له عِـنـد مَـوْتِـه إِن تَـرَدَّى
مَـن يَقِـي عَـاجِزًا تَنَاسَـاه أَهْـلٌ مِـن صُرُوفِ الْزَّمَـان أَصْـبَح قِـدّا
لِي بَنَـات وَلِلْبَنـات اشْـتِغَالٌ بِبُعُـولٍ يُـدِرْن بَيْتـا وَوُلْـدا
أَمْ بَنُـوه وَلِلْبَنِـين شـؤُونٌ لَمْ تـذَر لِلآبـاءِ حُـبًّا وَوَدّا
لاَ تَسَلـنِي عَـن الْخَفِيـد فَـإِنِّي لَمْ أَرَ فِي الْوَلِيـد لِلخَـيْر رَدّا
كُنْـتُ لِلْكُـلّ وَالِـدًا يَـوْم كَانَـت أُمُّهـمْ حَيَّـةً وَكـنت الْـرَدّا
فَهـم الَيـوَم كَالْعَـدُو عُقُوقًـا وَهُـم الَيـوَم كَالأَبَاعـد بُعْـدَا
وَأَنَـا رُغـم كـل مَـا أَسْـلَفُوه مِـنْ عـقـوقٍ أَكِيـل لِلْـكُـلّ رِفـدَا
يَـا إِلهِـي أَنْـت الْـوَلِيُّ فَكُـن لِي وَلا تـذَرْنِي بَـيْن الْخَلائِـق فَـرْدا
وَاهْـد رَبِّ الأَوْلاد خَـيْر سَـبِيل يُبْـصُرُوا الْـبَرَّ إِن فِي الْـبِرِّ رُشْـدا
وَاهْـدِنِي دَائِـمًا إِلَيْهِـم جَمِيعًـا حَتَّى لاَ يُـحْـرَمُـوا رِضَاي وَوَعْـدَا[1]

وقلت على لسان شيخ بلغ من الكبر عتيا وتزوج فتاة تحت الثلاثين:

كَـبُـرتُ يـا قَـوْم جـدًّا وَمـا تَـبَنَّـيْـت رشـدا
مَـضـتْ عَـلَـيّ سِنِيـنٌ وَتِسْـعٌ وَسِـتُّـون عَـدَا
أَتَـتْ فَـأَخنَت وَأَحْـنَت ظَـهْـرِي فَـأَمْسَيْـت قدّا
وَالْشَّـيْـب عَـم اشْتِـعَالاً بِالْـرَّأْس فَـوْدا ففُـوَدا
وَنَـال دَهْـرِي مِنِّـي وَسَـامَـنِي الْسُّـوء صـدّا
وَلِـلّيـالَـي صـرُوْفٌ تَـهُـدّ مَـا شِـدْت هَـدّا
تـرُدَّنِـي لاَ تُبـالَـي لِأَرْذل الْـعـمُـر رَدّا
فَالَـجِسْـم وَالْـعَقْـل مِنِّـي كِـلاهُـمَـا قَـد تَـرَدّى
فَـأَيْـن بِـالأَمْـس سَمْعِـي فَـالْـيَـوْم أَصْـبَـحْـتُ صَلْـدا
وَكُـنْـت كَـالْـبَازِي عَـيْنًا فَـصِـرْت لِـلأَعْـشَى نِـدَّا

(1)محمد الطاهر التليلي ،الدموع السوداء ،ص 64.

وَكَـــان فِـــي الْعَقْـــل فَـضْـــلُ ... إِلَـــــى الـذَّكَـــاء تـعُـــدّىَ
فَـالْـيَـــوْم غَـــاضَ وَغَـــابَتْ ... مـنَـــــي الـزِكـانَـــةُ بُـعْـــدَا
وَكـنْـــتُ آيَـــة حِـفْـــظٍ ... أعـــــي وأحـفـــظ ســـــرْدا
والـيـــوم كـــل قـديـــم ... نسـيـتـــــه والأجـــــدا
نَسِيـــتُ يَـــا وَيْـــح نَـــفْسِي ... حَـتَّـــى الْـقُـــران الأَسَـــدَّا
وَفـيـــــه آيَـــة طـــــه ... "الْيَـــوْم تُنْسَـــى" وَتَـــرْدّى
وَمَـــات مَـــنْ كَـــان أُنْسِـــي ... فَغـادَرتْـــــنَي فـــــرَدّا
فـــــلا مـــــلاَذ إِلـــــيْهِ ... أَلُـــوْذ مَمْســـى وَمـــغْدَى
وَلا مـعـــــاذَ أُعـــــوَذُ ... بـــــه إِذَا الْشّـــــرُ أَبْـــدَى
وَصِرْت مِـــنْ بَعْـــد عِـــرْسِي ... كَـــلا عَـــلَى الْكُـــلِّ نِكْـــدا
وَلا أَحـاشِـــــي قـــــرَيْبًا ... وَلـــــن أَحـــــاشِي وُلـــــدا
لـــــمَا رَأَيْـــت الـــــرَّزَايَا ... تَجـــــدُّ لِلـــــقَتِل جـــــدّا
طَلَبْـــت تَجْدِيـــد عـــمُرِّي ... بـــــزَوْجَة تَتـــــفدّى
فَكَـــانَ مِـــن سُـــوَء حَـــظّي ... وَطَـــالعِي لِيـــس سَـــعْدا
أَنِّي تـــــزُوِّجَت هنـــــدًا ... وَمـــــا تـــــزُوّجْت دَعْـــدَا
أَتَتـــــنِي رَبّـــــة بِيـــــتٍ ... وَالْقَلـــــبُ يَحْمِـــل حِقْـــدَا
كـــــأَنَّهَا يَـــوْم جَـــاءَت ... إِلَى الْمكـــــارَه تَهْـــدَّى
عَرَفَـــت فِي الْوَجْـــه مِنْهَـــا ... عَبُـوْســـــة تَتحَـــدى
فَقُلْـــت ضـــيْف خَجَـــول ... بِـــــه الْحَيَـــاء تَبـــدّى
لَعـــل مِـــن بَعْـــد حِـــيْن ... يُـرِينَـــي حُـــبّا وَحَمـــدا
لَكـــن بـــــدا لِي أَنِّي ... قَـــد خِبْـــت ظَنّـــا وَقَصْـــدَا
أَرَاهـــا فِي الْلَّيْـــل نَوْمًـــا ... يَطُـــوْل يُثْقِـــل خَـــدّا
وَفِي الَنـــــهَار نَشَـــــاطًا ... إِلَـــى الْمَكَـــائِد يُـــحْدى
فَـــقُـــلْـــت يَـــا هَـــذِي مَـاذَا ... أَرَاهُ فِـــي الْبَيْـــت نِـــدَّا

أَلَـــــيْس فِي الْلَّيْـــــل شَيْء قَـــــد جِئْـــــته كَـــــان إِدا
فَتَمْتَمَـــــت ثـــــم قَالَـــــت بِي الْـمَنَـــــام اسْتَبـــــدَّا
تَقُـــــوْل وَالْنَّـــــوْم أُوْلَى مِـــن كُـــل شَـــيْء وَأَجْـــدَى
فَـــنَم إِذَا شِـــئْت نـــوَمَا وَاسْـــهَر إِذَا شِئْـــت سُـــهْدَا
فَقُـــلْت وَالْقلُـــب بَـــاك وَحَسْـــرَتِي لَـــن تُـحَـــدّا
الْعُذْر يَا ابْنَة قوَمِي مِـنِّي إليـك أُعِـــدَّا
قَد كُنْت أَخْطَأْت رَمْيَا لَمَّا قَصَـدْتُك وَردا
وَقَد تَعَدَّيْت طـوْرِي وَقَـد تَجَاوَزَت حَدَّا
وَلِلَّذِّي قـد تَعـدّى أَطْوَاره أَن يُحَـدَّا
فَلـيَس لِلـشَيْخ إِلاَ عَجُوزَة كَالْعَلَنْدَى
أَخـنَى الْزَّمَان عَلَيْهَا فَأَبْقَى عَظْمًا وَجِلْدا
مـص الْشَبَاب وَمَاء وَخد بِالْوَجْه خَـدّا
وَعَضّـهَا عَضّ قَاسٍ طَغَـى وَزَاد فَشَـدَّا
وَقَدْ رَمـاهَا بـدَاءٍ يَصـيرُ الْمْرء قِـرْدَا
قَتْلُك لِلْشَّيْخ عُرْس تَفُوق دَعْدَا وَهِنْـدَا
تَرْضَاه بَعْلاً وَشَيْخًا وَتَقْضِـي مِنْـه وُدّا
تَحْنُو عَلَيْه وَتَرْضِيا بِكُـل مَا قَال وَعدَا
وَلاَ تَـعيْب عـلِيَه مَشِيْبَـه الْمُستجدّا
تَّطِيـعُه كُل حِيْنٍ وَلاَ تُنَاقِضُ عَـهْدَا
فَأْمُره الأَمْر حَتْمًا وَلَيْس تَمْلِـك رَدّا
بهذي لاَ تِلْك فَاظْفَر إِن كُنْت يَا شَيْخُ جدَّا
وَعـاصِ فِي الأَمْر قَلْبًا يَهِيم بِالْغِيد وَجْـدَا
تعِشْ كَمَا شِئْت شَهْمًا وتَهْنَ بَالاً وَمَـهْدَا
وَلاَ تُـدَاعِـبْ فـتَاةً تُفْتي بِقَـتلك عَـمْدا

وَلا تُخَاطِب عـجَوزا أَمْسَت لِرَأْيك ضِـدّا
وَلا تَقـارِب نِسـاء يَهْدِمْنَ مَـالاً وَمَجْدَا
إِنْ عَاكَسَتْك الْليـالَي فِي تِلْك أَوْ تِي فَزُهـدا
فَفِـي الْكَرَامَة شـيْءٌ أَغْلَـى وَأَثْمَن عقْـدَا
وَفِي الْمُـرُوءَة مَعْنى يَفُـوق مُلْـكاً وَجُنْدَا
وَهِمَّةُ الْمَرْء كـنَزٌ يَسْمُو عَـلَى التِّبْر نَقْدَا
وليس في المرء خير إن كـان للذل عبـدا
فَعِشْ وَحِيدًا فَرِيدًا إِذَا أَرَادُوكَ وَغــدَا
فَرَأْسُ مَالِك نَفْـسٌ فَـوْق الْسَّمَا كَيْنِ بُعْدَا
وَمَعْطِسٌ فِي الثُّـرَيّا يَـشُـمُّ لِلْـعِز وَرْدَّا
وَكُن عَزِيزًا كَـرِيمًا وَاقْمَـع هَـوَاك وَردَّا
فَهَـذِه مـن خَبِير نَصِيحَة لَك أَهدى
مُـجَرِّبٍ حَنكَتـه مَكَائِد الأُخْت سُعْدَى
بَذَلْتُهَا فِي وُضُوحٍ لِكُل شَيْـخٍ تَعَـدَّى
فَرَاح يَطْلُب عُرْسًا تَحْت الْثَّلاثِين عَدَّا
لَعَـلَّه يَتـحَاشى مَصَائِدَ الْـشَّر رُبْدَا
وَفِي الْخِتَام سلاَمٌ لِمَـن تَقَبَّـلَ رُشدا[1]

وقلت هذه الأبيات على لسان شيخ عجوز يريد أن يتزوج فخطب فرد ولم يقبل وهذه الأبيات تابعة لقصة خيالية منظومة في قواف مختلفة الرّوي تجدها مشتتة في هذه المجموعة.

ثانيا. تقديم المدونة:

هذه المسرحية مأخوذة من ديوان "الدموع السوداء" للشيخ الطاهر التليلي بعنوان: (الشيخ العجوز وزوجته)مكونة من ثلاثة مشاهد يحتوي المشهد الأول على 22 بيتًا، والمشهد الثاني يتضمن

(1)محمد الطاهر التليلي ،الدموع السوداء ،ص 60

23 بيتًا، أمّا المشهد الثالث فيحتوي على 76 بيتا ولكل مشهد عنوان يلخص أحداثها، ويبدأ كل مشهد بسرد ووصف قصصي ثم تحولت إلى حوار مسرحي بين الشخصيات .

- **شخصيات المسرحية**: تضم المسرحية 16 شخصية وهي:

* **الرّاوي**: هو العنصر المحرك للمسرحية وهو صديق الشيخ.

* **الشيخ**: هو الممثل الرئيس في المسرحية،وهو شيخ كبير في السن يبلغ من العمر حوالي 70 سنة أرمل له عدد من البنين والبنات والأحفاد، وتزوج بامرأة أخرى.

* **الفتات الصغيرة** غير راشدة مستهزئة غير مبالية.

* **المرأة النصف**: المتوسطة في العمر.

* **المرأة العانس**: التي كبرت في العمر ولم تتزوج، تحمل عقدة نفسية لأنها كبيرة في العمر ولم تتزوج.

* **المرأة ذات الأولاد**: امرأة متزوجة لديها أولاد لا رغبة لها في الزواج.

* **المرأة العقيم**: متزوجة ولم تنجب اطفالا ولا ترغب في الزواج.

* **ذات العاهة**: فتاة كبيرة في السن ذات عاهات، لا ترغب في الزواج.

* **المرأة الأيم**: المرأة الأرملة التي توفي زوجها، تمثل شخصية المرأة الوفية المخلصة.

* **المرأة المطلقة** :المرأة التي طلقت بدون رضاها تمثل شخصية المغلوب على أمرها والمظلومة.

* **العجوز الهرمة**: طاعنة في السن لا ترغب في الزواج.

* **رهط من الفتيات**:يبحثن عن الحرية واللهو، يعتبرن ان الزواج من الشيوخ سجنًا لهن.

* **عجوز أخرى**: "ناصحة" أرملة كبيرة في السن.

* **مجموعة أخرى من النساء**: مشفقات على حال الشيخ.

* **سعدى** : فتاة تحت الثلاثين وهي زوجة الشيخ ماكرة وقاسية القلب.

ثالثا: تلخيص أحداث المسرحية:

هذه قصة خيالية هزلية هادفة قصة شيخ عجوز يريد الزواج، كان من بين جيراننا شيخ محترم كانت له زوجة أحبها وأحبته وقضى معظم عمره معها في هناء وطمأنينة . لكنها ماتت وخلفت له الحزن والأسى فبقي وحيدًا، وقد تقدم به السن إلى القبر فهو اليوم على حافته ومع هذا لا ينفك يفكر في تجديد حياته بالزواج حتى لا تتجاذبه وساوس الوحدة وهو حبيس الانفراد.

وطال تفكيره في هذا بين الإقدام والإحجام، وكثر تردده في البحث عمّن يروم أو يرام، وفي بحر هذه الحيرة والاضطراب، استشار بعض الأصدقاء والأصحاب، فأشار أكثرهم عليه بالزواج لأنه خير دواء لمرض العزوبة، وأفضل علاج وكان من بين أولئك الأصدقاء من لازمه صباح مساء ملحًا عليه في تعاطي هذا الدواء.

إلا أنه أوصاه بتخير الزوجة الصالحة،ذات الصفات الحسنة والفاضلة. وهنا نترك الشيخ يقص علينا قصته الطريفة الظريفة في شعر هزلي خفيف وفكاهي نظيف فيقول:

ماتت قعيدة البيت فتركتني بين لعل وليت، فاستشرت صديقا لي في الزواج وتجديد الحياة فقال هو العلاج ولكن لا تجديد هيهات ثم أوصاني بأن قال:

لا تـــنكحن التـــي لا تعـــرف أو التي لا ترى في وجـهها الشفقا
أو التـي تهـــدي قـــلب صـاحبها مـحبـة واشتيـاقا يبـعث الأرقا
أو العجـوز التـي أمسـت كشـنتها أو خشـــنة الوجـــه تعمـــي عـــين مـــن

1 – المشهد الأول:شيخ أراد الزواج:

تقدم الشيخ للزواج من مجموعة من نسوة كن في حفلة عرس، ويرى الشيخ أن العرس هو المكان المناسب لفتح هذا الموضوع، باعتباره المكان الذي يكثر فيه الضحك والمزاح، وقد سمعت كل واحدة منهن طلب الشيخ وردت بطريقة هزلية، فيها سخرية وازدراء، ومنهن من ردت بكل

(1)محمد الطاهر التليلي ،الدموع السوداء ،ص :146.

موضوعية ملامسة الواقع المعيش فكانت الصغيرة هي التي ردّت أولهن بسخرية باعتبار أن الصغار هم من الذين يتلقون الخبر بسرعة وبكل عفوية.ثم تلتها المرأة النصف وهي ساخرة قائلة.

هل ترضين عجوزا، ثم المرأة العانس التي تقبل العنوسة ولا ترضى الزواج بعجوز، و ذات الأولاد التي ليست لها رغبة في الزواج . والعقيم التي تقول: أن الزواج من الشيخ الهرم لا فائدة منه والرزق والولد على الله وتليها ذات العاهة التي تقول عاهتي تمنعني من الزواج وتخاف أن تصبح سخرية للناس، والأرملة تدلي بدلوها وتكتفي بالوفاء للحبيب فهي في غنى عن الزواج.

والمرأة المطلقة التي لا ترغب بالزواج مرة ثانيه بعد تجربتها الأولى والعجوز الهرمة التي لها نصيب من الرد تقول أن لا رغبة لها في الزواج بعد هذا العمر، وردت أيضا مجموعة من الفتيات يقلن نريد الحرية والزواج بمن اصغر منه سنا، ونصحته عجوز أخرى بقولها أنت شيخ كبير لا تصلح للزواج في هذا العمر دعك من هذا الأمر ، وقالت فئة أخرى من النساء مشفقات على الشيخ من زواجه بفتاة صغيرة، وهمها الوحيد هو الزواج لا راحته.وفي الأخير رفض الشيخ منقبل هؤلاء النسوة.

2 – المشهد الثاني: الشيخ يرد على النسوة:

بعد استماع الشيخ لكل جواب من النساء رد عليهن بأن الزواج له أغراض ومقاصد عديدة وبطريقة كان فيها الناصح لهن وبيّن أن الزواج صونًا وسترًا وتعمير بيت وأنّه في طلبه هذا ـ الزواج ـ كان قصده شريفًا ووضح دور المرأة والزوجة بالنسبة للزوج فهي تقوم بشؤون البيت والأولاد، ثم انتقل ليصف حالته عندما يكبر أو يمرض والوحدة التي عاشها بعد وفاة زوجته وهذا كان سببًا في طلبه للزواج مرة ثانية إضافة إلى ذلك بيّن تخليّ الأبناء والأحفاد عن أبيهم وانشغالهم بملاهي هذه الحياة وخاصة بعد موت الأم، ثم انتهى المشهد بدعاء الشيخ لأبنائه بالهداية لهم ولنفسه بأن لا يبقى وحيدًا وهو في هذا العمر.

3 – المشهد الثالث: الزواج من فتاة تحت الثلاثين:

في هذا المشهد صوّر لنا المؤلف حالة الشيخ بعدما تزوج من فتاة تحت الثلاثين وكيف أنه لم يهنأ بهذا الزواج ولم يجد ما كان يطمح إليه. حيث فوجئ بزوجة ماكرة لا تقوم بواجباتها تجاه زوجها ولا تكن له أيّة محبّة أو احترام وكيف تطورت الأحداث بينهما والمشاكل التي عاناها الشيخ بعد زواجه منها، فأصبح يتحسر على نفسه كيف كان وما آل إليه بعد زواجه؛ حيث وصف زوجته بهند وليست دعد وفي آخر المشهد يتضح لنا أن الشيخ لم يفلح في اختياره ولو أنّه تزوج من عجوز لكان في أفضل حال مما هو عليه ثم يوصي بعدم الزواج من الفتاة الصغيرة والأفضل له الزواج من عجوز . وفي النهاية آثر الشيخ حياة الزهد لحفظ كرامته والعيش مرتاح البال لا عبدًا ذليلاً بعد تجربته مع الأخت "سعدى".

رابعا: تحليل المسرحية على ضوء نظرية التلقي:

1) استحضار السياق الثقافي والتاريخي والسياسي للنص:

تؤكد نظرية القراءة على المشاركة الفعالة في بناء المعنى و" إيزر" يعتقد أن الشيء الأساسي في أي عمل أدبي هو التفاعل بين بنيته وتلقيه..." وتلقي النص الأدبي جهد ينفقه القارئ إذا أراد أن يضفر بأكثر قسط من الفهم والمتعة الجمالية، فيجب على القارئ استحضار جملة من النقاط قبل القراءة لعل من أبرزها السياق الذي ولد في رحمه النص، فكيف يستحضر القارئ السياق؟ وما هي الخطوات الواجب إتباعها لبلوغ هذه الغاية؟.

ا - استحضار السياق:

القارئ الذي يستحضر هذا الإطار يكون على بينة من النسق الذي يفرضه النص، فيوجه النشاط القرائي نحو أهداف ومرامي معينة، فإذا غاب هذا السياق أضحت مقاطع النص القصصية أو الحوارية المدرجة فيه غير واضحة الدلالة تقطعها القراءة لتجني منها الخبر، لكنها لا تستنفذ العنصر المقطعي في تركيبة النص الكلية، هذا الفهم يحيلنا إلى الذي يتأمل لوحة فنية فيقبل على العناصر ويتأملها من غير أن يكلف نفسه عناء استقطاب مجال الرؤية والاستشرافية[1].

(1)وهاب خالد، جمالية التلقي في مسرحية النخلة وسلطان المدنية، لعز الدين جلاوجي ، رسالة ماجستير، ص 60.

ب-الإطار السياسي:

الشعر في أية أمة يتأثر بالنواحي السياسية والثقافية والاجتماعية، وقد مرت الجزائر بفترة عصيبة أثناء الاستعمار الفرنسي ولولا الثورة التحريرية الكبرى لظلت الجزائر تحت وطأة الاستعمار. فكما وقف حملة السلاح يدافعون عن الجزائر وقف إلى جانبهم حملة القلم الذين حركوا بكتاباتهم همم الشعب، فكثر الشعراء والناثرون وكان من بين هؤلاء الشيخ الطاهر التليلي، الذي دافع بقلمه عن الجزائر وبث في أهلها روح التحرر والاستقلال ويمكن أن نجمل الظروف السياسية التي أثرت في الشيخ وهي:

أ- الحرب العالمية الأولى والثانية وما خلفته من دمار للشعوب والشعب الجزائري خاصة.

ب- ظهور جمعية العلماء المسلمين وانضمام الشيخ لها فهي تتوافق مع مبادئه الإصلاحية.

ج- مجازر الاستعمار ضد الشعب الجزائري 8 ماي1945.

د- اندلاع الثورة التحريرية الكبرى و ما خلفته من اندفاع و حماسة ووعي[1].

هـ- استقلال الجزائر وفرحة الشعب الجزائري بالتحرر.

ج- الإطار الاجتماعي:

تعتبر الأسرة هي الخلية الأساسية للنسيج الاجتماعي وما يميز الأسر السوفية القديمة كونها تتسع للآباء والأبناء والحفدة جميعا، حيث يعيش الكل تحت سقف واحد مكون من عدة حجرات وتظل الأسرة متماسكة على هذا الحال مدة طويلة، وتقوم الأهالي بممارسة الأعمال التي تناسب الطبيعة الجغرافية والبشرية للمنطقة وتلبي حاجات وظروف المعيشة للفرد والجماعة.ومن هذه الأعمال الزراعة وتربية المواشي، والتجارة بنوعيها الخارجية والمحلية، و الوضع الاجتماعي المزري

(1)فضيلة بوجلخة، الظواهر المعنوية والفنية في ديوان "الدموع السوداء" للشيخ الطاهر التليلي، رسالة ماجستير، ص 8-9-10.

لأغلب الأسر في المنطقة جعلت الشيخ يتأثر بها كما خصّص لها حيزًا كبيرًا في شعره لأن الشعر عنده هو أفضل مرآة تعكس الأوضاع التي كان يعايشها[1].

د- الإطار الثقافي:

كان في الجزائر مراكز ثقافية رفيعة، ولم يكن ازدهار العلم والثقافة حديث العهد حين احتلت الجزائر في مطلع القرن التاسع عشر، بل كان يضرب بجذوره إلى مئات السنين، ففي القرنين 14و15 ظهرت بالجزائر مراكز ثقافية رفيعة، وأساتذة نبغُوا في شتى المجالات والعلوم، كجامعة تلمسان التي يشع منها نور المعرفة والثقافة في شمال أفريقيا عندما كانت أوروبا تتخبط في ظلام الجهل والهمجية، ولكن سياسة التجهيل التي مارسها المستعمر طالت المساجد التي كانت مقرا للعبادة والعلم، فاستولى عليها ليتسنى له القضاء على اللغة العربية، وجعل اللغة الفرنسية هي لغة الدرس، ونتيجة لهذا التضييق الشديد على مدرسي العربية هاجر معظم الأساتذة من البلاد ولم يبق في المدارس إلا عدد محدود من المعلمين، وهذا أثر على الثقافة الجزائرية وكان ذلك سببا في اضمحلال الأدب المكتوب واللغة الرفيعة، وهكذا فقد المثقفون الجزائريون تدريجيا اتصالهم بالتراث نتيجة لفقدان الكتب والمدارس بلغتهم[2]، وبذلك انحصر التعليم في الزوايا وكان لهذا التعليم الفضل في الحفاظ على اللغة العربية ومناهجها القديمة التي تعنى بتدريس النحو والصرف والفقه، مما أضر بتقدم الأدب والشعر الذي أصبح يتناول موضوعات عتيقة، ولا يغوص في قضايا المجتمع وبذلك أصبح الشعر يروج بين الزوايا والطرق الصوفية الأمر الذي جعله ينحصر في المجال الديني[3].

(1)ينظر: علي غنابزية، مجتمع وادي من خلال الوثائق المحلية في القرن 13 هـ 19، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2001، قسم التاريخ ص 06-131.

(2)أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، دار الآداب، بيروت، لبنان، 1967 ص 53-75.

(3)فضيلة بوجلخة، الظواهر المعنوية والفنية في ديوان الدموع "الدموع السوداء " للشيخ الطاهر التليلي، رسالة ماجستير، ص 12 .

2- قراءة لنص المسرحية:

أ- الدلالة اللغوية:

*- دلالة العنوان:

تعتبر العلاقة بين (العنوان / النص) الرسالة الأولى التي يسعى الكاتب إلى تبليغها للقارئ بهدف إثارة فضوله وتحريضه على قراءة النص[1]. فعلى العنوان أن يشوش الأفكار، ولا يوحدها فلا شيء يطمئن المؤلف أكثر من أن يكتشف القراءات التي لم يفكر فيها، والتي يوحي له بها القراء.وعليه أن يلتزم الصمت اتجاه تلك القراءات، وعلى الآخرين أن يناقشوا ذلك بالاعتماد على النص نفسه[2].

وفي حال حدث نوع من التشويق، ورغبة في إزاحة الغموض الذي غالبا ما يكتنف النص، يجد القارئ نفسه متورطًا في ملء ما يسمى بـ (مواقع اللاّتحديد) أو (الفجوات النصية)، وفي حال عجزه عن ملئ هذه المناطق- وهذا ما يحدث غالبا عند قراءة العنوان- فإنه يجد نفسه يقبل على قراءة النص لإشباع فضوله ومتعته القرائية.

وفي بداية قراءتنا، لأول موقع من (مواقع اللاتحديد) وهو العنوان (الشيخ العجوز وزوجته) فهذا اللاتحديد يمكن إدراجه ضمن النوع الثالث (كل فضاء أو نقطة نصية من شأنها تفعيل مشاركة القارئ وتحريضه على قراءة النص) ومن خصائص العنوان الإلتباس والغموض المعتمد من قبل المؤلف، وذلك من أجل تحفيز القارئ على المشاركة في عملية بناء المعنى بطرحه مجموعة من الأسئلة، وحتى يباشر عملية قراءة النص فعليًا وباختصار فإن القارئ يبقى يشعر بنوع من النقص لا يمكن أن يكمله إلا من خلال قراءة النص من بدايته إلى نهايته فعندما نقوم بقراءة لعنوان المسرحية "الشيخ العجوز وزوجته" نجدها تحمل دلالات متعددة ثقافية واجتماعية ونفسية وأخلاقية:

---

(1)رشيد مالك، سيميائية العنوان في رواية (نوار اللوز)، " لواسيني لعرج " ، أعمال وبحوث الملتقى السابع عبد الحميد بن هدوقة للرواية، وزارة الاتصال والثقافة، ط 6 ، 2003 م، ص 133.

(2)عبد الله إبراهيم، التلقي والسياقات الثقافية، ص 14.

(الشيخ العجوز) ترمز
حالة نفسية
الحاجة
الكبر
العجز
الشفقة
المساعدة
الوحدة
حالة اجتماعية
الاحترام
التقدير
المؤانسة
النصح
المرض
حالة أخلاقية
الدين
العالم
الإمام
الرزانة
الحكمة
الوقار
الصبر
حالة ثقافية
التقاليد
التراث
المرجع
العرف
التاريخ

يتضح من خلال القراءة السيميائية أن دلالة " الشيخ العجوز" لها العديد من الدلالات لكن الكاتب وظفها للدلالة عن الشيخ الكبير الذي أراد الزواج بعد عزوبته الثانية، أي بعد وفاة زوجته، والبحث عن المرأة التي تسر قلبه وتحن عليه وتصبر معه على المحن وتكون معه في السراء والضراء إلا أن القدر جمعه مع فتاه تحت الثلاثين.

(الواو) وترمز إلى الجمع والوصل والربط

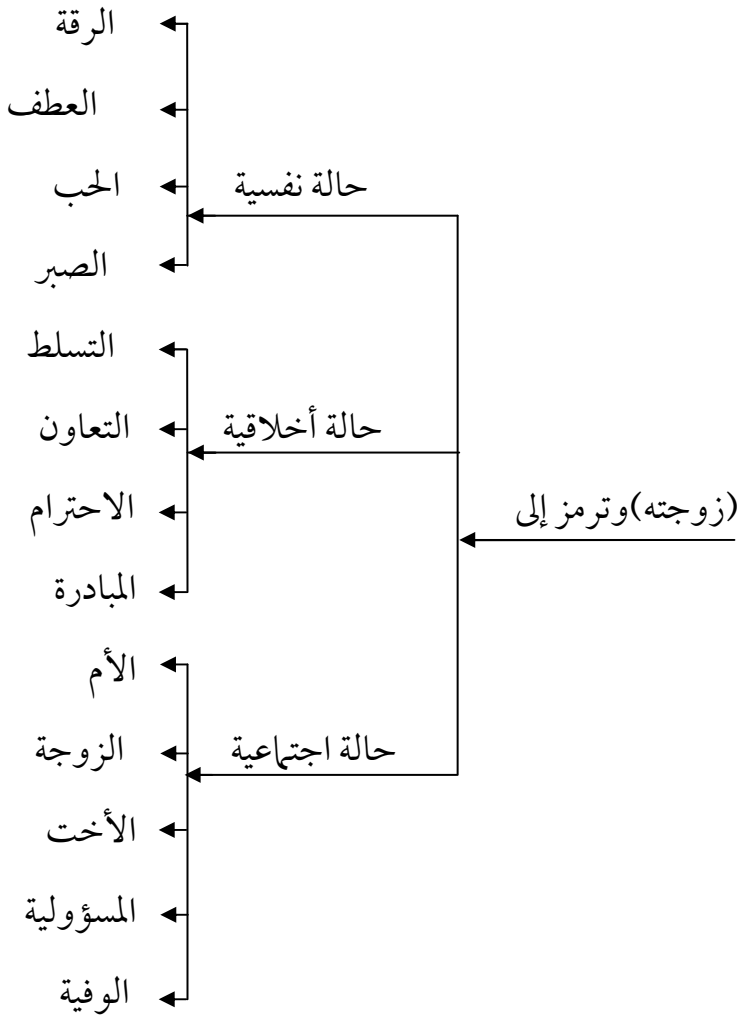

يتضح من خلال القراءة السيميائية لدلالة كلمة "زوجته" أن لها دلالات متعددة لكن التليلي وظفها للدلالة على المرأة التي أراد الزواج بها، لكن مثل لها بصور متعددة مستشفة من المجتمع الذي عاش فيه بطريقة هزلية ساخرة منتقدًا رؤية وثقافة مجتمعه الرافض لهذا النوع من الزواج ومثلها في قالب شعري مسرحي بأسلوب غرضه الإصلاح يتلاءم مع الموضوع.

إن مواقع " اللاتحديد " تتيح للقارئ حرية واسعة ليتدخل في بناء معاني النص، انطلاقا من ذاته ووجهة نظره التي تتجاذبها احتمالات عديدة يدخل فيها التاريخ والعرف والتقاليد فعندما يباشر في قراءة النص تسقط بعض الاختيارات والاحتمالات على البنية النصية للمسرحية التي تعمل على تعيينها لجعل الموضوع القصدي مفتوحًا؛ بمعنى تجعله مستحيل الإغلاق، والإغلاق، والدلالة التي يحملها العنوان هي دلالة تطابق، وهي مفتوحة لتحريض القارئ على المشاركة فيها.

حقل الموجودات					حقل المجردات	حقل الأحداث		العلاقات الدلالية
حيّة			غير حيّة		عرس حفلة الدهر الحياة زمان الجهل ضريح القلب الحياة الشر الدعاء سقيم العقل سمعي صلدا نكدا	حركية	غير حركية	– علاقة اشتمال: (الزوج، الشيخ، النساء). – علاقة تنافر:(ماء، الثياب). –علاقة ترادف:(الدهر، الزمان، الحياة). علاقة اشتمال:(الملاهي،البيوت الحي). – علاقة الجزء بالكل: (العظام، الوجه، الخد، الجلد، الجسم، عينا، القلب). –علاقة تضاد: (سمعي، صلدا، نكدا، عرس). – علاقة الجزء بالكل: (باب، سجن، البيوت).
إنسان	حيوان	نبات	مركب	طبيعي		صرت أصبح أكل نبادر أتى فعلت يعود تريد يطلب أتتني يحمل	سمعت يعود يبست يتجنّى يشم يقي	
الشيخ نساء زوج الصغيرة العجوز دعد هند لميس الصغار الآباء الأبناء	طير قرد فهد	الورد العلندا	ماء الثياب	باب سجن شنتي الملاهي البيوت البساتين الفراش حبالاً الحي العظام الوجه الخد الجلد الجسم عينًا				

								- علاقة اشتمال: (طير، قرد، فهد). -علاقة اشتمال: (الآباء ، الأبناء ، العجوز)

***-المعجم اللغوي:**

مما يلاحظ من خلال تحليلنا للمسرحية أن المؤلف استعمل جل الحقول الدلالية من موجودات ومجردات وأحداث، وكذلك العلاقات بأنواعها فإن ذهبنا إلى الحقل الأول، الموجودات فإننا نجده قد وظف الموجودات الحية وأكثر من الغير الحية، وهذا إن دل على شيء وإنما يدل على أن المؤلف أراد التصريح لا التلميح وذلك إيصالا المعنى بدقة.

أما حقل المجرّدات فنجده كان بين ذلك لكون المؤلف يذكر أشياء متناقضة في المعنى وهذا يدل على حاله الشيخ وأحلامه في عيش حياة زهديه مستقبلية والغرض الآخر هو معالجة قضية اجتماعية واقعية تمس الأمة البشرية.

وإذا مررنا بحقل الأحداث فنجده أكثر من الأفعال الحركية وذلك دلالة للتجدد وشدة الموقف وصلابته وتأثيره في ذات المؤلف في بعض الأحيان وإصراره –أي المؤلف – على إيصاله للجمهور – المتلقي – بصوره مؤثرة تمسه بصورة كبيرة.

أما العلاقات الدلالية فنجده أكثر من علاقة الاشتمال وعلاقة الجزء بالكل لأنه يعالج في مسرحيته موضوعا واحدا. وإذا ذهبنا لندرك مدى جمالية اللغة الشعرية للمؤلف نجده أكثر من الرمز كما نجد الأسطورة والألفاظ القديمة والتناص القرآني وذلك لكون – المؤلف – نحى منحى الكتاب الصوفيين والإصلاحيين ولإطلاعه على الأدب القديم.

ب- الدلالة الرمزية:

***- مفهوم الرمز:** تعددت المفاهيم واختلفت ومن بينها قول النقاد أن للرمز لحظة انتقالية من الواقع إلى صورته "المجردة"، وهو الإطار الفني الذي يتم فيه الخروج من الانفعال المباشر إلى محاولة عقلنته وهو تجسيم للانفعال في قالب جمالي، ويعرفه "يونع" الرمز وهو وسيلة إدراك ما لا يستطاع

التعبير عنه بغيره، فهو أفضل طريقة ممكنة للتعبير عن شيء لا يوجد له أي مُعادل لفظي فهو بديل من شيء يصعب أو يستحيل تناوله في ذاته[1].

❋- أنواعه:

- **الرمز الأسطوري**: الأسطورة هي الفتحة السحرية التي تنطلق من خلالها طاقات الكون اللانهائية إلى كل صور الحياة الإنسانية[2].

- **الرمز التراثي**: وهو يلبي حاجات عديدة على المستوى الفني والدرامي وعلى المستوى القومي، وتتعلق بالمعانات والثورة[3].

- **الرمز الخاص**: وهو أكثر الأنماط استخداما عند شعرائنا، بحيث يعبر فيه الشاعر عن أحاسيسه التي يرغب في الإفصاح عنها[4].

- **الرمز الصوفي**: وهو الكشف عن معانيهم لأنفسهم والإخفاء والتستر على أسرارهم أن تشيع في غير أهله[5]. ومن الرموز التي وظفها التليلي في مسرحيته نجد:

- **الرمز التراثي**: نجده في هذا البيت من قول العجوز الهرمة:

دعنـــي مـــن الـــزواج والقـــرين فـــشنـــتي قـد يبست من حين[6]

فكلمة "شنتي" هي رمز تراثي قصد الشاعر توظيفها لتوضيح حالة العجوز الفيزيولوجية كما أن لها بعد رمزي آخر المتمثل في عدم مقدرة العجوز على الزّواج ورمز لها بالقربة اليابسة التي لا تصلح للاستعمال.فقد انتهت مدة صلاحيتها .

وهناك رمز تراثي آخر في قول الشيخ :

---

(1)إبراهيم رماني، أوراق في النقد الأدبي، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ط 1، 1985 ص 167.

(2)رجاء عيد، لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي الحديث، مطبعة أطلس، القاهرة، 1985 ص 295.

(3)سعيد بن زرقة، الحداثة في الشعر العربي، أبحاث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. ط 2، 2004، ص 243.

(4)إبراهيم رماني، الغموض في الشعر العربي الحديث، ص 280.

(5)درويش الجندي، الرمزية في الأدب العربي، القاهرة، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر. 1982، ص 351.

(6)محمد الطاهر التليلي، ديوان الدموع السوداء (مخطوط) ص 15.

فلـــــــــيس للشـــــــــيخ إلا عجوز كالعلندا[1].

رمز الشاعر هنا بكلمة "العلندا" -وهي نوع من الشجر الذي يتحمل قساوة الطبيعة ورغم القساوة تبقى خضراء- إلى العجوز الصبورة على المحن والشدائد وتبقى المرأة العاطفة عليه والمخلصة.

- **الرمز الخاص**: يقول الشيخ:

إني تزوجـــــــــت هنـــــــــدًا و ما تزوجت دعدًا[2].

رمز الشاعر إلى المرأة التي حَلُم بها وأراد أن يتزوجها ب"دعد" المرأة المخلصة المحبة المعطاءة الحنونة، وهي شخصية مذكورة في التراث الشعري القديم وتغنى بها الشعراء.

- **الرمز التاريخي**: يقول الشيخ:

إني تزوجـــــــــت هنـــــــــدًا و ما تزوجت دعدًا[3].

شخصية "هند" رمز بها الشاعر إلى المرأة الحاقدة المتعجرفة وربط الشاعر بين القصة التاريخية القديمة لهند التي انتقمت من حمزة رضي الله عنه والمرأة التي تزوجها فهي رمز المرأة الحاقدة والمتسلطة.

ج- دلالة الإيقاع:

إن موسيقى الشعر لها دور في صياغة الجو النفسي الذي يرسم البناء الفني للقصيدة، ويعبر عن ما تحمله التجربة الشعرية وما تفرزه من انفعالات وخواطر تحدد مقاطع البيت، وتنظم ضروب الوقفات والسكنات، وتقرر مدى الحاجة إلى القافية ونوعها، وهو الذي يساعد الشاعر – إذا اقتضى الأمر – أن ينتقل من وزن إلى آخر في القصيدة الواحدة، لذلك فالشعر (هو موسيقى ينظمها الوزن

(1) محمد الطاهر التليلي، ديوان الدموع السوداء (مخطوط)، ص 50.

(2) المرجع نفسه، ص 49.

(3) المرجع نفسه، ص 49.

والقافية، ويحضنها الإيقاع الذي يتشكل ليس فقط من الوزن، بل من الطبيعة الفيزيائية النوعية للأصوات التي تنتظم في المقاطع والكلمات)[1].

ولذلك اعتبر نقاد الأدب ودارسوه أن الموسيقى من أهم العناصر في الشعر وأن الوزن والقافية هما الأكثر أهمية، وقد تعددت عناصر هذه الموسيقى، إلا أنه يظل للوزن والقافية أهميتهما الكبيرة، فالموسيقى مجموعة من الوحدات الزمنية المنتظمة التي يمكن من خلالها تحديد وزن معين تفرضه التجربة الشعرية والحالة النفسية للشاعر ولهذا تبرز القيمة الحقيقية للموسيقى من زاوية أخرى، باعتبارها وسيلة ايجابية أكبر منها حلية خارجية[2].

وموسيقى الشعر نوعان: موسيقى داخلية وخارجية.

***- الموسيقى الخارجية:**

- **الوزن:** وهو أعظم أركان حدّ الشعر، و أولاها به خصوصية، ومشتمل على القافية، فاختلاف القوافي يؤدي إلى عيب في التقية لا في الوزن، فأول من وضع الأوزان وجمع الأعاريض والضروب "الخليل بن احمد الفراهيدي"، فألف فيها كتابًا سماه "العروض"[3].

ونرى الشيخ التليلي في مسرحيته المختلفة الأغراض (الوصف والنصح والإرشاد والعتاب والشكوى ونظمها في أبحر مختلفة) قد نوع في استخدام الموسيقى، ففي باب الوصف نجد التليلي يستخدم بحر الكامل و مجزوء الخفيف، ففي قول الشيخ في بحر الخفيف وتفعيلاته هي: فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن **X** 2.

طـرق الشـيخ خاطبـا بـاب جمـع مــن نــساء أقــمــن حــفلة[4]

0 /0 / /0 / /0 /0 /0 / /0 / 0 /0 / /0 /0 /0 / /0 / /0 /0

---

(1)قاسم برسيم، منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري، ط 1، 2000، ص 43.

(2)فضيلة بوجلخة، الظواهر المعنوية و الفنية في ديوان الدموع السوداء للشيخ الطاهر التليلي، رسالة ماجيستير، ص 144.

(3)ينظر: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده تح، النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2000م، ط 1، ج 1، ص 218.

(4)محمد الطاهر التليلي، ديوان الدموع السوداء (مخطوط) ص 14.

فاعـلاتن متفع لن فاعـلاتن فعلاتـن متفع لن فعلاتـن

فالتغيرات التي طرأت على هذه التفعيلات تمثلت في دخول "الزحاف" على التفعيلة: "فاعلاتن" لتصبح "فَعِلاتن" و "مستفعلن" أصبحت "متفعلن".

واستخدم أيضا بحر الكامل ومجزوءه وتفعيلاته : متفاعلن متفاعلن متفاعلن **X** 2

و مثال ذلك في قول الشيخ:

قالـــت وقـــد ســـمعت بـــأني هـــذا العـــجوز أتى إليـــنا يخطب[1].

/ 0/ 0 / / 0 / / / 0 / / 0 / / / 0 / / 0 / 0 / / 0 / / / 0 / / 0 / 0 / / 0

متْفاعـلن متَفاعـلن متَفاعـلن متفاعـلن متفاعلن متفاعلن متفاعـلن

والتغيرات التي طرأت على البيت هو الزحاف في التفعيلة "متفاعلن" أصبحت" متْفاعلن" أما في باب الشكوى والنصح و الإرشاد وظّف الخفيف و مجزوء الكامل، يقول التليلي:

فـــــاليوم غـــــاض وغابـــــت منـــــى الزكانـــــة بعـــــدا [2].

/ 0 / 0 / / 0 / / / 0 / 0 / / 0 / / / 0 / 0

مُتْـفـاعـلـن مُـتَـفَـاعـي مُتْـفـاعـلـن مُـتَـفَـاعـي

وتفعيلاته من مجزوء الكامل ومن البحر المجتث وتفعيلاته مستفعلن فاعلاتن **X**2

يقول التليلي:

كـــبرت يـــا قـــوم جـــدّا و ما تبيّنت رشدا[3].

/ / 0 / / 0 / 0 / / 0 / 0 / / 0 / / 0 / 0

مـــفـــاعـــلن فـــاعـــلاتـــن مـــفـــاعـــلن فـــاعـــلاتـــن

في هذا البيت نلاحظ دخول الخبن "زحاف" في التفعيلة الأولى "مستفعلن" أصبحت "مفاعلن".

---

(1)محمد الطاهر التليلي، الديوان، ص 14.

(2) المرجع نفسه، ص 48.

(3)المرجع نفسه، ص 48.

-القافية:

وهي مجموعة أصوات تكوّن مقطعًا موسيقيًا، واحدًا يرتكز عليه الشاعر في البيت الأول، فيكرره في نهايات أبيات القصيدة كلها مهما كان عددها(في القوافي المفردة) وأن يكون المقطع الموسيقي الصوتي مزدوجًا في كل بيت بين شطره وعجزه (كما في القوافي المزدوجة)[1].

فالشيخ نوّع في القوافي والروي ففي المسرحية نجد في هذا المقطع القوافي التالية في قوله:

طَـرَق الْشَّـيْخ خَاطِبًـا بَـاب جَمْـع ... مِـن نِسَـاء أَقَمْـن حَفْلَـة عُـرْس

قَـائِلا مـــن تُرِيـد مِـنْكُن زَوْجًـا ... فَتَـــضَاحَـكْن مِن غَـبَاوَة هَرْس

أَوْصـــت صـوَاحِبَهَا تَقُـول هَـزْلاً ... تَرْضَـيْن أَشْـيَب كَالْثُّغَـام غُـذَاره

الْوَلَـد مَفْقُـود فمَـا احْتِبَاسـي ... وَالـرِزْق مَوْجُـود بِـلاَ مَسَـاسِ

إِن الـــذِي أَحْبَبْتـــه تَوَلـــى ... وَلـــن يَعُـــوَد فَالقُعـــود أَوْلَى

لاَ بُيُـوت الْـزَّوَاج نَرْضَـاهَا سِـجْنًا ... نَحْـن طَـيْر إِلَى الْـوُرُود سَـوَاعِي[2]

لم يعتمد التليلي الحرف الواحد في القافية وحتى يكون الأثر أكبر اعتمد على القوافي المزدوجة الثنائية والرباعية وفي آخر المسرحية وحّد القوافي منها «عد، هد، ذا، سا، أو، وا،...».

نلاحظ من خلال المزج في القوافي صورة تعكس لنا نفسية الشاعر ومدى انكساره وإصابته بالحزن والأسى، حيث امتزجت القافية المكسورة بانكسار عاطفة الشيخ، وعمق جرحه الذي لم يندمل بعد وقد مسحت هذه الميزة على الكثير من قصائد الشيخ، أما الروي فكان من أحرف مختلفة حيث ورد حرف الألف أكثر استعمالا من باقي الحروف ودلالة ذلك الحزن والحسرة فالألف الطويلة مناسبة للتعبير عن قوة الألم.

(1)عبد الرضا علي، موسيقى الشعر العربي، قديمه وحديثه، دار الشروق، عمان، الأردن، 2007، ط 1، ص 168.

(2)محمد الطاهر التليلي، ديوان الدموع السوداء (مخطوط)، ص 14-15.

***-الموسيقى الداخلية:**

يحاول الشاعر أن يتوافق مع نفسه ومع المتلقي، ومع العالم الخارجي عن طريق الموسيقى التي تضيء له الطريق ليكشف أسرار نفسه، ولا يقتصر العمل في الشعر على الموسيقى الخارجية فقط، بل هناك جانب آخر هام لموسيقى الشعر ألا وهو الموسيقى الداخلية[1].

يقول شوقي ضيف: (وراء هذه الموسيقى الظاهرة موسيقى خفية تنبع من اختيار الشاعر لكلماته، وما بينها من تلاؤم في الحروف والحركات، وكأن للشاعر أذنًا داخلية وراء أذنه الظاهرة تسمع كل شكلة، وكل حرف وكل حركة بوضوح تام وبهذه الموسيقى الخفية يتفاضل الشعراء)[2]، كما أن الموسيقى الداخلية هي (الإيقاع الهامس الذي يصدر عن كلمة واحدة بما تحمله في تأليفها من صدى ووقع حسن)[3]، وللموسيقى الداخلية عدة مصادر تنبع منها، وبتآلفها مع الموسيقى الخارجية تتشكل الموسيقى التي هي جوهر الشعر نذكر منها:

- التكرار:

التكرار هو عنصر موسيقي ووسيلة من وسائل الموسيقى، ويقصد به التأثير والتعمق.

وللتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعا فذلك الخذلان بعينه، ولا يجب للشاعر أن يكرر اسمًا إلا من جهة التشويق والاستغراب إذا كان في تغزل أو نسيب)[4].

والتكرار اللفظي هو ما يهمنا في الموسيقى الداخلية، ونبدأ منه بتكرار الحروف، فقد تشترك الألفاظ في حرف واحد سواء أكان في أول الكلمة أو في وسطها أو في نهايتها، ومنها ينبع روي

(1)فضيلة بوجلخة، الظواهر المعنوية والفنية في ديوان الدموع السوداء، ص 161.

(2)شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط 6، دت، ص 97.

(3)عبد الرحمان الوجي، الإيقاع في الشعر العربي، دار الحصاد للنشر والتوزيع، ط 1، 1989م، ص 74.

(4)ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط 5، 1981، ج 2، ص 73.

القافية، حيث يفرض الحرف سيطرته على تشكيل البيت أو ينبع من حشو البيت أو من قراره ولا يشكل حرف الروي.

وقد تكررت أصوات من روي القافية، حيث يقول على لسان مجموعة من الفتيات:

لاَ الـدَّين نَبْغِـي وَلاَ الْحَيَـاء نُرَاعِـي فَلَنَا فِـي الْمُلاَهِـي كُـل الْـدَّوَاعِي

لاَ بُيُـوت الْـزَّوَاج نَرْضَـاهَا سِـجْنًا نَحْـن طَـيْر إِلَى الْـوُرُود سَـوَاعِي

فِي الْبَسَـاتِين كُـل نَـوْعٍ وَلَـوْنٍ مِـنْ شِميـمٍ وَلَـذَّةٍ وَمَتَـاعِ[1]

حيث تكرر حرف(العين) خمس مرات في هذه الأبيات، أما الموسيقى الداخلية النابعة من قاع البيت، فتكرر حرف (الدال) ثمانية مرات في هذه الأبيات، التي يقول فيها:

أَنْت شَـيْخٌ مِـن الْشُّـيُوخ الْقُـدَامَى وَأَنَـا شَيْخَـةُ الْنِّسَـاء الآيَـامّى

جِيلُنَـا فِي الْحَيَـاة أَصْبَـح رَثًّـا أَكَـل الـدَهْر لَحْمَـه وَالْعِظَامَـا

فَـلْنَدَع لِلْجَدِيْـد كُـل جَـدِيْدٍ وَلْنُبَـادِرْ سُـجُودَنَا وَالْـقِيَاما[2]

فمن شدة حرقة النساء عليه وإشفاقهن، كرر هذا الحرف في المسرحية الشعرية كلها (162) مرة، و من خصائصه هو الشدة، لهذا جاءت الكلمات كلها كلمات شديدة ذات معنى ووقع على الآذان مثل (الدهر، السجود، الجديد، الأولاد، الأباعد، العدو، اللحد، صلدا...)، إلى آخر هذه الكلمات التي تحمل في معناها الشدة والقوة والحِدّة.

كذلك أكثر الشيخ من تكراره لحروف المد (الألف، الواو، الياء)، التي استعملها الشاعر واعتنى بها في نصه ككبار الشعراء في العربية وأفاد بها إفادة الإيحائية فأتت لوعيهم بخصائص الأصوات ودلالتها وعياً لا يكاد يكون لا شعوريا لعمق دراستهم اللغوية ورهف إحساسهم، وهذه القصيدة حفِلتْ بتوظيف حركات الطول التي تحمل المشاعر الممتدة والأحاسيس العميقة لاسيما في مجال الحزن، وبها يتسع مقام البوح، فقد تكرر حرف الألف (357)، أما حرف الواو فكرر (280)، مرة وحرف الياء كرر (275) مرة، فتكرار هذه الحروف الثلاثة يشعرنا بحزن الشاعر ومدى حسرته

(1)محمد الطاهر التليلي، الدموع السوداء، ص 15.

(2)محمد الطاهر التليلي، المرجع نفسه، ص 15.

لفقدان زوجته . وزواجه بأخرى لا توافقه فكرا ولا سنًّا، وحتى تكررت هذه الأصوات (الحروف)، 20 مرة في البيتين، يقول:

قُلْتُ بَعْد اسْتِمَاع كُل جَوَابٍ من نِسَاءٍ أَسَأْن ظَنًّا وَرَدَّا
لَيْس مِن يُدْلِي لِلْزَّوَاج حِبَالا هَمُّه كُلُّه الْعَسِيلَة قَصْدا[1]

فتكرار هذه الأحرف بالنسبة للشيخ بقدر الآلام والحسرة والحزن والعزلة التي يعيشها والتي يريد أن يفجر بها أحزانه فهذا التكرار في الأصوات يولد انسجاما تغميا وصوتيا طالما وُفق الشاعر في اختيارها، كذلك ورد تكرار الكلمات التي أعطت تجانسا موسيقيا بين الأبيات، كذلك تكراره للكلمات التي تؤدي أيضا تجانسا بين بعضها البعض، فقد كرّر كلمة (قد يكون)، مرتين في قوله:

قَد يَكُوْن الْزَّوَاج صَونًا وَعَوْنًا وَحَدِيث الأُنْس هَزْلاً وَجِدّا
قَد يَكُون الْزَّوَاج تَعْمِير بَيْتٍ بِصَغَار تَقِيك حَرّا وَبَرْدَا[2]

كذلك تكرار كلمة (تزوجت) يقول:

أني تزوجت هندا وما تزوجت دعدا [3]

تكرار كلمة (البيت):

إن بيتا من الصغار خلاء كان لا شك للشياطين وردّا
إنما البيت للوحيد ضريح ميتا فيه ضاق ذرعا ولحدا [4]

وقد استعمل الشاعر الحروف والأصوات المجهورة أكثر من الأصوات المهموسة، وذلك من أجل الجهر والصراخ بألمه وحزنه والوحدة التي تقتله، وكذلك هي حروف معبرة عن حالة الشيخ ومشاعره وعن العزلة التي يعيشها منطويًا على نفسه معبرا بذلك عن تجربته الشخصية، وهذه

(1)محمد الطاهر التليلي، المرجع السابق، ص 52.

(2)المرجع نفسه، ص 53.

(3)المرجع نفسه، ص 49.

(4)المرجع نفسه، ص 53.

الحروف سنوردها بعدد تكرارها في المسرحية ككل مع ما يحمله كل حرف من خصائص، وهذه الحروف هي مرتبة بحسب عدد التكرار الأكثر، فالأقل:

الصوت	عدد التكرار	صفاته ودلالاته
اللام "ل"	373	مجهور متوسط، شكله في السريانية يشبه "اللجام" وهو للانطباع بالشيء بعد تكلفة وللاتصاق[1].
الألف "أ"	357	مجهور: لينه جوفية معناها في السامية القديمة "الثور"، وشكلها يشبه صورة رأسه
الواو "و"	280	مجهورة: لينة جوفية للفاعلية ويوحي بالبعد
الياء "ي"	275	مجهورة: لينة جوفية شكلها في السريانية يشبه اليد وهي للانفعال المؤثر في الباطن
التاء "ت"	229	مهموس: لين وهو للضعف والرقة والتفاهة
النون "ن"	219	مجهور: وهو في السريالية يشبه النجم، وهو يعبر عن باطن الأشياء
الميم "م"	191	مجهور متوسط الشدة أو الرخاوة، شكله في السريانية يشبه المطر، يوحي بالأحاسيس اللمسية التي تعانيها النفسيات لدى انطباقها ويوحي بالليونة والمرونة والتماسك مع شيء من الحرارة[2].
الدال "د"	162	مجهور شديد ويدل على الصلابة والقساوة
الراء "ر"	127	مجهور يفيد التحرير والترجيح والتكرار
الفاء "ف"	116	مهموس يدل على لازم المعنى أو المعنى الكنائي وهو للضعف

(1)حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها – دراسة – منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا 1998، دط، ص 83-94-97.

(2)حسن عباس، المرجع نفسه، 29-97-135.

		والوصف
الباء "ب"	116	مجهور يشبه في السريانية شكل البيت وهو لبلوغ المعنى وللقوام الصلب بالتفعل.
العين "ع"	115	مجهور
الهاء "هـ"	98	مهموس، رخو يدل على الضعف والاهتزاز والاضطراب والتشويه
السين "س"	79	مهموس رخو يشبه رسمه في السريانية شكل السن وهو للسعة والبسط بلا تخصيص والحركة والطلب
الكاف "ك"	75	مهموس شديد للاحتكاك ويوحي بشيء من الخشونة والحرارة والقوة والفعالية
القاف "ق"	73	مجهور وهو للمفاجأة والمقاومة وفيه نوع من الصلابة
الحاء "ح"	58	مهموس، لين يدل على الرقة
الجيم "ج"	54	مجهور انفجاري احتكاكي يشبه في السريانية الجمل وهو للعظّم مطلقا
الشين "ش"	43	مهموس يشبه في السريانية شكل صورة الشمس،وهو للتفشي بغير نظام[1]
الزاي "ز"	42	مجهور رخو يشبه رسمه في السريانية شكل صورة الزند وهو للتقليع القوي، ويوحي بالشدة والفعالية
الخاء"خ"	33	مهموس رخو
الصاد	24	مهموس يشبه رسمه في السريانية صورة الصبي،إنه للمعالجة

(1)حسن عباس، المرجع السابق، 40-69-110.

"ص"		الشديدة وهو للصلابة والصقل والصفاء.
الطاء "ط"	23	مهموس، يشبه في السريانية الطير إنه للملكة في الصفة وللالتواء والانكسار
الضاد "ض"	17	مجهور يدل على الغلبة تحت الثقل
الذال "ذ"	17	مجهور رخو يشبه في السريانية الدلو ومعانيه كل الذكورة وتوتر صوت وخشونة ملمس وشدة وظهور
الغين "غ"	16	مجهور يدل على معنى الغموض والخفاء
الثاء "ث"	15	مهموس للأنوثة واستعمله العرب بالأخص للمعاني التي تدور حول الجنس مباشرة بلا وسيط
الظاء "ظ"	07	مجهور الصوت احتكاكي للتمكين[1]

(1)حسن عباس، المرجع نفسه، 110-135-144.

مخطط يوضح النسب المئوية لتكرار الحروف
المفتاح:
(مجموع تكرار الحروف كلها) 3234 ← ٪100
(مجموع مع تكرار الحرف الواحد) القيمة ← 0
14
12
10
8
6
4
2
0
ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و ي
11.03
3.58
7.08
0.45
1.66
1.79
1.02
5.00
0.52
3.92
1.29
2.44
1.32
0.74
0.52
0.71
0.21
3.55
0.49
3.58
2.25
2.31
11.59
5.90
6.77
5.03
8.65
8.50

88

نلاحظ من خلال الجدول والمنحنى البياني لتكرار عدد الحروف أن التليلي استعمل حروف المد " الألف والواو والياء" وحرف "اللام" "التاء" و"النون" لدلالة هذه الحروف وخصائصها فهي تتلاءم مع التجربة الشعرية التي عاشها وهو بدوره عكسها على الشخصيات المسرحية، ولكون موضوع المسرحية يتطلب الجهر والبوح بالألم والحزن المكبوت فكانت صرخات الشيخ منبعثة بقوة وشدة في مقاطع كثيرة من المسرحية.ولكون موضوع المسرحية يتطلب الجهر والبوح بالآلام والحزن المكبوت فكانت صرخات الشيخ منبعثة بقوة وشدة في مقاطع كثيرة من المسرحية ولأن الحوار كان على أشده من غير مناجاة. في حين نجده يوظف الحروف المهموسة وهذا ما يناسب الطرف الحساس الذي تدور حوله المسرحية وكون الشخصيات كلهن نسوة،لكن بنسب قليلة، وهذا لحساسية الموضوع المطروق، والهدف الذي أراد التليلي أن يوصله إلى القارئ هو إصلاح وتغيير رؤية مجتمعه لمثل هذه المواضيع بطريقة هزلية هادفة، وتقديم رسالة مشفرة يبين فيها مواقف.

- المحسنات البديعية:

لقد اهتم شاعرنا بالمحسنات البديعية، وظهرت جليا في المسرحية الشعرية خاصة الطباق الذي يتميز بإتيان الكلمة وضدها الذي يضفي على النص نغما موسيقيا وقد عرفه النقاد بأنه: « يقوم على عنصر إيقاعي أساسه التضاد والمخالفة في المعنى»، ويعتبر الطباق إضافة إلى المقابلة من المحسنات المعنوية يقول الشيخ:

الولد مفقود فما احتباسي والرزق موجود بلا مساس [1]

فالطباق الإيجاب يظهر في (مفقود # موجود)كذلك في قوله:

قد يكون الزواج صونا وعونا وحديث الأنيس هزلاً وجدًا [2]

فالطباق في (هزلاً # جدًا)وقوله أيضا:

يظهر الطباق في (حرا/ بردا) وفي قوله أيضا:

(1)محمد الطاهر التليلي، ديوان الدموع السوداء، ص 14.

(2)محمد الطاهر التليلي، ديوان الدموع السوداء، ص 53.

فَـأَيْـــن بِـالأَمْـــس سَمْعِـــي فَـالْـيَـوْم أَصْـبَـحْـتُ صَلْـدا
وَكُـنْـــت كَـالْـــبَازِي عَـــيْنًا فَـصِـــرْت لِـلأَعْـــشَى نِـــدًّا
واليـــوم كـــل قـــديم نسيتـــــه والأجـــــدَّا
فـــلا مـــلاَذ إِلـــيْهِ أَلُـــوْذ بَمْسـى وَمـــغْدَى[1]

فالطباق في الأبيات السابقة في (سمعي#صلدا)، (البازي#الأعشى)، (قديم#الأجدا)، (ممسى#مغدى)

يقول أيضا:

أني تزوجـــــت هنـــــدا ومـــا تزوجـــت دعـــدا[2]

طباق سلب في(تزوجت / ما تزوجت)

أما المقابلة نجدها في قوله:

أَرَاهـــا فِي الْلَّيْـــل نَوْمًـــا يَطُـــول يُثْقِـــل خَـــدّا
وَفِي الَنـــــهَار نَشَـــــاطًا إِلَـــى الْمَكَـــائِد يُـــحْدى[3]

والمقابلة في قوله (في الليل نوما = في النهار نشاطا) كما اهتم الشيخ بالمحسنات اللفظية، خاصة الجناس الذي يتميز بتكرار حروف بعينها مما يولد موسيقى داخل القصيدة تلفت انتباه القارئ، وتؤثر فيه.فقد عرفه النقاد بأنه "المجانسة أو التجنيس أو التجانس هو تشابه لفظين في النطق واختلافهما في المعنى وهو ينقسم إلى جناس تام وغير تام"[4].

وقد عدّ الجناس أقوى وسائل الزخرفة لما يجتمع فيه من قوة التأثير على الوزن عن طريق الجرس. يقول الشيخ التليلي:

مـــا فِي الْـــزَّوَاج شَـــهوَّةٌ تَعْنِينِـــي فَلِي من الأَوْلاَد مَـــا يُغْـــنِينِي

(1)محمد الطاهر التليلي، المرجع السابق، ص 49.

(2)المرجع نفسه، ص 49.

(3)المرجع نفسه، ص 50.

(4)عبد الطيف شريفي، زبير دراقي، الإحاطة في علوم البلاغة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2004، ص 191.

فالجناس يكون في (تولى/ أولى ، تعنيني/ تغنيني) كذلك نجد الجناس أيضا في (الأسد / الأجد، دعد/ سعدا، معاد/ ملاذ)، من المحسنات اللفظية أيضا التصريع الذي يبرز دعامة موسيقية أساسية في شعر التليلي بشكل واضح، وقد عرف القدامى التصريع بـ(أن يكون للبيت فما فوق قافيتان مع وزنين مختلفين من أوزان العروض)[1].

فهو جانب جمالي في الشعر ويفضل أن يكون التصريع عفويا غير متكلف فيه، كما عرفه "ابن رشيق" (بأنه ما كانت عروض البيت تابعه لضربه وتنقص بنقصه وتزيد بزيادته)[2].

ويقول" الهاشمي" (التصريع هو توازن الألفاظ مع توافق الأعجاز أو تقاربها)[3]، وهو يحدث نغما موسيقيا في القصيدة، ونلمس ذلك في أقوال الشيخ حيث يقول:

عَنَسِي وَلاَ الْشَّيْخ الْعَجُوز الهَارِم وَلو أَنَّه الْشَّيْخ الْوَقُور الْعَالِم

حَسْبِي مِن الْعَاهَات مَا أُقَاسِي فَلنْ أَكوَن سُخْرَة لِلْنَّاس

الْوَلَد مَفْقُود فمَا احْتِبَاسي وَالرِزْق مَوْجُود بِلاَ مَسَاسِ[4]

نرى التصريع في هذه الأبيات أحدث إيقاعا واضحا متوافقا مع الجوّ النفسي- والشعوري للقصيدة، فالقارئ لهذه الأبيات يحس بسرعة متواترة في الإيقاع الموسيقي لها، إذ تشعرك بالحالة النفسية المضطربة.

د- السيولة والتدفق في تناسب الإيقاع:

مما يلاحظ على قصائد الشيخ التليلي وجود نوع من التدفق والسيولة في الموسيقى، بحيث اختار اللفظ واختار تتابع النغمات ومناسبتها للمعنى، ونظم مسرحيته الشعرية (الشيخ العجوز

(1)أحمد الهاشمي، ميزان الذهب، تحقيق: حسين عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب القاهرة، مصر، ط 1، 1997م، ص 137.

(2)ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط 5، 1981، ج 1، ص 173.

(3)أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ضبط: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية بيروت، لبنان، دط، دت، ص 332.

(4)محمد الطاهر التليلي، ديوان الدموع السوداء، ص 14.

وزوجته) على هذه الوتيرة، ونلاحظ تزاحم معاني الحزن على الشيخ في تتابع دون عائق أو تكلف، ويقول يرثي حاله ويشكي قسوة الزمان:

كَبُرتُ يا قَوْم جدًّا وَما تَبَنَّيْت رشدا
مَضتْ عَلَيّ سِنِينٌ وَتِسْعٌ وَسِتُّون عَدَا
أَتَتْ فَأَخنَت وَأَحْنَت ظَهْرِي فَأَمْسَيْت قدّا
وَالْشَّيْب عَم اشْتِعَالاً بِالْرَّأْس فَوْدا ففُوَدا
وَنَال دَهْرِي مِنِّي وَسَامَنِي الْسُّوء صدّا
وَلِلّيالَي صُرُوْفٌ تَهُدّ مَا شِدْت هَدّا
تُرُدَّنِي لاَ تُبالَي لِأَرْذل الْمُعَمُّر رَدّا[1]

وقد ظهرت معاني الحزن في المعجم الشعري (كبرت، أحنت، أمسيت، السوء، دهري، الليالي، الصروف...)

إن إيقاع الحروف والتراكيب يشيع جوًا موسيقيًا مطربًا يملأ النفس غبطة وفرحًا وذلك ما يتماشى مع الموضوع الذي كتبت من أجله المسرحية، فالشيخ التليلي نوع في الإيقاع والروي والقافية وذلك من أجل مواكبة باب التجديد الذي ظهر في تلك الفترة، كذلك تنوع البحور حيث انه كلما أعطى شخصيه من شخصياته دورا إلا وأعطاها بحرًا خاصًا بها، وذلك لمراعاة مستواها الثقافي وعمرها الزماني وخصائصها النفسية التي تكتسبها، كما أن أي بحرّ عنده دلالته الخاصة به وذلك للتعبير عن حزنه وألمه الذي يعيشه ، فهو تنوع يتماشى مع حالة الشيخ النفسية وبذلك نجد البحر الكامل والخفيف قد خدمه في باب الحزن والشكوى.

و- اللفظ بين الجزالة والعذوبة:

من خلال تتبعنا لقصائد التليلي، نلاحظ أن أسلوبه يتنوع بين الرقة والجزالة حسب الموضوعات التي يتناولها، وكان للظروف السياسية والاجتماعية القاسية الدور الكبير في اكتسابه قوة

(1)محمد الطاهر التليلي، المرجع السابق، ص 48.

المبنى ورقة المعنى، وانعكس ذلك على ألفاظه وعباراته واختياره للموضوعات التي يعالجها، حيث يقول "محمد ناصر " «أن الموضوع في الشعر التقليدي المحافظ إذا كان يستوجب الصرامة والجد ويتطلب لهجة حاسمة، فإن جرس الألفاظ والكلمات يستطيع أن يشبع هذه الكلمات، فهي تقرع السمع وتملأ النفس بمعاني القوة والجزالة»[1].

ويتنوع الشعر حسب الظروف التي دعت إلى نظمه، يقول "شوقي ضيف" «وبعض الشعر يحسن أن ينشد في جلبة وقعقعة كشعر الحماسة وبعضه يحسن أن ينشد في هدوء وبدون جلبة كشعر الرثاء»[2].

يقول الشيخ التليلي:

وَيْح شَيْخ تَصَابَى بَعْد عَجُوزه فَقَد الْعَقْل قَبْل فَقَد كُنُوزه
يَتَجنّى على الْنِّسَاء فَيَبغِي زَوْجَةً كَاعِبًا لِفَك رُمُوزِه
قَائلاً فِي الْثَّرَاء أَفْضَل كُفءٍ جالبًا لِلْفِرَاش خَيْرُ طُرُوزِهِ
وَهو لَمْ يدْر أَن كُل فتَاةٍ هَمُّهَا الْزَّوْج لا نَقَاوَة كُوزِه[3]

نلاحظ ألفاظ هذه الأبيات جاءت قوية جزلة تحدث جلبة وقعقعة عند الإنشاد (ويح، تصابى، كنوزه، يتجنّ، طروزه، كوزه)، وقد ساقى هذه الألفاظ في غرض الشكوى، أما الألفاظ العذبة فساقها الشيخ التليلي في أغراض معينة يقول الشيخ:

قُلْتُ بَعْد اسْتِمَاع كُل جَوَابٍ من نِسَاءٍ أَسَأْن ظَنًّا وَرَدَّا
لَيْس مِن يُدْلِي لِلْزَّوَاج حِبَالا هَمُّه كُلُه الْعَسِيلَة قَصْدا
قَد يَكُوْن الْزَّوَاج صَونًا وَعَوْنًا وَحَدِيث الأُنْس هَزْلاً وَجِدّا

(1)محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، (1925، 1975)، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1985، ص 195.

(2)شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 6، دت، ص 97.

(3) محمد الطاهر التليلي ،الدموع السوداء ،ص 184

قَـد يَكُـون الْـزَّوَاج تَعْمِـير بَيْـتٍ بِصـــــغَار تَقِيـــــك حَـــرّا وَبَـــرْدَا[1]

يتضح من خلال هذه الأبيات أن الكلمات المستخدمة كلها عذبة وسهلة (جواب، نساء، أسأن ردّا، الزواج، حبالا، العسيلة، صونا، عونا، الأنيس، هزلا، صغار، حرا، بردا).

3- مواقع اللاّتحديد وتنشيط تفاعل القارئ:

إن استراتجية "مواقع اللاّتحديد" لها أهمية باللغة في نظرية القراءة وجماليات التلقي والتأثير، وبخاصة عند "أنغاردن" و "إيزر" فهي تصنف وتحلل النشاط الذي يقوم به القارئ أثناء مباشرة عملية القراءة، حيث يعتبرها "إيزر" كسبب في إنجاز العمل الأدبي.

إن الفجوات النصية تتيح للقارئ الفرصة ليبني جسوره الخاصة، رابطا بين المظاهر المختلفة للموضوع... إن الفجوات النصية لا يمكن أن تكون عيبا، على العكس إنها عنصر أساسي للاستجابة الجمالية[2].

أ- المنظورات النصية:

***- منظور السارد/ النص:**

بعد التعرف على مواقع اللاّتحديد التي شملها العنوان، نلج بين طيات صفحاتنا إلى النص، للتعرف على أغواره والمدلولات التي يحملها هذا النص، باعتباره نواة مكثفة وأفق مرجعي للقارئ الذي بوسعه أن يبني دلالات خاصة به تحافظ عليه.

وقبل التحدث عن طبيعة السارد أو الراوي الذي يتعامل النص معه فإن السارد هو الذات الفاعلة للتلفظ الذي يشتمل عملاً من الأعمال فهو الذي يرتب عمليات الوصف، فيضع وصفا قبل الآخر، على الرغم من تقدم هذا على ذلك في زمن القصة، والسارد هو الذي يجعلنا نرى تسلسل الأحداث بعيني هذه الشخصية الحكائية أو بعينه هو، دون أن يضطر إلى الظهور أمامنا، وهو الذي

(1) محمد الطاهر التليلي، المرجع نفسه، ص 52.

(2) ك، م، ليوتن، نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة عيسى علي العاكوب، ص 241.

يختار أن يخبرنا بهذه التحولات أو تلك، عبر الحوار بين شخصيتين، أو عن طريق وصف موضوعي[1].

وراوي هذه المسرحية وساردها هو "راوٍ مفارق لمرويه" أي أنه يقوم بالرواية دون أن تربطه علاقة بما يرويه[2].

فأحداث المسرحية تبدو للقارئ كأنها حقيقة، لأنه يسهم في بنائها دون تدخل من قبل السارد الذي هو عبارة عن بنية نصية موجهة أكثر منها بنائية.

يقول السارد:

طَرَق الْشَّيْخ خَاطِبًا بَاب جَمْع مِن نِسَاء أَقَمْن حَفْلَة عُرْس
قَائِلا مَن تُرِيد مِنْكُن زَوْجًا فَتَضَاحَكْن مِن غَبَاوَة هَرْس[3]

السارد هنا لم يحدد لنا هل يقبل الشيخ أم لا؟ وكيف يكون جواب النسوة للردّ على طلبه؟ وفي حالة ما إذا قبلت إحداهن، كيف تكون الحياة معها؟ وهل ستقبل هذا الشيخ العجوز وتصبر عليه، أو همها فقط هو الزواج؟ كل هذه الأسئلة تشوق القارئ وتنشط مخيلته فيستحضر بذلك عدد غير متناه من الصور، فقد يقبل وقد لا يقبل، قد يحظى بإنسانة حنونة، أو إنسانة ماكرة... أم أنه يبقى على حاله ولوحده فهذه الصور التي تكونت عند القارئ تبقى مختزلة في مخيلته أثناء ممارسته عملية القراءة، إلى أن يصل به الحال إلى ترجيح احتمال واحد وهذا الاحتمال يدعمه النص عندما تجيب النسوة على الشيخ بسخرية وازدراء مرة، وشفقة مرة أخرى يقول السارد: المرأة نصف توصي:

أَوْصت صوَاحِبَهَا تَقُول هَزْلاً تَرْضَيْن أَشْيَب كَالْثُّغَام غُذَاره

المرأة العانس تقول:

عَنَسِي وَلاَ الْشَّيْخ الْعَجُوز الهَارِم وَلو أَنَّه الْشَّيْخ الْوَقُور الْعَالِم

(1) سعيد الوكيل، تحليل النص السردي، معارج ابن عربي، نموذجا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1998م، ص 63.

(2) المرجع نفسه، ص 46.

(3) محمد الطاهر التليلي، ديوان الدموع السوداء، (مخطوط)، ص 14.

وذات الأولاد تقول:

مـــا فِي الْـــزَّوَاج شَـــهوَّةٌ تَعْنِينِـــي فَـلِي مـن الأَوْلاَد مَـــا يُغْـــنِينِي

والمرأة العقيم تقول:

الْوَلَـــد مَفْقُـــود فمَـــا احْتِبَاســـي وَالـــرِزْق مَوْجُـــود بِـــلاَ مَسَـــاسِ

وذات العاهة تقول:

حَسْـبِي مِـن الْعَاهَـات مَـا أُقَـاسِي فَلـــنْ أَكـــوَن سُـــخْرَة لِلْنَّـــاس

والعجوز الهرمة تقول:

دَعْنِـــي مِـــن الْـــزَوَاج وَالْقَـــرِين فَشَنّـــتِي قـــد يَبِسَـــت مِـــن حِـــينْ[1]

فيدرك القارئ بأن الشيخ قد رفض من طرف النسوة فمنهن من سخرت منه لأنه شيخ ويريد الزواج، ومنهن من امتنعت عنه ولا حاجة لها به، وأن النص الذي يقرؤه لا يخرج عن النصوص المسرحية الكلاسيكية التي يتم فيها الصراع الدرامي بين قوتين متناقضتين! كما هو معروف، فقد تحول الصراع الدرامي من صراع خارجي بين الشخصيات وقوى غيبية (المسرحيات اليونانية القديمة)، إلى صراع داخلي نفسي كما هو في مسرحية "السيد" للشاعر "كورناي" وذلك منذ القرن السابع عشر ميلادي[2].

وهذا الصراع الداخلي تجلى عند بطل المسرحية في المشهد الثاني، حيث دار حديث بينه وبين نفسه وعن سبب رفض النسوة له، يقول:

قُلْـتُ بَعْـد اسْـتِمَاع كُـل جَـوَابٍ مـن نِـسَاءٍ أَسَـأْن ظَنَـــا وَرَدَّا

لَـيْس مِـن يُـدْلِي لِلْـزَّوَاج حِبَـالا هَمُّـــه كُلـــه الْعَسِـــيلَة قَصْـــدا[3]

فهذا الردّ الذي عقبه الشيخ على جواب النسوة كان نتيجة صراع داخلي، وهذا ما سيقود القارئ إلى عملية تفسير العنوان من جديد، حيث نصحته عجوز تقول:

---

(1) محمد الطاهر التليلي، المرجع السابق، ص 14-15.

[2] – ينظر: محمد مندور، الأدب وفنونه، نهضة مصر لطباعة والنشر والتوزيع، ط 5، 2005، ث 105.

(3) محمد الطاهر التليلي ، ديوان الدموع السوداء ص 52

أَنْت شَـيْخٌ مِـن الْشُّـيُوخ الْقُـدَامَى وَأَنَـا شَيْخـةُ الْنِّسَـاء الآيَـامّى
جِيلُنَـا فِي الحْيَـاة أَصْبـح رَثًّـا أَكَـل الـدَهْر لَحْمَـه وَالْعِظَامَـا[1]

فقد يتخيل القارئ أن هذا الشيخ لا تلزمه إلا عجوز تؤنسه وترضى به ولا تعيبه، ولكن حتى هذه العجوز أصبحت لا ترضى بالشيخ، وهذه النقطة يكتشفها القارئ عند مواصلة عملية القراءة.

***- منظور الشخصية/ النص:**

إننا لن نتحدث عن الشخصية باعتبارها ذلك الكلّ الحيوي الذي يتعامل بكل ما لديه من قدرات جسدية وذهنية، ولكن سنتحدث عنها باعتبارها شخصية ورقية فالشخصية الورقية هي شخصية من ابتداع المؤلف، وهي عبارة عن فكرة أو مجموعة من الأفكار التي يريد إيصالها إلى القراء، وهي تمثل الحجر الزاوية التي يبنى عليها العمل الأدبي[2].

ولقد أشرنا فيها سبق عند تقديمنا للمدونة أنها تتضمن على 16 شخصية، يقوم القارئ بالتعرف عليها تدريجيًا أثناء القراءة، فيدرك أن شخصية الشيخ هي الشخصية البارزة في المسرحية والمحركة لأحداثها وتفاصيلها، فهي تمثل شخصية المتروك والمرفوض في المجتمع، فهو رفض عندما أقدم للزواج وترك من قبل أولاده وبناته وحتى التي تزوجها لم تقتنع به كما تعتبر شخصيته موجهة وناصحة ومفسرة بالنسبة لرؤية الأحداث وتحليلها ومدى مطابقتها للواقع المعيْش، فهي شخصية تتخذ الدور الفعّال والبارز في المسرحية، تحافظ على دورها الجسدي والمعنوي إلى نهاية المسرحية، وهذا تجسيد لرؤية المؤلف للواقع.

إن شخصية الشيخ تمثل فكرة أكثر منها تُمثل شخصية، فهو يملك تجربة كبيرة في الحياة يحمل فكرة الشيوخ الكبار الذين يجددون الزواج بالصغيرات، وهذه الظاهرة مطروحة كثيرا في المجتمع وشائعة، فهو يقيسُ مدى تقبل المجتمع لهذه الفكرة وكيف يتعامل معها، فأعطى بذلك صورة

(1)محمد الطاهر التليلي، المرجع السابق، ص 15.

(2)عبد الله خمار، تقنيات الدراسة في الرواية الشخصية، دار الكتاب العربي لطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، دط، ديسمبر، 1999م، ص 12.

موجزة لرأي النسوة بالزواج من الشيوخ، وقد أخذ شرائح مختلفة من المجتمع، ثم علق بدوره عن ردّهن وأبدى بعض النصائح التي هي نصائح عامة، بعدما سرد تجربته من الزواج من فتاة صغيرة، وكيف أنها لا تتوافق مع شخصية الشيخ، فهو بذلك قدم صورة مصغرة للمجتمع المعيش، يقول السارد:

طَـرَق الْشَّـيْخ خَاطِبًـا بَـاب جَمْـع ... مِـن نِسَـاء أَقَمْـن حَفْلَـة عُـرْس
قَـائِلا مـن تُرِيـد مِـنْكُن زَوْجًـا ... فَتَـضَاحَـكْن مِن غَـبَاوَة هَرْس[1]

قُلْـتُ بَعْـد اسْـتِمَاع كُـل جَـوَابٍ ... مـن نِـسَاءٍ أَسَـأْن ظَـنـّا وَرَدَّا
لَـيْس مِـن يُـدْلِي لِلْـزَّوَاج حِبَـالا ... هَمُّـه كُلـه الْعَسِـيلَة قَصْـدا[2]

فَـاتَّقِين الإِلـه يـا نِسْـوَة الْحَـي ... وَذُدْن اللَـعِيِّن عَنـكُن ذَوْدَا
يـا إلهـي أنـت الـولي فكـن لي ... ولا تـذرني بـين الخلائـق فـردا
واهـد ربّ الأولاد خـير سـبيل ... يبصـروا الـبر إن في الـبرّ رشـدا
واهـدني دائـما إليهـم جميعـا ... حتـى لا يحرمـوا رضـاي ووعـدا[3]

كَـبُـرتُ يـا قَـوْم جـدًّا ... وَمـا تَـبَنَّـيْـت رشـدا
مَـضـتْ عَـلَـيّ سِنِيـنٌ ... وَتِسْـعٌ وَسِـتُّـون عَـدَا
أَتَـتْ فَـأَخنَت وَأَحْـنَت ... ظَـهْـرِي فَـأَمْسَيْـت قدّا
وَصِرْت مِـنْ بَعْـد عِـرْسِي ... كَـلا عَـلَى الْكُـلِّ نِكْـدا
طَلَبْـت تَجْدِيـد عـمُرِّي ... بـزَوْجَة تَتـفدّى
فَكَـانَ مِـن سُـوَء حَـظّي ... وَطَـالعِي لِيـس سَـعْدا

(1) محمد الطاهر التليلي ديوان الدموع السوداء ص 52.

(2) محمد الطاهر التليلي، المرجع السابق، ص 52.

(3) المرجع نفسه، ص 48.

أَنِّي تـــــــزُوِّجَت هنـــــــدًا وَمـــــا تـــــزُوّجْت دَعْـــــدَا
أَتَتـــــــنِي رَبّـــــة بِيـــــــتٍ وَالْقَلـــــبُ يَحْمِـــــل حِقْـــــدَا[1]

فمن خلال هذه الأفكار المقتبسة من الواقع المعيش نرى أن شخصيته تمثل فكرة المؤلف ورؤيته للمجتمع، إذ أنه يساهم في تسليط الضوء على هذه الظاهرة، والبحث عن حلّ لها، إذ يراها المؤلف أنها ظاهرة مستفحلة في المجتمع.

***- منظور الحبكة/ النص:**

أول حديث ابْتُدئ به متن مسرحية "الشيخ العجوز وزوجته" هو ذهاب الشيخ إلى الخطبة،وأول باب صادفه كان بيتا به مجموعة من النسوة كن في عرس وطلب منهن الزواج فتضاحكن منه، واعتبرنه غبيًا ولكي يطور المؤلف الصراع الدرامي لجأ إلى خلق نوع من التوتر الداخلي وهو الذي نتج عن ردّ النسوة على جواب الشيخ بكل سخرية، هذا ما كونّ الصراع الداخلي الذي عاشه الشيخ بسبب السخرية منه ومن طلبه، إلا أن المؤلف خفف بعض الشيء من حدّة هذه التوترات من خلال خلق شخصية النساء المشفقات على حاله، وعلى ازدراء النسوة له، فعملية الرفض التي واجهها الشيخ سببت له بعضا من التوتر والصراع الداخلي، وبدأ بالبحث عن أسباب الرفض وعدم القبول وحتى يكتمل الحدث تحدث الشيخ عن أهمية الزواج بالنسبة لشيخ كبير في السن، وكيف يقضي حياته وهو وحيد لا ولد له يرعاه في كبره، ولا بنت تحنّ عليه، أما المشهد الثالث، فقد كان الحدث بالغا بعض الشيء، حيث تزوج الشيخ من فتاة صغيرة وهذه الفتاة لم تكن حنونة عليه ولا مهتمة به وبحاله، بل ساءت حالة الشيخ أكثر وتأزمت بعد زواجه من" سعدى" التي تتفنن كل يوم بقتله، وهذا ما سيضع القارئ، في صلب الموضوع ويرى حالة الشيخ كيف كانت قبل، وكيف أصبحت بعد الزواج، وهذا المشهد رفع من حدة التوتر الذي يعيشه الشيخ مما جعل القارئ يعيش نوعًا من التوتر الناتج عن ما سيُسفِر عن حالة الشيخ بعد زواجه، والتي يتوقعها القارئ بأنها مواقف لا تختلف عن المواقف التي يعتقدها، وبداية هذا المشهد يبدأ بالحالة النفسية

(1)محمد الطاهر التليلي ديوان الدموع السوداء، ص: 49.

المتأزمة التي عاشها الشيخ بعد زواجه وهذا ما جعل الحدث يتطور بسرعة مما يولد حيرة تكتنف القارئ، ويعجز عن تفسير حالة اليأس والقنوط التي وصل إليها الشيخ جراء زواجه الفاشل وهذا ما يزيد الصراع في حدّ ذاته سواء بين الشيخ وزوجته أو بينه وبين نفسه، وهذا ما يمكن القارئ من مشاهدة الحدث من زوايا متعددة من خلال استذكار الأحداث السابقة التي مرّ بها الشيخ، وربطها بالحدث الحاضر، كأن يتذكر صورة الصراع الذي عاشه الشيخ مع نفسه نتيجة هذا الرفض، ثم ربطه بشخصية سعدى، فيدرك أن الأسماء التي تحملها الشخصيات لها وظيفة دلالية وهذه الوظيفة تعمل على كشف سلوكها ومواقفها، فلشخصية سعدى شخصية أفعال لا أقوال من خلال ما تقوم به من مكائد على خلاف شخصية الشيخ فهي شخصية أقوال وأفعال، وكان قصده شريفا من الزواج، وهذا ما يجعل القارئ يضع بعض التوقعات التي تتوافق مع الأفق الذي يبنيه النص، وقد تختلف عنه تماما لكي يكتشف القارئ خطأ أو صحة توقعه عليه أن يتعرف على بقية مجريات الأحداث التي يجسدها النص إلى نهاياتها.

***- منظور القارئ التخيلي/ النص:**

يعتبر القارئ التخيلي أو الضمني استراتجية نصية شأنها شأن بقية الاستراتجيات التي يعمل المؤلف على خلقها من أجل تحقيق التواصل بينه وبين القارئ الفعلي، إذْ أنه لحظة شروعه في بناء موضوعه الجمالي لا بد أن يستحضر قارئا مفترضا يتوجه إليه بخطاطة أو رؤيته حول العالم، فالنص يقوم بعرض استعدادات قارئ مفترض ما للتفاعل مع بقية المنظورات النصية، ومن خلال النشاطات التي يقوم بها القارئ الفعلي، وانطلاقا من مجهوداته المتنوعة المرتبطة بالمنظورات الأربعة المذكورة آنفا (منظور السارد، منظور الشخصيات، منظور الحبكة، منظور القارئ التخيلي) يتم إنتاج

المعنى الذي لا يتجسد إلا عندما ينتهي القارئ من قراءة العمل من بدايته وحتى نهايته، وبهذا فإن القارئ التخيلي ما هو إلا مظهر أو خطاطة مفترضة يقوم المؤلف بتكوينها مسبقا[1].

إن القارئ التخيلي الذي ضمنه الشاعر وكتب له، يجعلنا نتساءل حول الأسس التي جاء بها من أجل إرساء مضمون النص، والدلالات اللغوية والرمزية، التي وظفها؟ والتي كتب لأجلها المسرحية؟ من خلال قراءة نص المسرحية نرى أنها دارت حول زواج الشيخ الكبير من فتاة أصغر منه في السن، وكيف كان رد مجتمعه، ورفضه له فرؤية "التليلي"، لهذا النوع من الزواج كانت نابعة من صميم المجتمع الذي كان من عادته وتقاليده أن الشيخ الكبير إذا توفت زوجته لا يمكن له أن يتزوج مرة ثانية، لكن "التليلي" جعل في مخيلته وهو يكتب المسرحية قارئا مفترضا وحاول أن يبني ويعكس هذا الوضع في صورة خيالية هادفة والدافع لذلك هو أن يغير من نظرة مجتمعه المنغلقة التي تتبع نظام يقيد ويكبل حرية الإنسان ويخالف العقائد الدينية السائدة في هذا المجتمع وصور لنا في مشاهد المسرحية العديد من المظاهر في شكل حوار شعري هزلي استخدم فيه استراتجيات نصيّة متعددة اعتمد فيها على استخدام التراث: «الدين، الطبيعة، اللغة، الشخصيات المختلفة، الأساطير الشعبية»، باعتباره مرجعًا للقارئ المفترض الذي اختاره المؤلف، وعلى الرغم من أن المسرحية كانت خيالية لكنه ربطها بالواقع لكي يسهل على باقي القرّاء فك رموزها، فاللغة التي اختارها كانت بسيطة تتلاءم مع العصر الحالي ومألوفة فالمسرحية كتبها في آخر الثلاثينيات وألفاظه مستوحاة من قاموس مجتمعه واختياره للمكان الذي وقعت فيها أحداث المسرحية وهو "حفلة العرس" وهذا المكان الأنسب لطرح السؤال عن النسوة، والمعروف أن الأعراس في تلك المنطقة تتعدد فيها الآراء وتختلف وهنا يدور الصراع الدرامي وتتوالى الأحداث ليجعل القارئ مسترسلا في قراءتها ليصل إلى آخر المسرحية وهو يطرح تساؤلات ليعرف كيف كانت النهاية التي وضعها المؤلف، وكيف كان

(1)وهاب خالد، جمالية التلقي، في مسرحية (النخلة وسلطان المدينة لعز الدين جلاوجي)، مذكرة ماجستير، جامعة سطيف، 2008-2009م، ص 147.

توقع هذا القارئ هل كان نفس المعنى الذي قصده، أم انه يمكن له أن يعطي لهذه المسرحية منحنى ومنعرجا آخر يخالف ما كان يهدف إليه هذا النص.

***- منظور الحوار/ النص:**

يظهر أسلوب الحوار والسردْ جليّا بطريقة واضحة في أسلوب الشيخ التليلي، حيث كان الاعتماد الكلي في مسرحية (الشيخ العجوز وزوجته) على الحوار، وهو أساس العمل المسرحي المنظم، لقد استخدم الشيخ التليلي وسائل متنوعة لإظهار الشكل المسرحي في قصيدته، ففي حوار جرى بين مجموعة مختلفة من النساء حول الزواج من الشيخ، يتعرض لرأي الفتاة الصغيرة، والعانس وذات الأولاد والمطلقة ... تقول المرأة النصف توصي:

أَوْصت صوَاحِبَهَا تَقُول هَزْلاً تَرْضَيْن أَشْيَب كَالْثُّغَام غُذَاره

وذات العاهة تقول:

حَسْبِي مِن الْعَاهَات مَا أُقَاسِي فَلنْ أَكوَن سُخْرَة لِلْنَّاس[1]

فالحوار هو الوسيلة الجمالية الوحيدة لإبراز هذه المواقف المتشابهة حول فكرة رفض الزواج من الشيخ، ويستمر الحوار حتى يصل إلى قمة الهرم وهي العجوز، ترد رهط من الفتيات بسخرية:

لاَ الدَّين نَبْغِي وَلاَ الْحَيَاء نُرَاعِي فَلَنَا فِي الْلاَهِي كُل الْدَّوَاعِي
لاَ بُيُوت الْزَّوَاج نَرْضَاهَا سِجْنًا نَحْن طَيْر إِلَى الْوُرُود سَوَاعِي
فِي الْبَسَاتِين كل نَوْعٍ وَلَوْنٍ مِنْ شِميمٍ وَلَذَّةٍ وَمَتَاعٍ[2]

ثم يكمل الشيخ بقية القصيدة والتي عنوانها (بعد الاستماع قلت بالتياع) فبعد الحوار الذي جرى بين النسوة يردّ الشيخ الخاطب ويعلل سبب رغبته في الزواج قائلا:

قُلْتُ بَعْد اسْتِمَاع كُل جَوَابٍ من نِسَاءٍ أَسَأْن ظَنًّا وَرَدَّا
لَيْس مِن يُدْلِي لِلْزَّوَاج حِبَالا هَمُّه كُله الْعَسِيلَة قَصْدا

(1) محمد الطاهر التليلي، ديوان الدموع السوداء، ص 14.

(2) المرجع نفسه، ص 15.

قَـد يَكُـون الْـزَّوَاج تَعْمِـير بَيْـتٍ بِصـــــغَار تَقِيـــك حَـــرّا وَبَـــرْدَا
إِنَّمـــا الْبَيْـت لِلـــوَحِيد ضَرِيـحٌ مَيْـتًا فِـيه ضـــاق ذرْعًـا وَلَـحْدَا[1]

ويبين أن الأبناء كل منهم مهتم بشؤونه فيقول:

لِي بَنَـــات وَلِلْبَنـــات اشْـــتِغَالٌ بِبُعُـــولٍ يُـــدِرْن بَيْتـــا وَوُلْـــدا
أَمْ بَنُـــوه وَلِلْبَنِـــين شـــؤُونٌ لَمْ تـــذَر لِلآبـــاءِ حُـــبًّا وَوَدّا
لاَ تَسَلـــنِي عَـــن الْحَفِيـــد فَـــإِنِّي لَمْ أَرَ فِي الْوَلِيـــد لِلخَـــيْر رَدّا[2]

ب- استراتجية التناص:

يشكل التناص مظهرًا من مظاهر إنتاج النصوص وتناسلها وهذا يعني أن القـارئ ينبغـي أن يكون على معرفة بالنصوص التي تتداخل وتتعانق وتتعاضد أو تتنافر حتى يتحقق تفاعله مع الـنص المدروس[3].

وتعرّف "جوليا كريستيفا" "julia kristiva" التناص قائلة: «إن النص هو عبارة عـن لوحـة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تحول وتشرب لنصوص أخرى»[4].

ويسهم التناص عند أصحاب نظرية القراءة، في تكوين السجل النصّي، وسـنحاول مـن خـلال هذه الإستراتجية استخراج بعض من الأبعاد التي يختزنها المتن المسرحي.

إن قارئ مسرحية "الشيخ العجوز وزوجته" يجدها تزخر بالعديد من النصوص الغائبة القابعـة على مستوى عمق النص منها:

*** -التناص الديني:**

(1)محمد الطاهر التليلي، المرجع نفسه، ص 52-53.

(2)محمد الطاهر التليلي، المرجع نفسه، ص 53.

(3)موسى ربابعة، جماليات الأسلوب والتلقي، دراسات تطبيقية، ص 10.

(4)موسى ربابعة، المرجع نفسه، ص 109.

وهو تداخل نص المسرحية مع نصوص أخرى دينية (القرآن الكريم ، الحديث الشريف، الكتب السماوية...).

إن توظيف النصوص الدينية في هذا المتن راجع إلى خلفية الشاعر إذ أنها تلتقي مع خلفية ومرجعية المتلقي ولهذا فالقارئ لا يجد صعوبة في الربط واستخراج الدلالات المقصودة فنجد هذا النوع من التناص القرآني في قول الشاعر:

وَالْشَّيْـــب عَـــم اشْتِـــعَالاً بِالْـرَّأْس فَـوْدا ففُـوَدا

وفي هذا البيت تناص من "سورة مريم" وقصة سيدنا "زكريا " وابنه يحيا عليهما السلام قال تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً}[1].

وبعد أن يحدد القارئ هذا التعالق يباشر بحثه عن الدلالات الخفية التي يريد النص المسرحي توظيفها، وما غرض الشاعر في توظيفه للقص القرآني مع أحداث النص المسرحي وهذا يتبين لنا من خلال هذا المخطط:

(1)القرآن الكريم، سورة مريم، الآية 04.

<table>
<tr><th>السجل</th><th>النص الغائب</th></tr>
<tr><td>النصّي</td><td>قال تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً}
 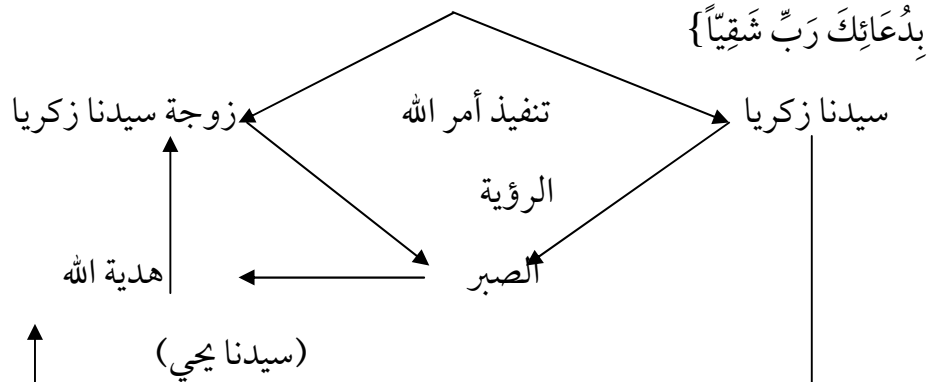
</td></tr>
<tr><td>القارئ والمؤلف</td><td> 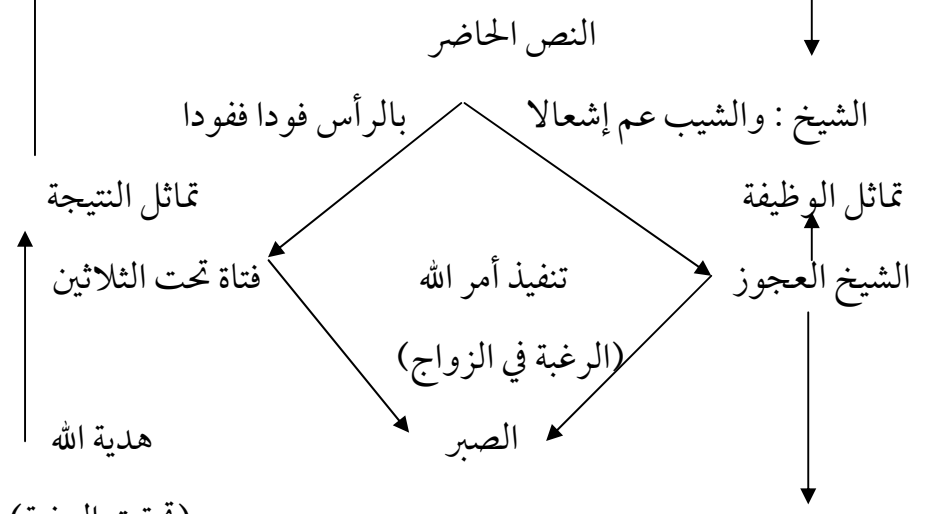
</td></tr>
<tr><td>القارئ</td><td>الشيخ العجوز ← انتصار إرادة الله ← الحلم بالزواج والعيش السعيد</td></tr>
</table>

من خلال هذا المخطط تتضح الأبعاد والمرامي التي تجعل هذا التوظيف مؤسسا بين القصتين وهي:

*- البعد الأول:

- القصة القرآنية: دعاء سيدنا زكريا وتضرعه لله تعالى بأن يهبه ولدًا وهو قد بلغ من الكبر عتيا

- القصة المسرحية: طلب أصدقاء الشيخ منه بأن يتزوج رغم كبر سنه وعجزه .

*- البعد الثاني:

القصة القرآنية: معرفة سيدنا زكريا بالمهمة المسندة إليه وهي أن لا يكلم الناس ثلاثة ليالٍ سويًا، وامتثاله لأمر الله.

– القصة المسرحية: معرفة الشيخ بالمهمة المسندة إليه وهي الزواج مرة ثانية وتحقيق رغبة أصدقائه في تجديد حياته.

*– البعد الثالث:تماثل النتيجة

– القصة القرآنية: هدية الله (يبشر بغلام اسمه يحي)

– القصة المسرحية: هدية الله (تزوج بفتاة تحت الثلاثين)

*– والتناص القرآني في قول الشيخ:

وفيه آية طه "اليوم تنسى" وتردى[1]

حيث ضمن التليلي بيته "اليوم تنسى" وهي مذكورة في قوله تعالى: {قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى} [2].

*– تناص قرآني آخر في قوله:

يا إلهي أنت الولي فكن لي لا تذرني بين الخلائق فردا[3]

حيث ضمن الشيخ بيته من قوله تعالى: {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ}[4].

*– تناص شعري في قول التليلي:

ويح شيخ تصابى بعد عجوزه فقد العقل قبل فقد كنوزه[5]

فهو تناص مع زهير بن أبي سلمى في قوله:

---

(1)الشيخ التليلي، الدموع السوداء، ج 1، ص 49.

(2)سورة طه، الآية 126.

(3)الشيخ التليلي،المرجع نفسه، ص 53.

(4)سورة الأنبياء، الآية 89.

(5)الشيخ التليلي، الدموع السوداء، ص 15.

وإن سفاه الشيخ لا حلم بعده وإن الفتى بعد السفاهة يحلم[1]

*- تناص شعري آخر في قوله:

فزمان التصابى والجهل ولى وزمان المتاب حان فحاما

ضمن الشيخ بيته من قول عبيده بن الأبرص:

تصبو وأنى لك التصابي وأني وقد راعك المشيب

*- تناص شعري في قول الشيخ:

فكان من سوء حظي وطالعي ليس سعدا

فكان من سوء حظي وما تزوجت دعدا[2]

وهنا تناص الشيخ من التراث الشعري القديم، وهي قصة السيدة سكينة بنت الحسين بن علي كانت من أجمل نساء عصرها وأظفرهن وروت عنها الكتب الأدبية كثيرا من نقدها الظريف، تسمع نسيب يقول:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فوا حزنا من ذا يهيم بها بعدي[3]

فتعيبه بأنه صرف رأيه ووهمه إلى من يعشقها بعد وتفضل أن نقول:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

والتناص هنا جاء من الجانب العروضي الشكلي والمضمون أي الصورة الشعرية

*- التناص الأسطوري: يظهر في البيت التالي:

فليس للشيخ إلا عجوز كالعلندى[4]

(1)أحمد الأمين الشنقيطي، شرح المعلقات العشر وأخبار الشعر فيها، تحقيق: محمد عبد القادر الفضلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، دط، 2001، ص 88.

(2)الشيخ التليلي، الدموع السوداء، ص 49.

(3)ينظر: أحمد أمين، النقد الأدبي، موفم للنشر، وحدة الرغاية، الجزائر، 1992م، دط، ص 529.

(4)الشيخ التليلي، الدموع السوداء، ص 50.

فالعلندى رمز أسطوري من تراثنا القديم، فيحكي أن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بكت السماء وبكى الشجر والحجر، والكل عبر عن حزنه لفقدان النبي صلى الله عليه وسلم إلا العلندى بقيت خضراء ولم يظهر عليها الحزن كباقي الأشجار بتساقط الأوراق واليُبس فعاتبتها الأشجار لبقائها خضراء ولم تتغير، فقالت لهم: أن الحزن ليس في الظاهر إنما هو في الداخل وهذه في الحقيقة صفة العلندى حتى الآن فهي دائمة الاخضرار في الخارج ويابسة في الداخل، (هذا ما يرويه أهل سوف في تراثهم الشفوي).

ج- إيحائية اللغة:

لقد استطاع الشعراء العرب المعاصرون أن يبتكروا استخدامات جديدة للعبارة الشعرية، تتمثل هذه الاستخدامات الجديدة في نقل الكلمات إلى سياقات جديدة غير معهودة من قبل، ويستمد على ذلك قدرة بعض الشعراء على تفجير اللغة التي لم تعد للتعبير فقط، وإنما للإيحاء أيضا، ولذلك فإن بعض استخدامات اللغة قد شكلت من خلال تركيب العبارات الجديدة انتهاكا لما هو مألوف وعادي، وقد وسمت مثل هذه الاستخدامات غير المألوفة للغة، بالانحراف والتوتر والفجوة والصدمة والمفاجأة والخلخلة وكسر بنية التوقعات وذلك قياسا على معيار الحقيقة والواقع، ومعرفة القارئ الأولية[1].

لقد حظيت ظاهرة إيحائية اللغة باهتمام النقاد العرب القدماء والمحدثين في انعكاس ذلك على شخصية المتلقي، كونه يؤكد على أهمية الحصول على المعنى بعد كد وإعمال الفكر، فكأنه يشير من طرف خفي إلى أن ما يتوقعه المتلقي يكون عاديا، وأما ما يأتيه كاسرا لقاعدة التوقع فإنه أجمل و أمتع وألذ[2]، فالمعنى عند المحدثين سمي بأغلفة المعنى وهي مهمة منوطة بالسامع أو الملتقي، يقول عبد

(1)موسى ربابعة، جماليات الأسلوب والتلقي، دراسة تطبيقية، ص 121-122.

(2)عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق، هدربينر، أسطنبوال، تركيا، وزارة المعارف، 1953، دط، ص 383-384.

القاهر الجرجاني: « نقول المعن ومعنى المعنى نعي بالمعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر»[1].

إن معنى المعنى أو المعاني التواني إنما مدارها الكناية والاستعارة والتشبيه، وهذا يعني أن معنى المعنى لا يكون في اللغة التقريرية المباشرة، وإنما يكون في التعابير التي تمثل خروجا على السنن المألوف، فيبدع الشاعر في النسج ويحمل الألفاظ معاني ودلالات جديدة، ووظيفة القارئ اكتشاف هذه الدلالات[2].

ومن الدلالات والاستخدامات الجديدة التي وظفها التليلي في مسرحيته الشعرية نجد: التشبيه في قوله:

فهم اليوم كالعدو عقوقا وهم اليوم كالأباعد بعدا[3]

فعبارة (هم اليوم كالعدو) و(وهم اليوم كالأباعد)، فهنا شبه المؤلف عقوق الأولاد للشيخ بالعدو يقول أيضا:

وكنت كالبازي عينا فصرت للأعشى ندا[4]

فالتشبيه هنا هو وصف لحالة الشيخ كيف كان في شبابه – صحة نظرة – وما آلت إليه حالته بعد ذلك وفقدان بصره، ومن الاستعارات نجد في قوله:

جيلنا في الحياة أصبح رثا أكل الدهر لحمه والعظاما[5]

يحتوي هذا البيت على استعارتين مكنتين الأولى في صدر البيت "جيلنا في الحياة أصبح رثا" حيث شبه الجيل باللباس الرث وحذف المشبه به وصرح له بلازمة من لوازمه "رثا"، والاستعارة المكنية الثانية في عجز البيت "أكل الدهر لحمه" حيث شبه الدهر بالإنسان وحذف المشبه به وأبقى

(1)عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق، محمد رشيد رضا، بيروت، لبنان، دار المعرفة، 1978، دط، ص 203.

(2)موسى ربابعة، جماليات الأسلوب والتلقي، دراسة تطبيقية، ص 123.

(3)الشيخ التليلي، مسرحية، (الشيخ العجوز)، ص 53.

(4)الشيخ التليلي، مسرحية، (الشيخ العجوز)، ص: 48.

(5)المرجع نفسه، ص 15.

على لازمة من لوازمه وهي "الأكل"، ومن التراكيب اللغوية الجديدة والتي تشكل صدمة للقارئ الذي ألف استخدامات منطقية وواقعية للغة، ومن أمثلة ذلك إقامة علاقة جديدة بين الصفة والموصف والتي تبرز قدرة الشاعر على انتهاك حدود اللغة وواقعيتها ليسمو بها نحو لغة متألقة ومثيرة ويتضح ذلك جليّا في أبيات المسرحية نذكر منها قوله في:

فقلـــــت والقلـــــب بـــــاك وحسرتي لن تحدّا[1]

مما يلفت انتباه القارئ في هذا البيت هو الاستخدام الغريب لعبارة "القلب باك" فالعلاقة القائمة بين البكاء والقلب علاقة غير تلازمية أي أن البكاء ليس من ملازمات القلب ولكن المؤلف منح للقلب صفة غير صفاته، ولكن موقف المؤلف يجعله يغير من حقائق الأشياء وطبائعها ليرسم عالمه الخاص به، ليكون لغة خاصة به قائمة على تخطي ما هو واقعي ومألوف.

ومن الانزياحات والخروج عن المألوف نجد ذلك في قوله:

واهـــد رب الأولاد خـــير ســـبيل يبصروا البر إن في البر رشدا[2]

و قوله:

و لا تمكـــــــــن لميســـــــــا مـــــن أن تصـــــيدك فهـــــدا[3]

أيضا في:

نسيت يا ويح نفسي حتـــــى القـــــران الأســـــدّا[4]

ففي البيت الأول تبدو الجملة "يبصروا البر إن في البرر رشدا" أكثر غرابة فهي ليست من الجمل ذات الدلالة المعجمية التي لا تفارق الحقيقة والواقع، وإنما هي مثيرة إلى حد كبير، فالبر لا يبصر بل الشيء المادي هو الذي يبصر، فهذه الدلالة المعنوية جعلها دلالة حسية، باختياره مثل هذه الأوصاف الغير معهودة.

---

(1)المرجع نفسه، ص 50.

(2)الشيخ التليلي، الدموع السوداء، (مخطوط)، ص 53.

(3)المرجع نفسه، ص: 52.

(4)المرجع نفسه، ص 49.

ومن الأمثلة الأخرى التي تكشف عن استخدامات لغوية جديدة لها أبعاد إيحائية قوله:"لا تمكن لميسا من أن تصيدك فهدا" فهذا الانزياح الذي أوقعه المؤلف في اللغة، جعل من القارئ في حالة استفزاز لأن لميس لا تصد وإنما الفهد هو الذي يصيد، فهل هذه تحيط القارئ وتوقعاته وتكسر آليته التفكير عنده.

من الاستخدامات الجديدة أيضا قوله"حتى القرآن الأسد" لقد خرج هنا باللغة إلي شيء لن يتوقعه القارئ، فالقرآن العظيم وليس الأسد، ولكن الصفة المعنوية والعظمة التي يحملها الأسد ويكتسبها جعلت من المؤلف يخرج بها عن المألوف، وهذا ما يدهش القارئ.

إن عنصر المفاجأة يشكل علاقة مابين القارئ، لأن المفاجأة قادرة علي اختراق معرفة القارئ وخبرته فمعرفة القارئ لا يمكن أن تصف القلب بالبكاء أو البرّ بالصبرْ أو لميسا بالصيد، أو القرآن بالأسد، ولذلك فإن مثل هذه الظاهرة تخرج بالكلمات عن طبيعتها لتكون التوقع الخائب، وهذا التوقع مبني علي الخبرة التي تحدد إذا ما كان هناك خروج على المألوف في استخدام اللغة أم لا.

د- اللغة الشعرية:

كما نعرف أن اللغة هي أداة هامة في تواصل المعاني ونقل الأفكار والعواطف فهي تكشف عن العالم الداخلي لكل فرد، فالحياة النفسية هي من أهم الجوانب التي يجدر بنا التعرف عليها، يقول تشومسكي: « إن اللغة هي تلك القدرة التي يمتلكها كل فرد من أفراد مجتمع معين بحيث يمكن في المناسبات المختلفة من التعبير عما يريد، يحمل تجربة جديدة لم يسمعها قط من قبل...»[1]، وكذلك يقول "غنيمي هلال" في كتابة النقد الأدبي الحديث « أن اللغة هي رموز وحالات نفسية، هي مادة للفكر، فالصوت اللغوي وظيفة عقلية لها دلالات على الكلام النفسي الداخلي»[2]، وما يميز اللغة عن غيرها هو ارتباطها بالمعنى، وأن الألفاظ تتغير في معناها بحيث تصنّف دلالاتها وتتسمع حسب ما يبث الشاعر فيها من طاقة وما يشحنه من ذات نفس.

(1)المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، التواتي بن تواتي، دار الوعي، 2008، ص 53.

(2)غنيمي هلال، النقد لأدبي الحديث، دار النّهضة، مصر، 1997، ص 39.

وإذا ما طالعنا من شعر الشيخ التليلي، وجدنا حسه المرهف في حسن اختيار ألفاظه الرنانة تقرع أدن السامع لتؤثر فيه و تلهمه كما نرى في ألفاظه تأثير الأسلوب القرآني وهذا راجع لنشأة الشيخ وحفظه للقرآن، كما يعتبر هذا الأخير، من الأعلام المعاصرين الذين اهتموا بدراسات القرآن في الجزائر ويعود ذلك لدراسته في جامع الزيتونة بتونس، ويظهر تأثر الشيخ بالقرآن من خلال اختيار ألفاظه يقول:

والشيب عم اشتعالا بالرأس فودا ففودا[1]

فكلمة "الشيب عم اشتعالا"، مأخوذة من قوله تعالى:"إن وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا"، وكذلك في قوله :

وفيه آية طه "اليوم تنسى" وتردى[2]

كلمة "اليوم تنسى" مأخوذة من قوله تعالى: "وكذلك اليوم تنسى" سورة طه، وفي قوله:

يا إلهي أنت الولي فكن لي لا تذرني بين الخلائق فردا[3].

فكلمة: "لا تذرني فردا" مأخوذة من قوله تعالى "إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين"

كما نلمس من قراءتنا لقصيدة الشيخ والعجوز يظهر تأثر الشيخ بشعراء عصر القوة كزهير والمتنبي والبحتري وغيرهم، والمتتبع للغة الشاعر يجد أنها تكاد تكون بعيدة عن الحياة و التغيرات التي عاش فيها بحيث نرى أن ألفاظه مرتبطة بشعرنا القديم "جاهلي، عباسي" ويتضح أن الشاعر ناقد انتقى ألفاظه أولا من القرآن ثم من الموروث الشعري أي ما حفظه من أشعار القدماء والمعاصرين له، ونلاحظ ذلك في الألفاظ التالية (قمع – لميس – دعد – التصابي – فوذ – الثغام – مجدا – عذراه – الزهد – الكرامة – التبر – شهما – شنتي)) وغيرها، يقول الشيخ:

دعنى من الزواج والقرين فشنتي قد يبست من حين[1]

(1)محمد الطاهر التليلي ،الدموع السوداء ،ص 60

(2)الشيخ التليلي، الدموع السوداء، ج 1، ص 49.

(3)محمد الطاهر التليلي ،الدموع السوداء ،ص 64.

ويقول:

وهمـــــــة المـــــــرء كنـــــــز يســـــمو عـــلى التـــبر نقـــدا[2]

ويقول نفسه:

نعـــيش كـــما شـــئت شـــهما وتهنـــــا بـــــالا و مهـــــدا[3]

ونلمس من خلال هذه المسرحية أن الشيخ لم يعتمد على غرابة الألفاظ وإنما كان حريصا على أن تكون ألفاظه جزلة وقوية وواضحة وبعيدة كل البعد عن الغموض، إذا ويلاحظ على لغة الشاعر تنوعها بين البساطة وبين اللغة القوية الجزلة التي لها صدى وأثر في نفس القارئ.

هـ-بناء الموضوع الجمالي / المرجعية:

لكي يتمكن القارئ بعد فراغه من قراءة النص من بدايته وحتى نهايته من إعطاء قراءة واضحة و مؤسسة للنص، لابد له من إيجاد الخلفية الثقافية والتاريخية التي بني عليها النص وغالبا ما يسهم المؤلف في كشف هذه الخلفية أو المرجعية من خلال تحديد الفترة التي فرغ فيها من الكتابة، إلا أني بوصفي قارئا لهذا المتن المسرحي (الشيخ العجوز وزوجته) لم أعثر على أية إشارة واضحة وكأن المؤلف لم يشأ التصريح بذلك غير أنني باشرت البحث في مصادر أخرى للمؤلف، وقد توصلت إلى كشف المرجعية التي استقى منها أحداث المسرحية وهذا من خلال الرجوع إلى كتاباته خاصة المخطوط الذي كتبه "هذه حياتي" فقد أشار فيه إلى زمن كتابة المسرحية وهي في فترة الثلاثينات، أما المكان فهو في بلدة "قمار" وفي هذا المخطوط صرّح أيضا بأن الأحداث التي وردت في المسرحية متشابهة مع قصة واقعية حدثت له لكنه قدّمها في شكل هزلي ساخر ودمجها بالخيال وهذا مقطع من حديثه عن هذه المسرحية قال الشيخ : « هذا ما حدثت به نفسي في صبيحة من ليلة من ليالي عرسي

(1)محمد الطاهر التليلي، ديوان الدموع السوداء (مخطوط) ص 15.

(2)محمد الطاهر التليلي ،الدموع السوداء ،ص 60

(3)محمد الطاهر التليلي ،الدموع السوداء ،ص 60

مجردا منها شخصا أحاكيه وطيفا أناجيه وحتى أكون موعظة لغيري لمن اصطاد مثل طيري سجلت ذلك كله في هذه الصفحات»[1].

إضافة إلى التمهيد الذي بدأ به المسرحية والحوار الذي دار بينه وبين صديقه والوصايا التي قدمها له ونصحه بالزواج مرة ثانية، والأمر الذي يهم القارئ هنا معرفة الزمان والمكان الذي كتب فيها متن المسرحية ليتمكن من إسقاط بعض الرؤى والتصورات المختزنة في ذاكرته على بنية المتن، مما يمكّنه من ممارسة الفعل التأويلي مرتبطًا بالنسق الثقافي والتاريخي.

ومن خلال تحديد فترة كتابة نص المسرحية وهي فترة الثلاثينات هذا يدل على أن النص ولد في رحم ظروف صعبة ميزت الحالة التي كان يعيشها الشعب الجزائري إبان الاستعمار الفرنسي- وعدم الاستقرار؛ لهذا فإن النص يبتدئ بوصف حالة الشيخ وتردده في القبول أو الرفض وطرح سؤاله على النسوة والخوف من ردة فعل المجتمع القاسية أي الصراع الداخلي الذي عاشه وهو وحيدًا.

وينتهي النص المسرحي بزواجه من فتاة تحت الثلاثين لكنه لم يوفق في اختياره، وهذا يتضح من خلال الأحداث والحوار الذي جرى بين الشخصيات والنهاية التي وصفها المُؤلف، غير أن هذا الموضوع لن يتجسد معناه إلا حينما يقوم القارئ بالتنقل بين المنظوران النصيّة، مستخدما وجهة نظره الجوالة، و انطلاقا من تجوله هذا يتم إنشاء المعنى الخيالي تدريجيا، ولن يكتمل هذا المعنى إلا لحظة فراغ القارئ من عملية النص من بدايته وحتى نهايته، وبهذا يصل القارئ إلى نقطة التقاطع التي تجسدها هذه المنظورات، التي تسعى كلها لعملية إبراز المعنى وتحقيق الموضوع الجمالي.

ومما يساعد في بناء الموضوع الجمالي أيضا هو القارئ التخيلي الذي كتب له المؤلف فهو استراتيجية نصيّة تساهم في تحقيق التواصل بين المؤلف والقارئ الفعلي للنص، إذ أنه لحظة شروعه في بناء موضوعه الجمالي لابد أن يستحضر قارئا مفترضا يتوجه إليه بخطابة أو رؤية حول العالم، فالنص يقوم باستعدادات قارئ مفترض ما للتفاعل مع بقية المنظورات النصيّة، والمسرحية هنا

(1) ينظر: "هذه حياتي"، للشيخ التليلي، (مخطوط)، ص 02.

تعكس لنا عادات وتقاليد وثقافة المنطقة (قمار) ويتضح من خلال اللغة التي استخدمها المؤلف والإستراتيجيات التناصية أنه ذو اطلاع واسع بالموروث الثقافي العربي وخاصة الأدب القديم وحرصه على المحافظة عليه وتوظيفه.

الخاتمة

العلامة الشيخ "**محمد الطاهر التليلي**" هذا النبع الصافي من العلم والمعرفة في شتى المجالات فهو الذي استقى من أفكاره العديد من أبناء الوطن ،فاخضرّت بها الأرض وأنجبت علماء ومصلحين ومؤرخين تفخر بهم **الجزائر** وكذا البلاد العربية ،فقد استعان الشيخ بالدّين الحنيف ليجلى به ظلمة الزّمان ،ولذا خصصنا دراستنا لإبراز الاتجاهات الإصلاحية في ديوانه ،والتي استخرجنا منها العديد من الأفكار نلخّصها كالتالي :

يعود تكون فكر وشخصيّة الطاهر التليلي: إلى ما استقاه من نبع الدّين الحنيف ومبادئ العقيدة سواء من قبل أساتذته بالمنطقة **وادي سوف** أو من جامع الزيتونة بتونس .

- ✓ يعتبر الطاهر التليلي رائد الإصلاح **بسوف** حيث استلم المشعل بعد "**عمار بن الأزعر**" و"**عبد القادر الياجوري**" ،فتلك الأوضاع التي عاشتها **الجزائر** عامة و **سوف** قمار خاصة؛ من جهل وأمية وكذا اضطهاد من قبل الاستعمار ،أدت **بـ"الطاهر التليلي"** إلى رفع راية الإصلاح لإضاءة نور الحق .

– محاولاته العديدة لإيصال علمه الغزير و ثقافته الواسعة لأهله وأمته على رغم كلّ العقبات والمشاكل التي واجهته

- ✓ الإصلاح عند **الشيخ** هو حسن المعاملة والدّفاع عن الحق الذي نصّ عليه القرآن الكريم، وطبّقه الرّسول الأعظم في كلّ سلوكاته ومعاملاته. ولذا نجد أنّ معظم توجيهاته تدعو الصغار والكبار للتمسُّك بما جاء به الرّسول عليه الصّلاة والسّلام ،وكذا العمل به .
- ✓ عالج **الشيخ** في شعره وبالأخص في الدّيوان كل أنماط الحياة الاجتماعية من علم وتاريخ و سياسة ومجتمع .
- ✓ من أكثر القضايا التي ركز عليها الشيخ هو نشر العلم وحث النّاس على طلبه و الاحتفاء بدوره والتشجيع على بناءه.

ركز على الإصلاح الديني تركيزا ملحوظا ومزجه بتوجيه المجتمع نحو السلوك الأفضل؛ و ذلك لا يتأتّى إلا بالعلم والمعرفة .

- ✓ ناقش في شعره جوانب تاريخية وسياسية، بالتّلميح تارة وعن طريق التعبير المباشر تارة أخرى .
- ✓ ومما لفت انتباهنا أيضا أنّ الشيخ ناظم أكثر منه شاعر
- ✓ و ما لوحظ أيضا من خلال دراستنا للدّيوان؛ أن **الشيخ** قد تناول قصائد قي الجزء الأول ثمّ تطرّق إليها في الجزء الثاني أيضا.
- ✓ ورغم ما قدّمناه من دراسة عن **الشيخ** و شعره الإصلاحي واهتمامه بمواضيع مؤثّرة وفعّالة في أمتنا ،إلا أننا لم نوفيه حقّه وحق انجازاته العظيمة .
- ✓ إن المتلقي على اختلاف صورة ملابس لبنيته ومنفصل عنه في آن واحد، ومن ثم فهو ليس مجرد عنصر من عناصر التخاطب الأدبي فحسب، ولكنه فاعل في تشكيل النص وانجازه ومقوم من مقاومته الأدبية، وقد تبين لنا أن الملتقي متردد بين النص وخارجه، مما يجعل الظاهرة على قدر من التعقيد غير خافٍ، إذ يكون المتلقي في لحظة أولى جزءا من عملية الكتابة وعنصر في معادلة الإنتاج الأدبي، ويمثل ذلك الملتقي الضمني ولا يمكن التغاضي عنه ولا نهمش دوره ومهمته في انجاز النص، ولذلك لا يكتفي الملتقي في النص من جهة بنيته فحسب ، بل يحدد لقول برنامجه ويضبط له أهدافه.
- ✓ ذهب كل من ياوسو إيزر إلى انتقال البحث من العلاقة بين الكاتب ونصه إلى العلاقة بين القارئ والنص.
- ✓ معاني النص لا تظهر في نقطة انطلاقه ولا في ملامحه التشكيلية، ولكن في اتجاهه، أي في خصوصية التجربة التي يتعرض لها القارئ من خلال النص.
- ✓ تعتبر نظرية التلقي أحدث نظرية تعيد قراءة تاريخ الأدب من منظور جديد تهتم بالقارئ للنص المتفاعل معه فهما وتفسيرا وتأويلا.
- ✓ تركز نظرية التلقي على القارئ أثناء تفاعله مع النص الأدبي قصد تأويله وخلق معانيه المتخيلة.
- ✓ الفهم الحقيقي للأدب ينطلق من موقعة القارئ في المكان الحقيقي وإعادة الاعتبار له باعتباره هو المرسل إليه والمستقبل للنص ومستهلكه وهو بذلك القارئ الحقيقي له.
- ✓ لا يكتمل العمل الإبداعي إلا من خلال المشاركة التواصلية الفعالة من المؤلف والنص والجمهور والقارئ ويدل هذا على أن العمل الإبداعي يتكون من عنصرين أساسين: النص الذي قوامه المعنى وهو يشكل أيضا تجربة الكاتب الواقعية والخيالية، والقارئ الذي يتقبل آثار النص سواء أكانت ايجابية أم سلبية في تشكيل

استجابات شعورية ونفسية، وهذا ما يجعل النص الأدبي يرتكز على الملفوظ اللغوي (النص)، والتأثير الشعوري (القارئ) في شكل ردود تجاه حمولات النص .

- ✓ يراعى العمل الأدبي أفق انتظار القارئ عندما يستجيب لمعاييره الفنية والجمالية والأجناسية عبر عمليات المشابهة النصية والمعرفية والخلقية وقواعد الأجناس والأنواع الأدبية، وقد يخيب توقعه أو يفاجئ إذا واجه نصا حديثا جديدا لم ينسجم مع القواعد التي يتسلح بها مقاربته للنص الأدبي.

ولأن طبيعة النص المدروس في الفصل التطبيقي هو نص مكتوب وعلى اعتبار أن المسرح مرتبط ارتباطا وثيقا بالعرض فكيف يتعامل القارئ أو المتفرج مع النص المسرحي من خطاب مكتوب حبيس الأوراق والكتب إلى خطاب معروض تتحكم فيه عوامل عدة "المخرج، الديكور.." للوصول إلى قراءة نقدية جديدة تضيف شيئا إلى الدراسات النقدية المسرحية الجزائرية.

وفي الأخير نرجوا من الله عز وجل أن تلقى مؤلفات الشيخ العناية، وأن تحضى بالتفاتة من قبل الدارسين والباحثين كي لا تبقى أسير الإهمال.

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتمنى أن نكون قد وفقنا في الإلمام بجوانب موضوع بحثنا هذا ولو بالقدر اليسير. وإننا نسأل المولى العلي العظيم التوفيق والإفادة لنا وللجميع.

وصلى الله على سيدنا وحبيبنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.

الملاحق

ملحق لصور من كتاب: الأضداد

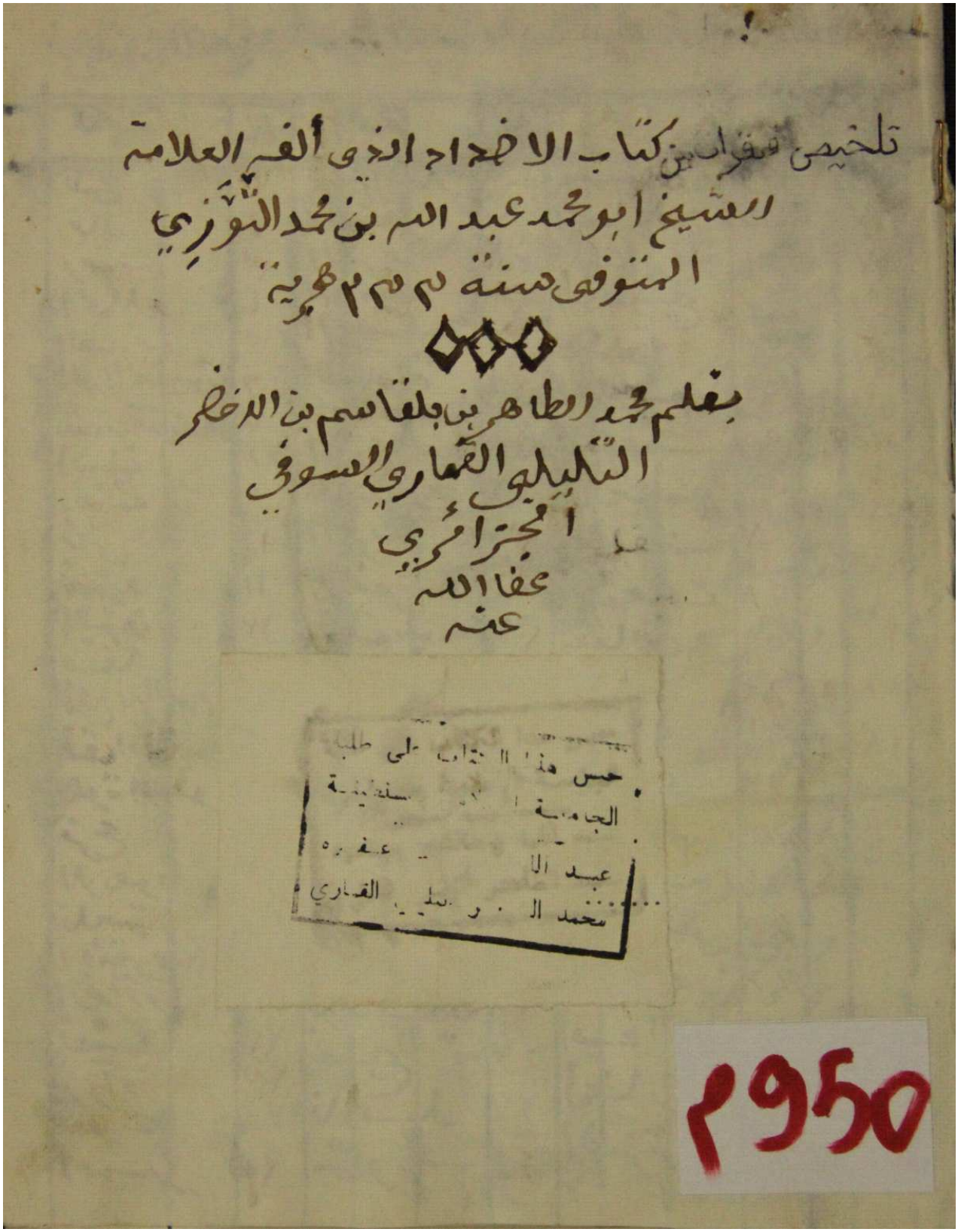

ذكر بعض من ألف في الأضداد اللغوية

	ذكر اسم المؤلف	وفاته
١	قطرب	٢٠٦ هـ
٢	الفراء	٢٠٧ هـ
٣	وأبو عبيدة	٢١٠ هـ
٤	الأصمعي	٢١٣ هـ
٥	ابن عيينة	٢٢٤ هـ
٦	النوشجاني	٢٣٣ هـ
٧	ابن السكيت	٢٤٤ هـ
٨	أبو حاتم السجستاني	٢٤٨ هـ
٩	محمد بن ذكوان معاصر المبرد	.....
١٠	ثعلب	٢٩١ هـ
١١	وابن الأنباري	٣٢٨ هـ
١٢	وابن درستويه	٣٤٧ هـ
١٣	أبو الطيب اللغوي	٣٥١ هـ
١٤	الأمدي	٣٧٠ هـ
١٥	أحمد بن فارس	٣٩٥ هـ
١٦	ابن الدهان	٥٦٩ هـ
١٧	أبو البركات الأنباري	٥٧٧ هـ
١٨	الرضي	٦٥٠ هـ
١٩	العتائقي	٧٩٠ هـ
٢٠	محمد بن أحمد المدني	٩٠٤ هـ
٢١	تقي الدين التميمي	١٠٠٥ هـ

	اسم المؤلف	وفاته
	عبد القادر المغربي	١٠٥٠ هـ
	الخفاجي الحنفي	١٠٦٩ هـ
	محمد التنكابني	١٣٠٢ هـ

المطبوع من الكتب المذكورة

١ كتاب قطرب
٢ كتاب الأصمعي
٣ كتاب ابن السكيت
٤ كتاب أبي حاتم
٥ كتاب ابن الأنباري
٦ كتاب أبي الطيب اللغوي
٧ كتاب ابن الدهان
٨ كتاب الصغاني

وبعد فإن رمت المزيد من الفوائد والدراسة فعليك بمجلة (المورد) العراقية المجلد الثامن العدد الثالث خريف ١٩٧٩م فإنها مجلة علمية مفيدة جدا وقد أسهبت في هذا العدد جل ما في هذا الكتاب (التليلي)

صور من كتاب : الخلاصة الفقهية

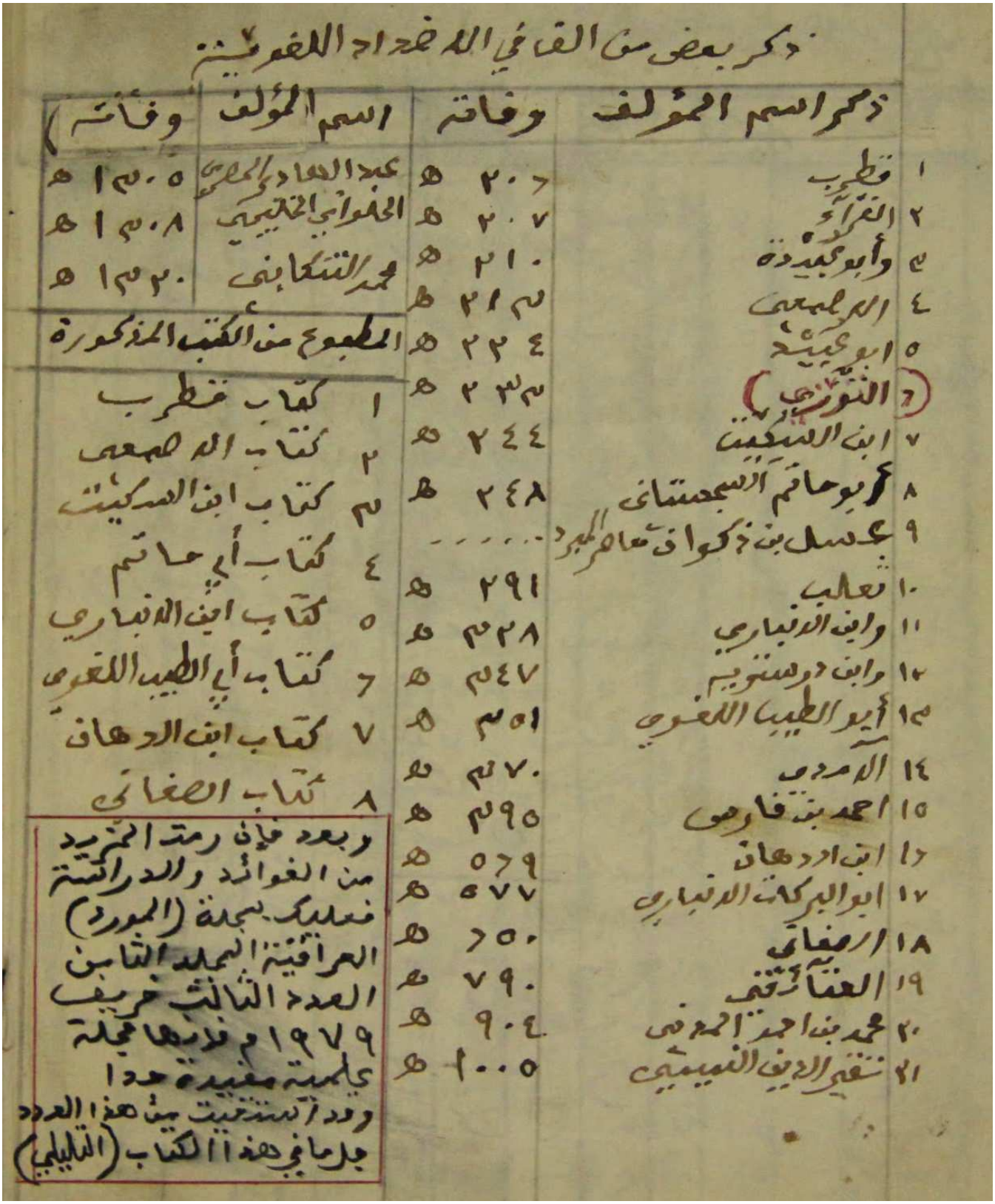

ذكر بعض من ألف في الأضداد اللغوية

	ذكر اسم المؤلف	وفاته
١	قطرب	٢٠٦ هـ
٢	الفراء	٢٠٧ هـ
٣	وأبو عبيدة	٢١٠ هـ
٤	الأصمعي	٢١٦ هـ
٥	ابن عيينة	٢٢٤ هـ
٦	النوشجاني	٢٣٣ هـ
٧	ابن السكيت	٢٤٤ هـ
٨	أبو حاتم السجستاني	٢٤٨ هـ
٩	محمد بن ذكوان معاصر المبرد	.....
١٠	ثعلب	٢٩١ هـ
١١	وابن الأنباري	٣٢٨ هـ
١٢	وابن درستويه	٣٤٧ هـ
١٣	أبو الطيب اللغوي	٣٥١ هـ
١٤	الأمدي	٣٧٠ هـ
١٥	أحمد بن فارس	٣٩٥ هـ
١٦	ابن الدهان	٥٦٩ هـ
١٧	أبو البركات الأنباري	٥٧٧ هـ
١٨	الصغاني	٦٥٠ هـ
١٩	العتائقي	٧٩٠ هـ
٢٠	محمد بن أحمد المدني	٩٠٤ هـ
٢١	تقي الدين التميمي	١٠٠٥ هـ

	اسم المؤلف	وفاته
	عبد القادر المغربي	١٣٥٠ هـ
	الخفواني الحنيفي	١٣٠٨ هـ
	محمد التنكابني	١٣٢٠ هـ

المطبوع من الكتب المذكورة

١	كتاب قطرب
٢	كتاب الأضداد الأصمعي
٣	كتاب ابن السكيت
٤	كتاب أبي حاتم
٥	كتاب ابن الأنباري
٦	كتاب أبي الطيب اللغوي
٧	كتاب ابن الدهان
٨	كتاب الصغاني

وبعد فإن رمت المزيد من الفوائد والدراسة فعليك بمجلة (المورد) العراقية المجلد الثامن العدد الثالث خريف ١٩٧٩م فإنها مجلة علمية مفيدة جدا وقد استفدت من هذا العدد جل ما في هذا الكتاب (التليلي)

صور من كتاب : الدرة المعارة لقراء الاستعارة

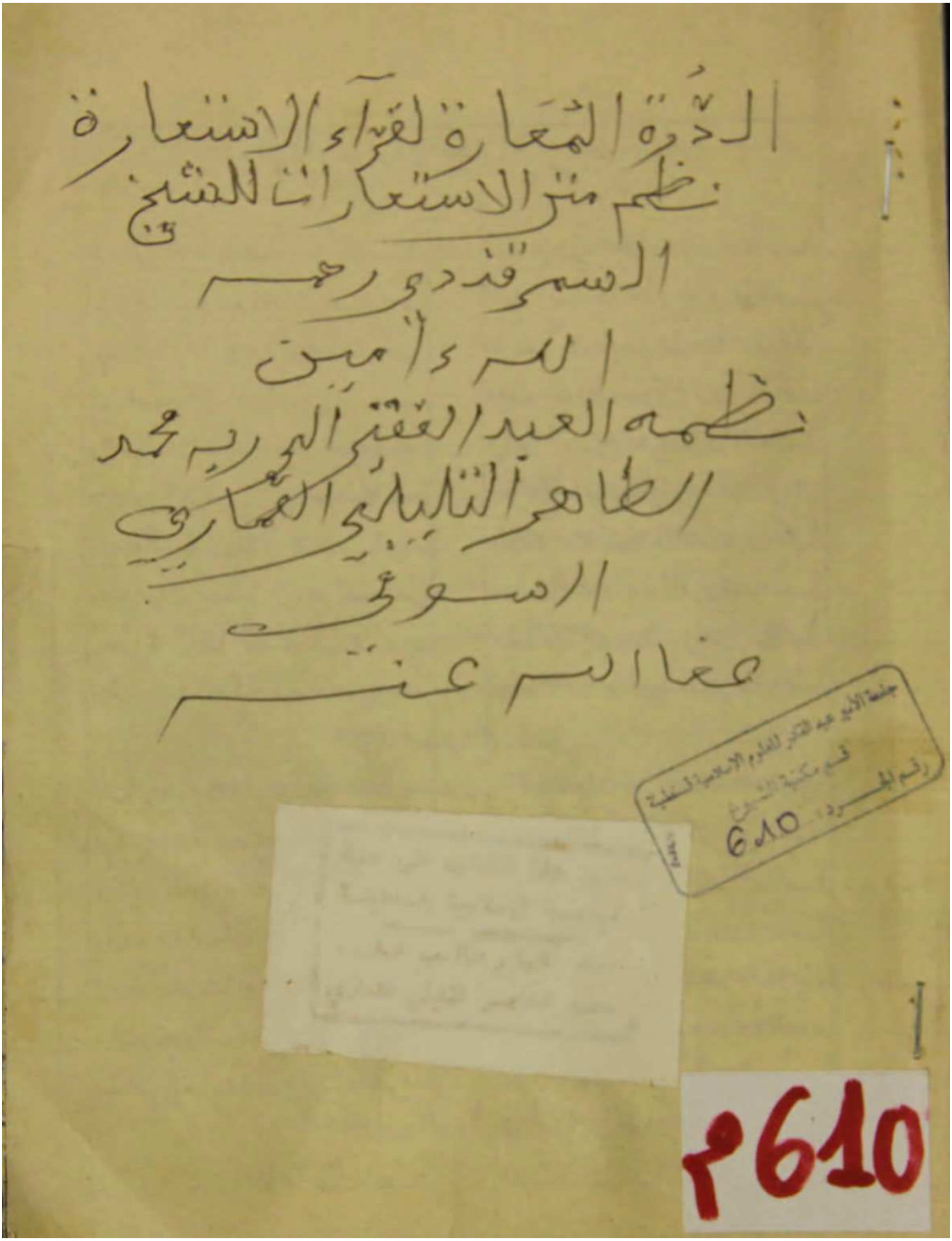

صور من كتاب : العامية

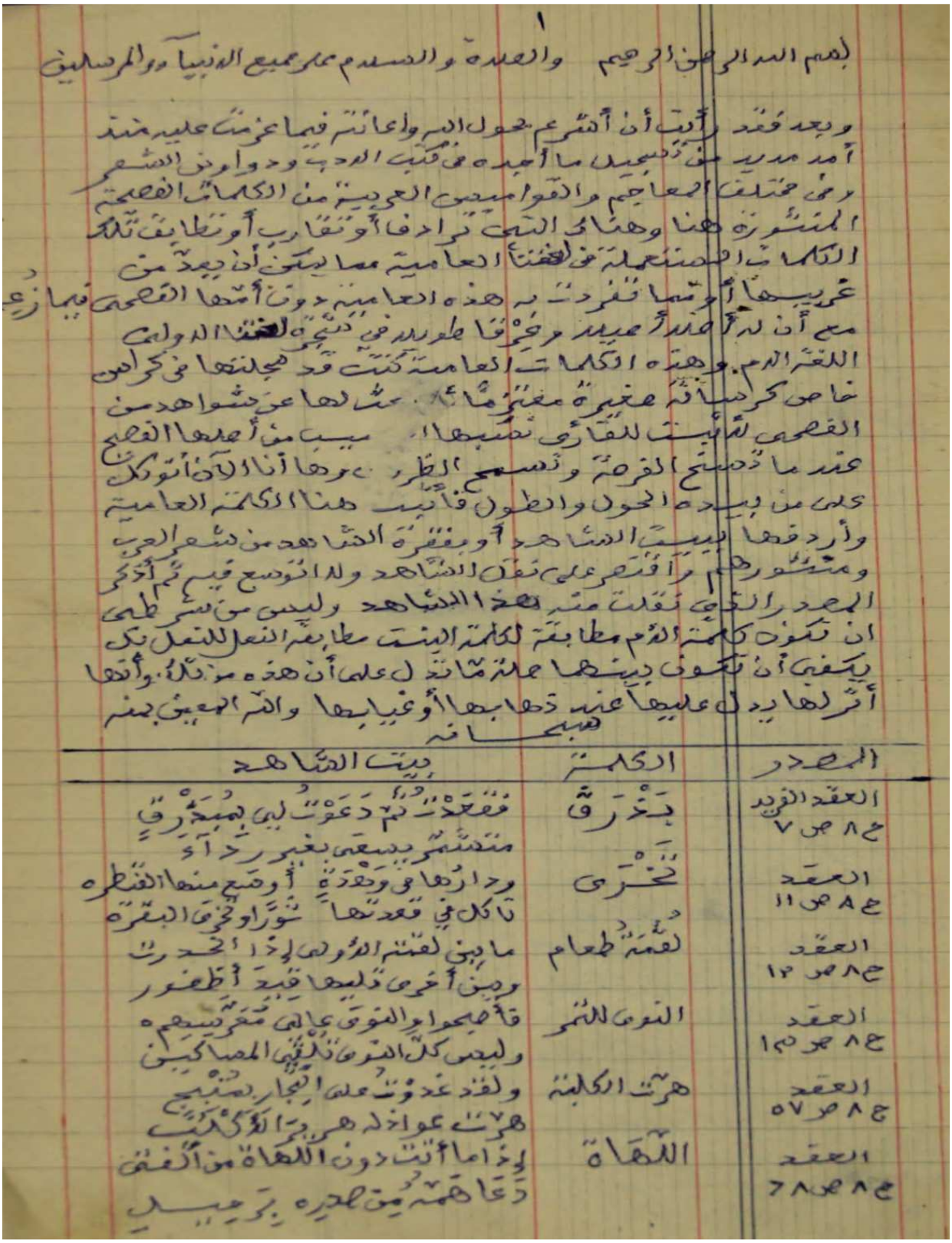

١

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين

وبعد فقد رأيت أن أتشرع بحول الله وإعانته فيما عزمت عليه منذ أمد مديد من تسجيل ما أجده في كتب الأدب ودواوين الشعر من مختلف المعاجم والقواميس العربية من الكلمات الفصيحة المنشورة هنا وهناك التي ترادف أو تقارب أو تطابق تلك الكلمات المستعملة في لغتنا العامية مما يمكن أن يعد من غريبها أو مما انفردت به هذه العامية دون أمها الفصحى فيما زعم مع أن لا أحد أحيد ولا فحل طويل في نجوة من اللغة الأولى اللغة الأم. وهذه الكلمات العامية كنت قد هجلتها في كراس خاص كراسة صغيرة مغبرة ما. مثلها عن مشاهد من الفصحى لتأتيت للقارئ ضبطها. سيما من أهلها الفصيح عند ما تذبح الفرصة وتسمح الظروف وها أنا الآن أتوكل على من بيده الحول والطول فأثبت هنا الكلمة العامية وأردفها بأبيات الشاهد أو بفقرة الشاهد من شعر العرب ومنثورهم مراقتصر على نقل الشاهد ولا أتوسع فيه ثم أذكر المصدر الذي نقلت منه هذا الشاهد وليس من شرطي أن تكون كلمة الأم مطابقة لكلمة البنت مطابقة النعل للنعل بل يكفي أن تكون بينهما علاقة ما تدل على أن هذه من تلك، وأنها أثر لها يدل عليها عند ذهابها أو غيابها والله المعين بمنه وكرمه

الكلمة	بيت الشاهد	المصدر
بَذَرَق	فقعدت ثم دعوت لي بمبذرق متشمر يسقي بغير رداء	العقد الفريد ج ٨ ص ٧
نَخْرَى	وداراها في وهدة أوضح منها القنطره تاكل في قعدتها ثورا وتخرى البقره	العقد ج ٨ ص ١١
لُقْمَة طعام	ما بين لقمة الأولى إذا احدرت وبين أخرى عليها قيد أظفور	العقد ج ٨ ص ١٢
النوى للتمر	فأصبحوا النوى عالي معرسهم وليس كل النوى تلقى المصاكين	العقد ج ٨ ص ١٣
هرت الكلبة	ولقد غدوت على البجار بمنبج هرت عواذله هرير الأكلب	العقد ج ٨ ص ٥٧
اللهاة	إذا ما أتت دون اللهاة من الفتق دعاهمة من حذره بهديل	العقد ج ٨ ص ٧٨

صور من كتاب : الوصول

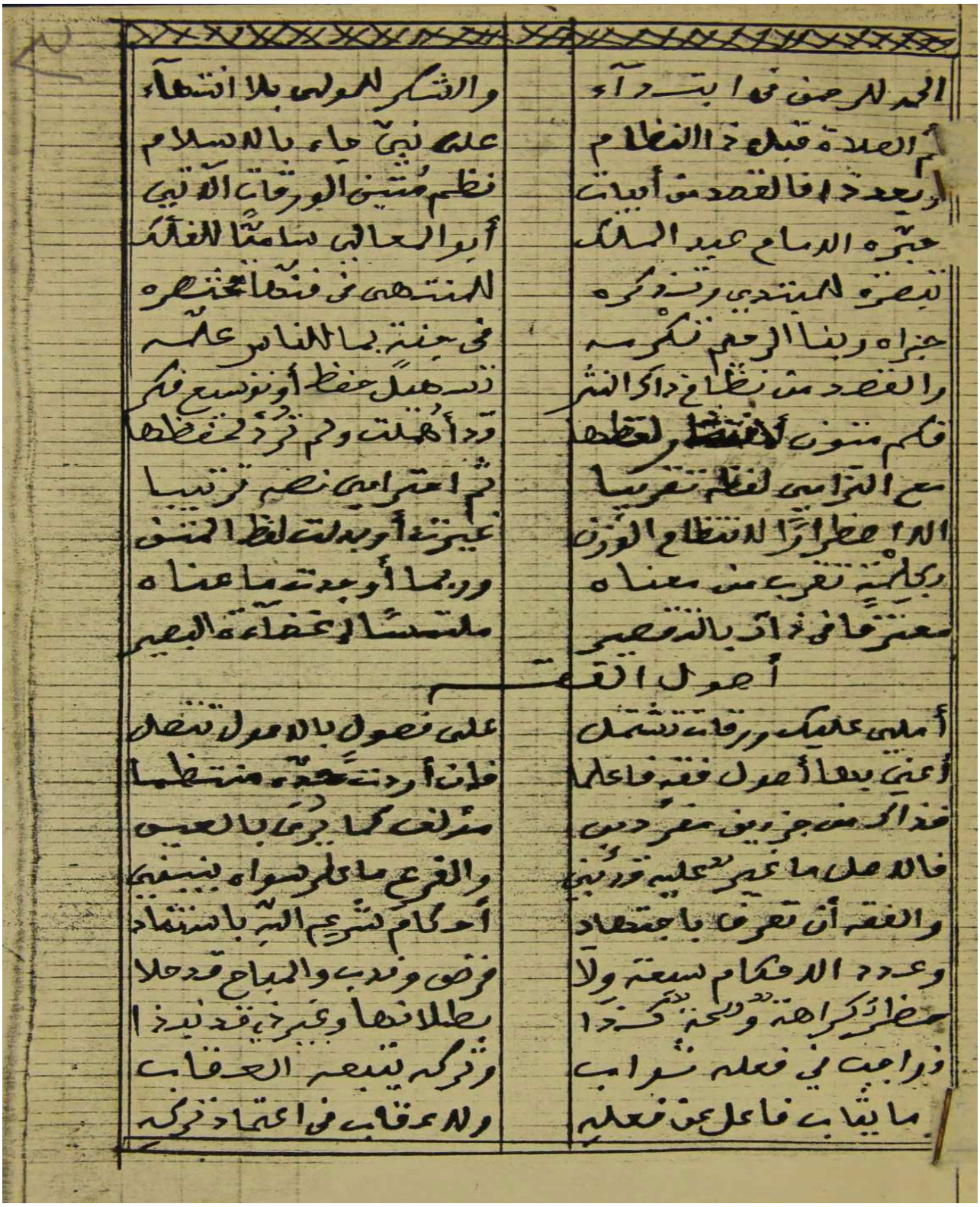

الحمد لله على ابتداء ... والشكر للمولى بلا انتهاء
والصلاة قبل ذا النظام ... على نبيّ جاء بالإسلام
وبعد فالقصد من أبيات ... نظم متين الورقات الآتي
حبّره الإمام عبد الملك ... أبو المعالي سالمًا للفلك
لينتفع المبتدي وتذكره ... للمنتهي في فنّها تختبره
جزاه ربنا الرحيم تكرمه ... في جنة بما الناظر علمه
والقصد من نظامي ذا كالنثر ... تسهيل حفظ أو توسيع فكر
فكم متون أهملت ولم تزل ... قد أهملت ولم تزل تحفظها
مع التزامي لنظم تقريبا ... ثم اعتراضي نصه ترتيبا
الا اضطرارًا لانتظام الوزن ... غيرته أو بدلت لفظ المتن
بكلمة تقرب من معناه ... وربما أوجدت ما عناه
معترفًا في ذا بالتقصير ... ملتمسًا إغضاء ذي البصير

أصول الفقه

أملي عليك ورقات تشتمل ... على فصول بالأصول تتصل
أعني بها أصول فقه فاعلما ... فإن أردت حدّه منتظما
فذاك من جزيئي مفردين ... مؤلف كما يرى بالعين
فالأصل ما غير عليه قد بني ... والفرع ما على سواه ينبني
والفقه أن تعرفا باجتهاد ... أحكام شرع الله باستناد
وعدد الأحكام تسعة ولا ... فرض وندب والمباح قد حلا
محظور أكراهة وصحة كذا ... بطلانها وغيرها قد نبذا
واجب في فعله ثواب ... وتركه يتبعه العقاب
ما يثاب فاعل عن فعله ... ولا عقاب في اعتماد تركه

صور من كتاب : تجريد

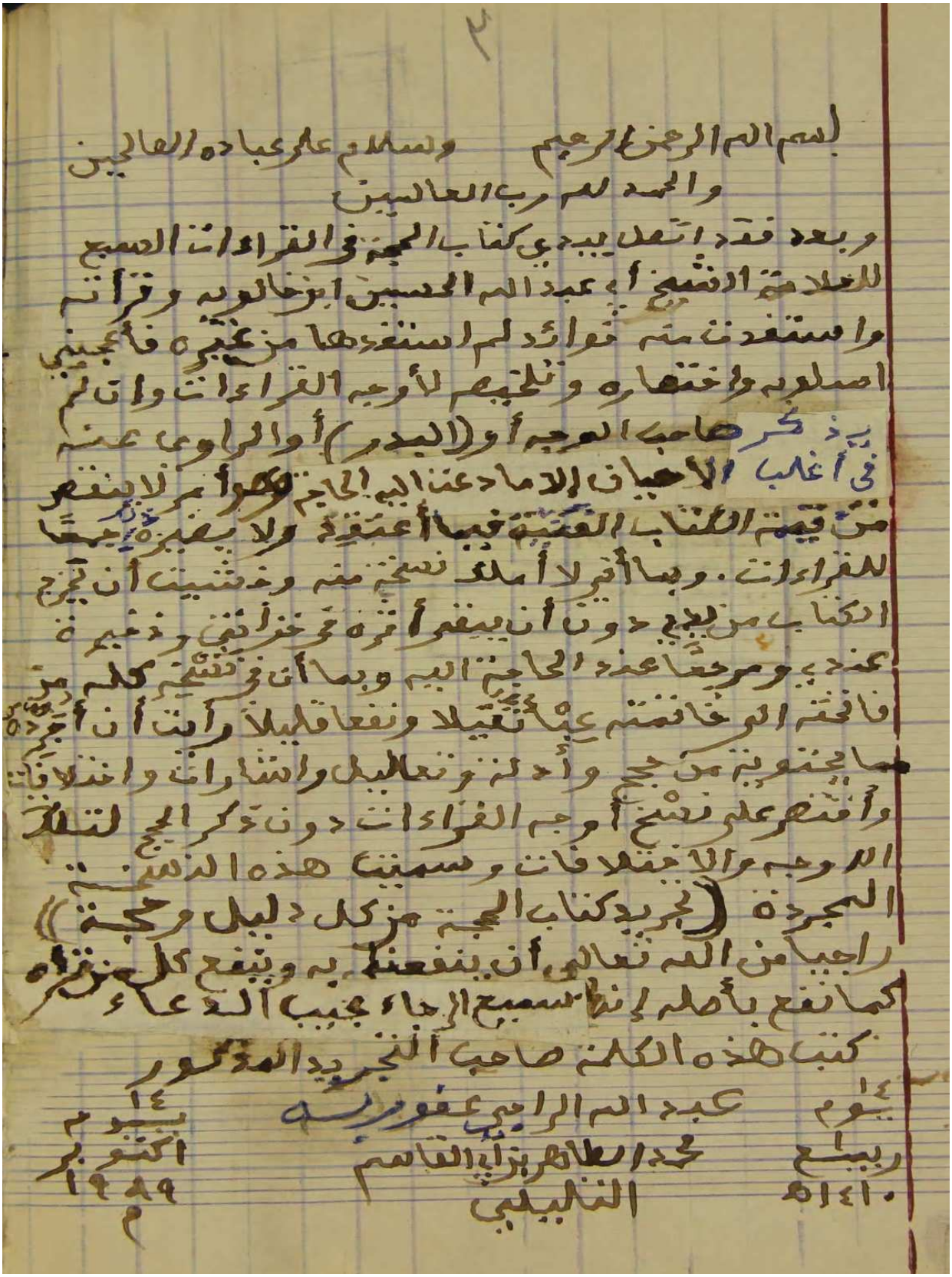

بسم الله الرحمن الرحيم والسلام على عباده الصالحين
والحمد لله رب العالمين
وبعد فقد اتصل بيدي كتاب الحجة في القراءات السبع
للعلامة الشيخ أبي عبد الله الحسين بن خالويه وقرأته
واستفدت منه فوائد لم استفدها من غيره فأعجبني
أصله واختصاره وتلخيصه لأوجه القراءات وإن لم
يذكر صاحب الوجه أو (البدر) أو الراوي عنه
في أغلب الأحيان إلا ما دعت إليه الحاجة وهو أمر لا ينقص
من قيمة الكتاب العلمية فيما أعتقد ولا يضيره أحيانا
للقراءات. وبما أني لا أملك نسخة منه وخشيت أن يخرج
الكتاب من يدي دون أن يقرأه أو منه وخزائني وغيرها
عندي ومرجعا عند الحاجة إليه وبما أن في تنسيخه كلفة من
فاتحته الوقت عليّ ثقيلا ونفعا قليلا رأيت أن أجرده
مما احتوى به من حجج وأدلة وتعاليل واشارات واختلافات
وأقتصر على نسخ أوجه القراءات دون ذكر الحجج لتلك
الأوجه والاختلافات وسميت هذه النسخة
(المجرد من كتاب الحجة من كل دليل وحجة)
راجيا من الله تعالى أن ينفعنا به وينفع كل من قرأه
كما نفع بأصله إنه سميع الدعاء مجيب الدعاء
كتبه هذه الكلمة صاحب التجريد المذكور

١٤ يوم الثلاثاء
ربيع الثاني
١٤١٠ هـ

عبد الله الرابي عفا الله عنه
محمد الطاهر بن أبي القاسم
التليلي

١٤ يوم السبت
أكتوبر
١٩٨٩ م

صورة من كتاب: كتاب الحجة من كل دليل وحجة

صور من كتاب : مقامات الحريري

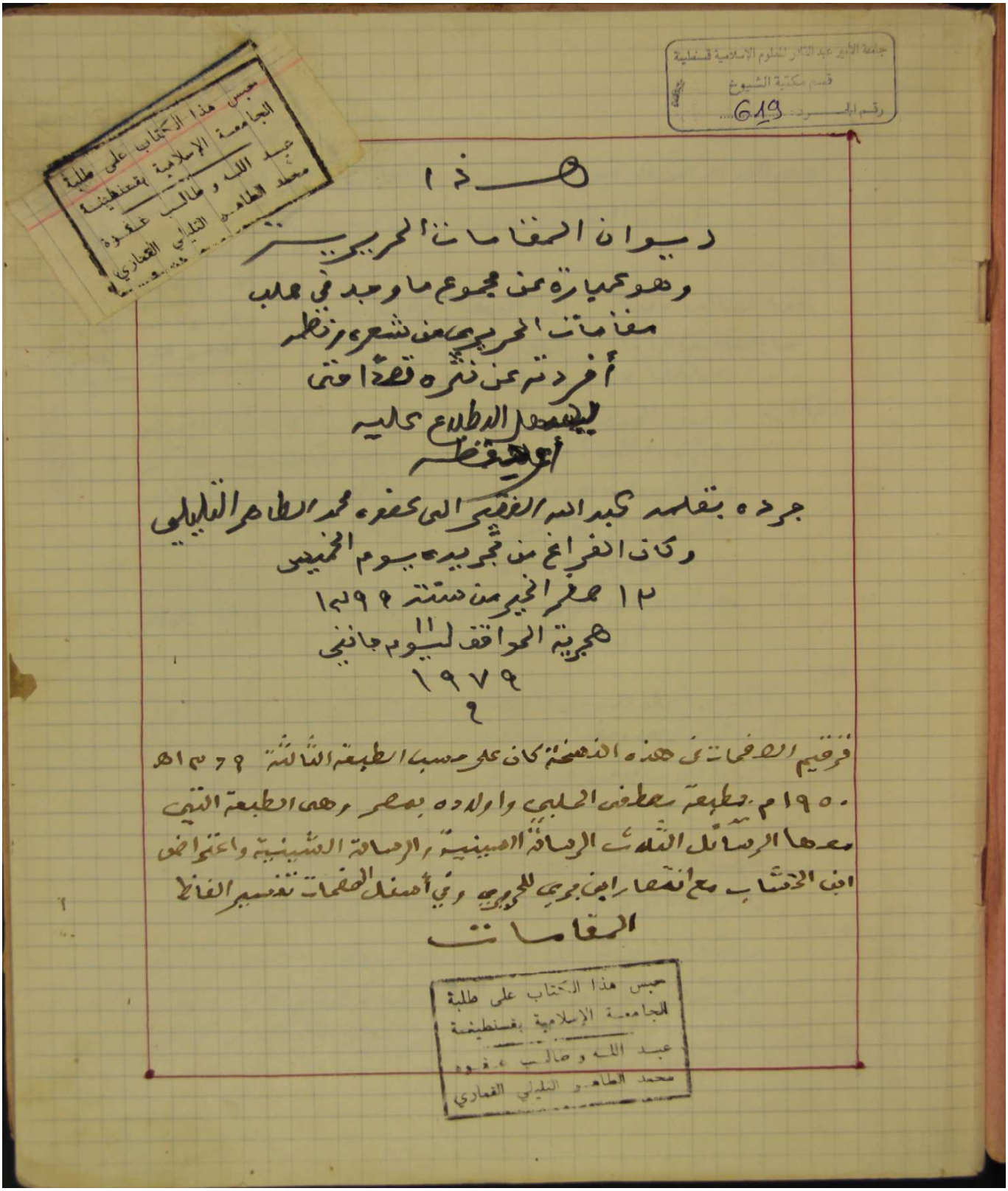

صور من كتاب : الدنفاسي

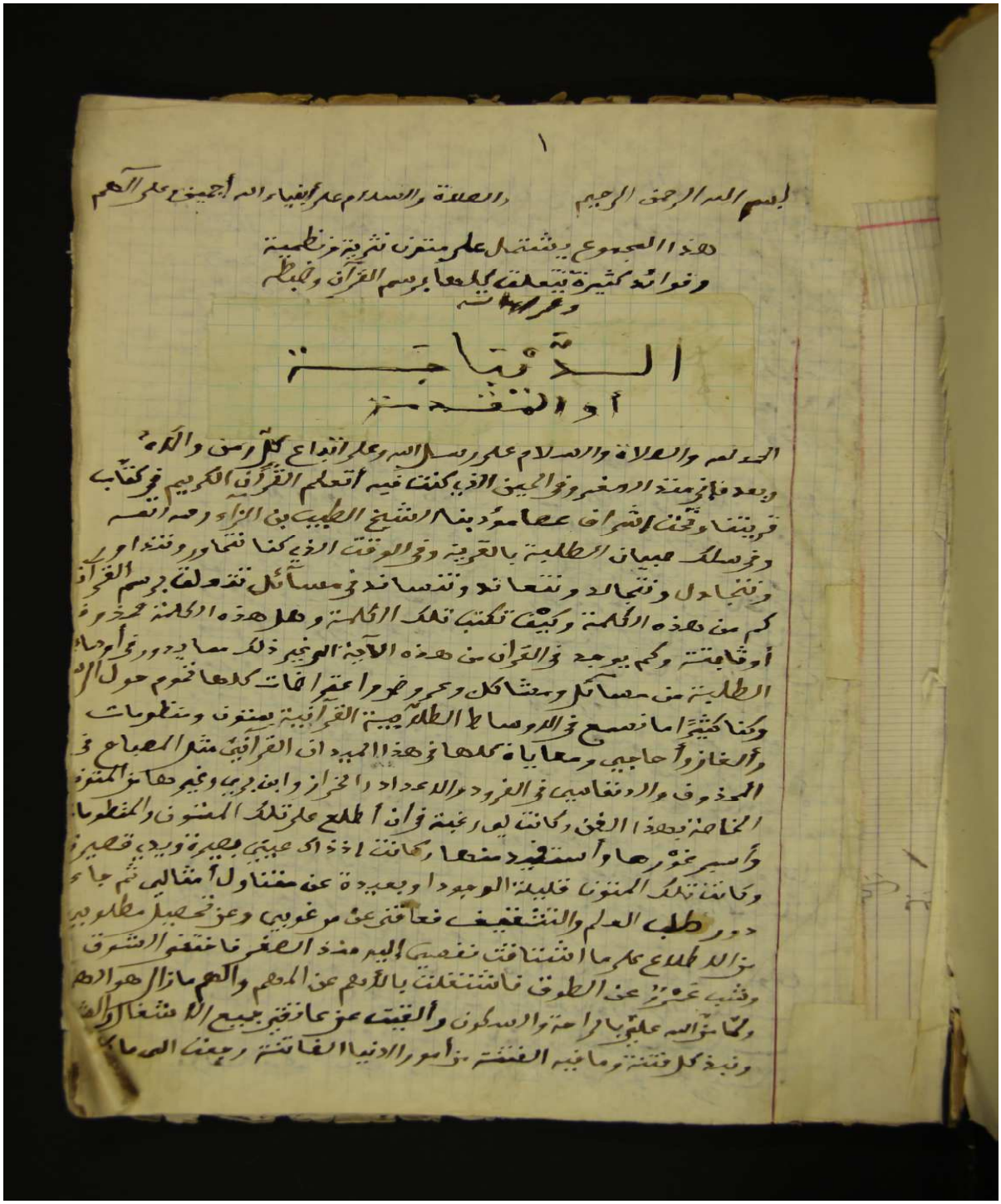

١

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أنبياء الله أجمعين وعلى آلهم

هذا المجموع يشتمل على متون نثرية ونظمية
وفوائد كثيرة يتعلق كلها برسم القرآن والخط
وغير ذلك

التتمة
أو المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى أتباعه كل زمن والكاه
وبعد فإني منذ الصغر وفي الحين الذي كنت فيه أتعلم القرآن الكريم في كتاب
قريتنا وقفت على أشياء عديدة مما رسمه الشيخ الطيبي بن الزاوي رحمه الله
وفي سلك جميعان الطلبة بالقرية وفي الوقت الذي كنا نتمارى ونتناوب
ونتجادل ونتجالد ونتعاند ونتساند في مسائل تتعلق برسم القرآن
كم من هذه الكلمة وكيف تكتب تلك الكلمة وهل هذه الكلمة محذوفة
أو ثابتة وكم يوجد في القرآن من هذه الآية الفلانية ذلك ما يدور في أوساط
الطلبة من مسائل ومشاكل وحيرة وخيرة اعترافات كلها تقوم حول الرسم
وكنا كثيرا ما نسمع في الدروس الطلابية القرآنية متون ومنظومات
وألغاز وأحاجي ومعاياة كلها في هذا الميدان القرآني مثل المصباح في
المذهب والدنقاعي في الفرد والاعداد والخراز وابن برري وغيرها من المتون
الخاصة بهذا الفن وكانت لي رغبة في أن أطلع على تلك المتون والمنظومات
وأسبر غورها وأستفيد منها وكانت إذ ذاك عيني بصيرة ويدي قصيرة
وكانت تلك المتون قليلة الوجود وبعيدة عن متناول أمثالي ثم جاء
دور طلب العلم والتشقيف فعاقني عن مرغوبي وعن تحصيل مطلوبي
من الاطلاع على ما اشتاقت نفسي إليه منذ الصغر فاغتنم الفرص
وشب عن الطوق فاشتغلت بالأهم عن المهم والكم ما زال هو الدهم
ولما من الله علي بالراحة والسكون وألقيت عني عوائق جميع الاشتغال
ونبذ كل فتنة وما فيه الفتنة من أمور الدنيا الفانية رجعت الى ما

صور من كتاب : النماذج الهامة للأمثلة المطابقة العامة

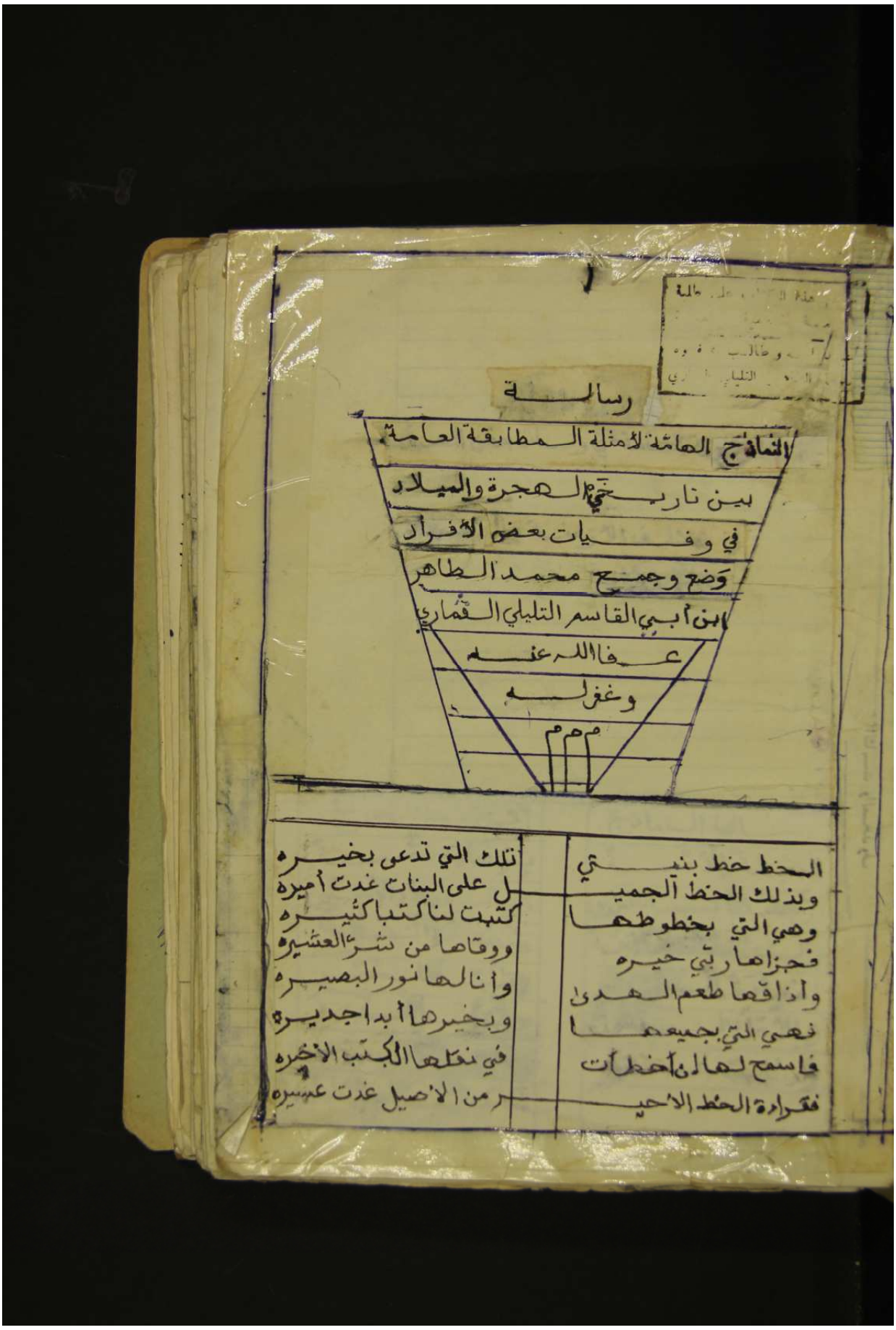
رسالة

النماذج الهامة لأمثلة المطابقة العامة

بين تاريخي الهجرة والميلاد

في وفيات بعض الأفراد

وضع وجمع محمد الطاهر

ابن أبي القاسم التليلي القمّاري

عفا الله عنه

وغفر له

م م م

الخط خط بنيتي ... تلك التي تدعى بخيره
وبذلك الخط الجميل ... دل على البنات غدت أميره
وهي التي بخطوطها ... كتبت لنا كتبا كثيره
فجزاها ربي خيره ... ووقاها من شر العشيره
وأذاقها طعم الهدى ... وأنالها نور البصيره
فهي التي بجميعها ... وبخيرها أبدا جديره
فاسمح لها إن أخطأت ... في نقلها الكتب الأخيره
فقراءة الخط الأخير ... ر من الأصيل غدت عسيره

صورة من كتاب: توجيهات تربوية

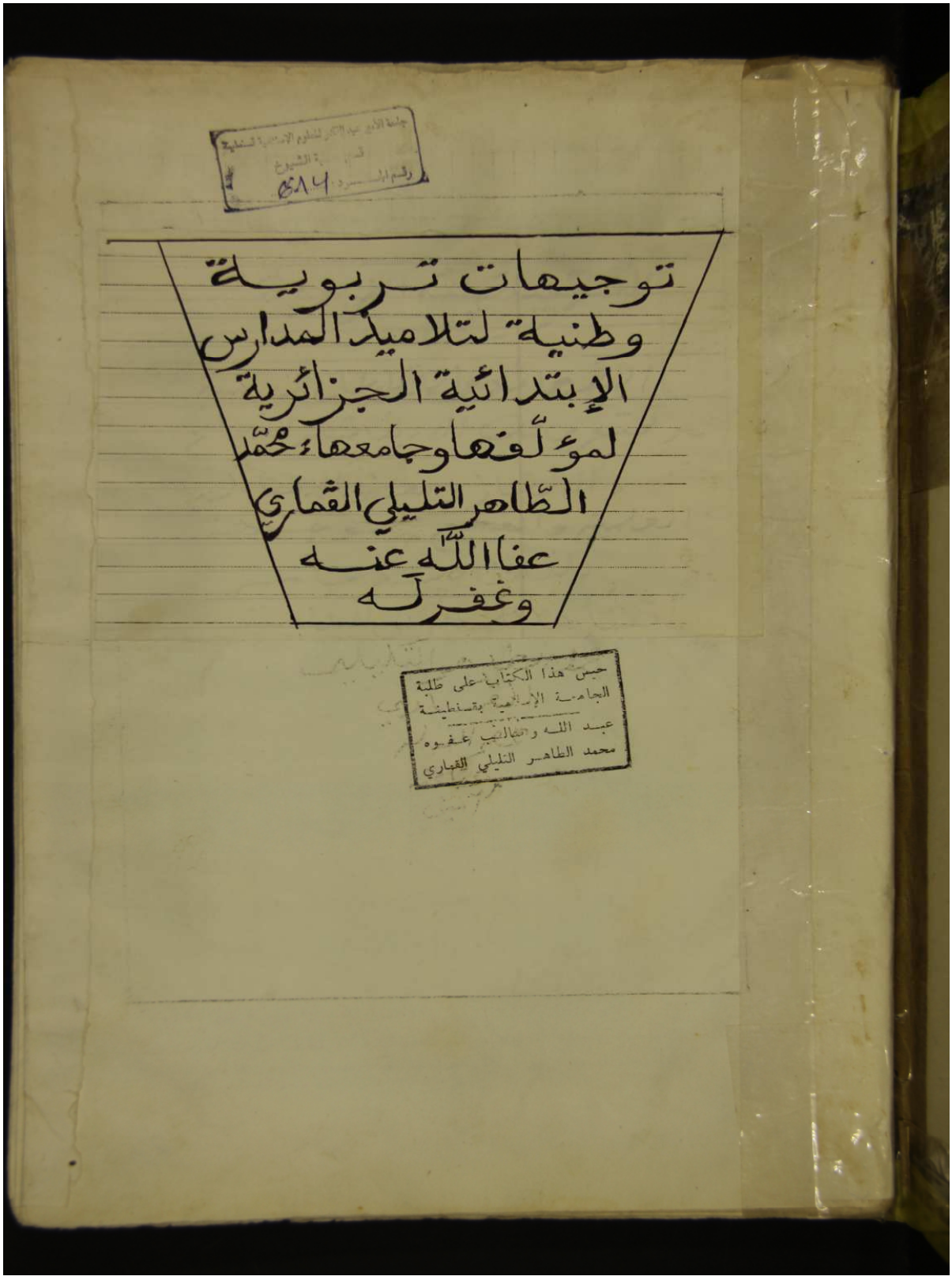
توجيهات تربوية
وطنية لتلاميذ المدارس
الإبتدائية الجزائرية
لمؤلفها وجامعها محمد
الطاهر التليلي القماري
عفا الله عنه
وغفر له

حبس هذا الكتاب على طلبة
الجامعة الإسلامية بقسنطينة
عبد الله وطالب عفوه
محمد الطاهر التليلي القماري

صورة من كتاب: مجموع مسائل تاريخية

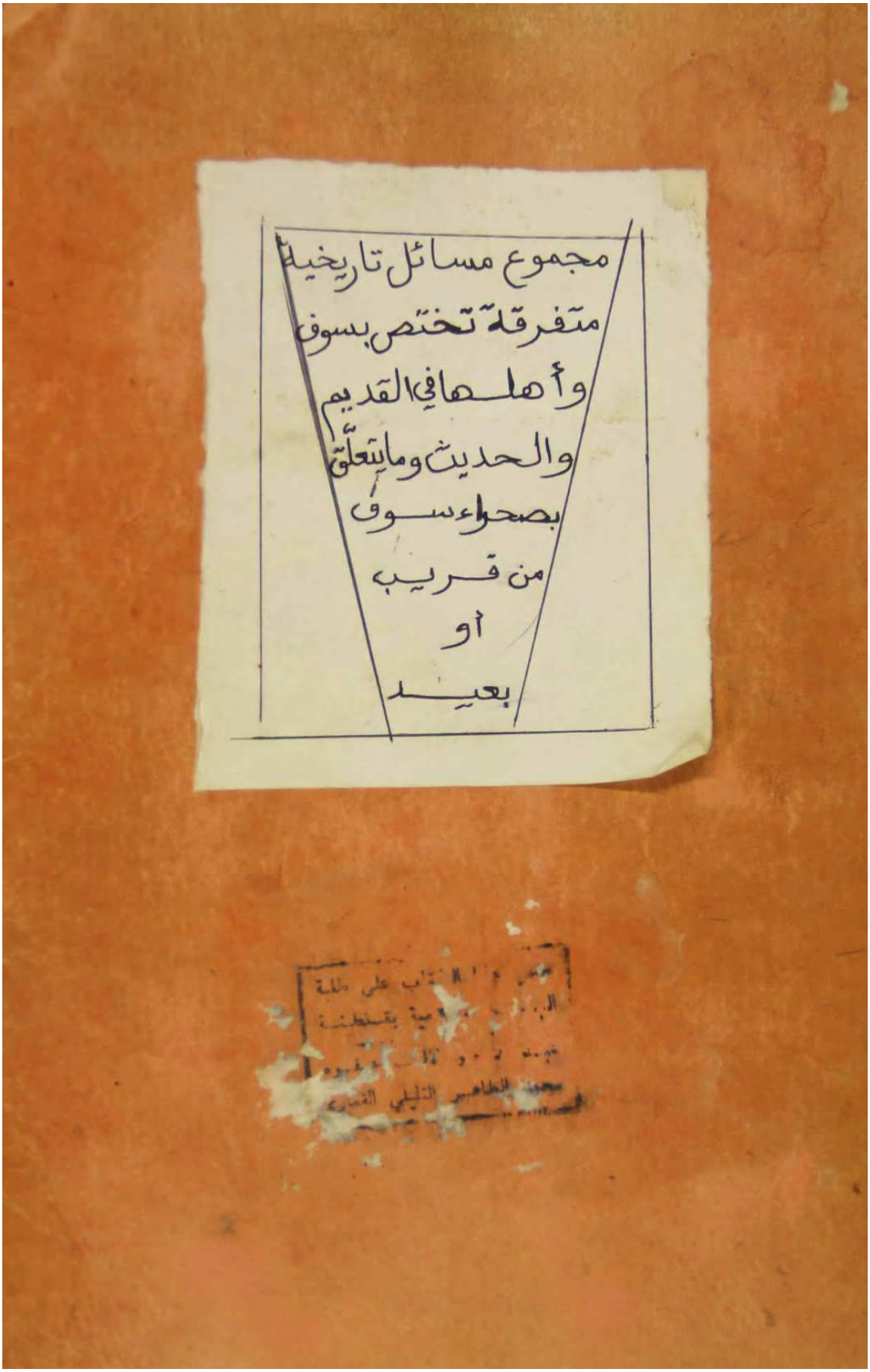

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبينا الكريم

هذه رسالة قاصرة عن حياة الشيخ خليفة بن حسن بن عامر بن ناصر الفارسي

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا وجعل في كل عصر من آياته مرآة تتجلى فيها عوارفه للعارفين ظهورا والصلاة والسلام على من قال (العلماء ورثة الأنبياء) الكرام وعلى آله سادة الدنيا ومطابيح الظلام وعلى أصحابه المبلغين تحت أمانة الدين والثاقبين عنه حيث العصاة وحدث المنافقين

وبعد فانه لما رأيت أن أجمع ما عثرت عليه من أخبار الشيخ خليفة بن حسن الدهماني القاري (القماري) وما سمعته عن حياته وما يتصل بتاريخه من أقوال وذكريات وما وجدته في مخلفات الأوراق في محكمات بعض الرقاق مما له صلة بحياة الشيخ غير مطمح في أعلى الإحتمالات ما انتقله من الحكايات التي قد لا تنال الى درجة الحسن من الحديث فكيف بالصحيح منه لأني ناقل والنقل أمانة والأمانة مؤداة ولقد قال عليه السلام رحم الله امرأ سمع مقالتي فوعاها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع

وقد سميت هذه اللفظات المحصنة (بالخاف القاري لحياة خليفة بن حسن الدهماري) والله عز بي فيما اليه قصدت واعتمادي في كل ما أردت

نسبه هو الشيخ خليفة بن حسن بن مبارك بن سعد بن محمد بن مبارك ابن محمد بن سعد الدين أبن سيدي الحاج أبي حفص بن محمد القادر بن محمد وهو المعروف بسيدي الشيخ جد القبيلة المعروفة بأولاد سيدي الشيخ ابن ... الذين البكري الثانية من جنوب وهران بلدة الهيشة حيث دفن جدها سيدي الشيخ وبقي منها شيء في تلك القرية

ولقد نزل بها الأمير عبد القادر رحمه الله فخربها رفقا بأهلها وشفقة عليهم وقد كانت ذات شوكة معروفة جد الفرنسيين داهمة ما يقرب من ٢٠ سنة

يذكر الشيخ خليفة أن أهله يتصل بأبي بكر الصديق رضي الله عنه من طريق سيدي الشيخ الذي ادعى أنه من ذرية أبي بكر الصديق وسميت بلدة الأبيض (الهيشة) باسم ضريح سيدي الشيخ وقد هدمه الفرنسيون أثناء ثورة أولاد سيدي الشيخ سنة ١٢٩٨هـ ثم جددوا بناءه استمالة لتعطف تلك القبيلة التي الحمت فحاربوا عونا للتفرد الذي نفض يده مما وراءها من قبائل المغرب الأقصى ولقد مات سيدي الشيخ هذا أثناء الفتق الحاصل بعشي الشرقي

وهناك قطعة من نسب الشيخ خليفة مذكور فيها العائلة والعشيرة تتشعب وتنمو هكذا هو خليفة بن حسن بن مبارك بن محمد بن أبي العافية القماري منشأ ودارا - وبعض الناس يذهبون الى أن قائد هذه النقطة القصية من عهد التعريب ويذهبون الشيخ القائد العافية الرشحصري عمارا والذي ينسب اليه (عمر بن أولاد بوعافية) في عمار ويعضهم يقول ان الشيخ من نسل موسى بن أبي العافية صاحب المرتفة القائم على ذوله العبيد بني بالعم الموسى سنة ٩٢٠هـ وبعض القائلين يذكرون أن الشيخ خليفة من أولاد بوعافية بالمغرب وهي قبيلة هناك معروفة بهذا الاسم وآخرون يلحقون نسب الشيخ بأولاد بوعافية الموجودين بتلمسان أهراس. والحق أن أهل بلدنا لا نعرف لا نثق بتلك أقوالهم في هذا الصدد لما فيها من الجهل وعدم التثبت ومثل هذه الأمور والذي تطمئن اليه النفس الآن في نسب الشيخ فهو العمود الأول والله أعلم بالحقائق

ولادته ولد الشيخ خليفة سنة ١١٢٤ الهجرية بعمار وتربى في بيئة

نسبه

ولادته

صور من كتاب : :زهرات لغوية

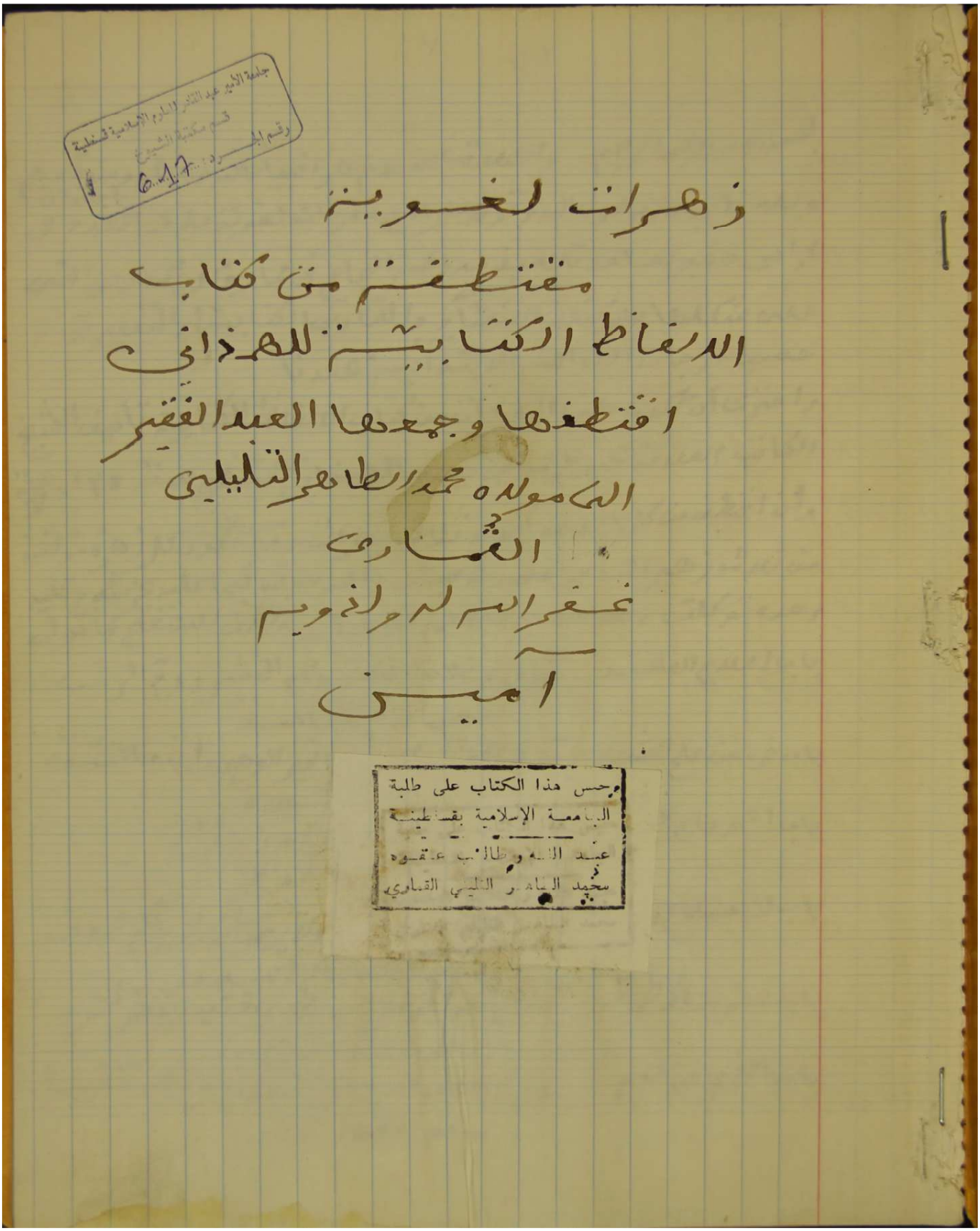

صور من كتاب : الدرر الملكية

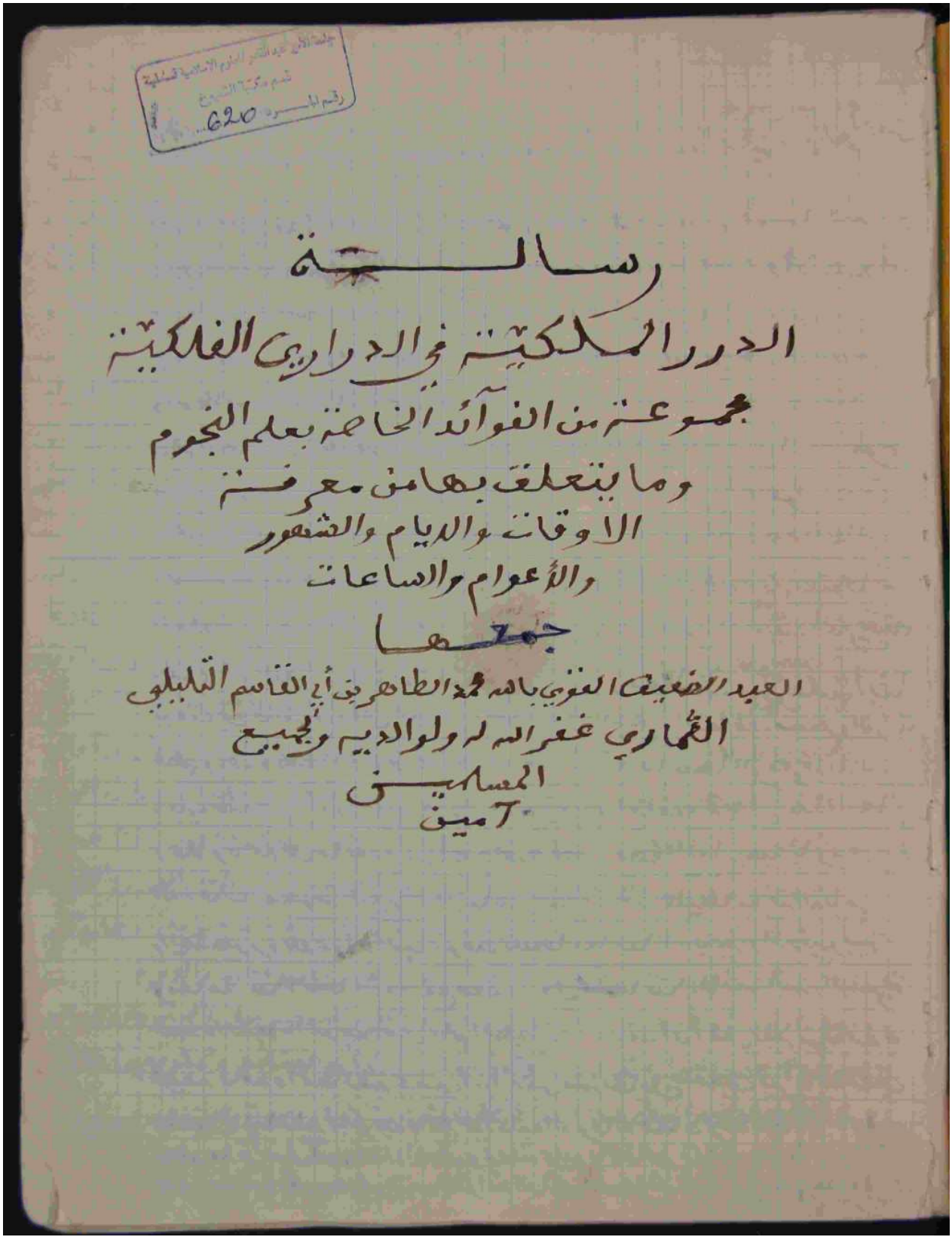

رسالة

الدرر الملكية في الدرارى الفلكية

مجموعة من الفوائد الخاصة بعلم النجوم

وما يتعلق بها من معرفة

الأوقات والأيام والشهور

والأعوام والساعات

جمعها

العبد الضعيف الفقير إلى الله محمد الطاهر بن أبي القاسم التليلي

القماري غفر الله له ولوالديه ولجميع

المسلمين

آمين

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أنبياء الله والمرسلين وعلى آلهم أجمعين

تقديم

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا وأشهد أن لا إله إلا الله الذي بيده ملكوت كل شيء وأشهد أن محمدا رسول الله أفضل رسول وخير نبي صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه من كل ولي وتقي

وبعد فإن الله الذي يحب الاطلاع والمطالعة وأكد شأن البحث والتحري وأوجد التنقيب عليه ولما كان علم الهيئة من العلوم التي لم أجد وسيلا إلى جامع المعمور وجامع الى بيوته بنفوس ولم تسبق لي فيه سابقة إذ ذاك كان من العلوم المجهولة لدي والمحبوبة لحدي لما فيها من الأهداف السامية التي تأخذ بيد الطالب الى تعلم الى توحيد الله ومعرفته بمعرفة ملكوته والاطلاع على مصنوعاته العلوية في هذا الكون العجيب فتزيده إيمانا فوق إيمانه ويقينا على يقينه

ولما في علم الهيئة هذا من لذة فكرية ونشوة عقلية وسمو علمي أيقنا بيقين في طالبه حب الخير للناس والشفقة عليهم والتعاطف معهم والتواضع لهم وهذه كلها أخلاق علوية سامية تدفع حاملها الى معرفة نفسه وبني جنسه وأنهم لا يساوون ذرة في ميزان الخلق والابداع لهذا العالم وعلاوة على كل ما تقدم من أهداف عرفانية فهذا العلم يفيدنا في معرفة الأوقات ومعرفة التقويمات الزمانية التي تتوقف عليها معرفة الأيام والشهور والأعوام التي تتوقف عليها مصالحنا الدينية والدنيوية ومعاملاتنا المعاشية مع بعضنا وفي مجتمعاتنا الانفصالية والبشرية

لهذه الصفات المرجوة في علم الهيئة أحببت أن أطل عليه من نافذة ضيقة نافذة المطالعة عسى أن أحظى منه بطائل ينتفعني غير أن حافظتي مفقودة تماما وذاكرتي فاقتني في أغلب الأوقات فكان لزاما علي أن أسجل بعض ما قرأته في كتب هذا العلم وتحملت عليه بالطالعة فكانت هذه الرسالة التي بين يديك وهي مجموعة من القراءة الفلكية تصقل لك طريق المراجعة عند المطالعة والله ولي التوفيق

صورة لمرثية الشيخ بخط يد أحمد الطيب معاش

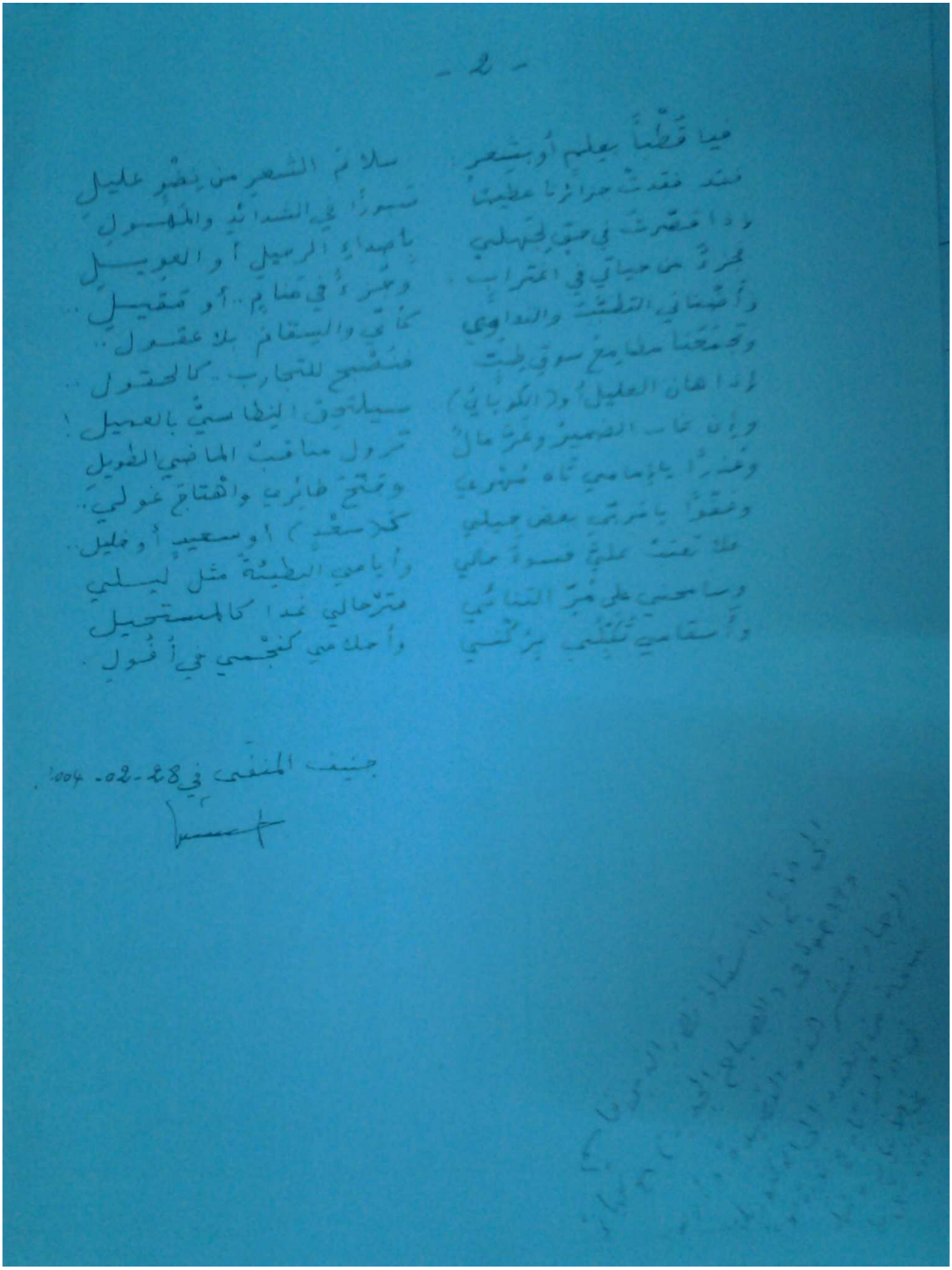

- 2 -

فيا قطنا بعلم أو بشعر ... سلام الشعر من بعض عليل
فقد فقدت جزائرنا عظيما ... شعورا في الشدائد والمهول
وإذا افتقرت في حق لجهلي ... بإبداء الرسيل أو البويل
لجزء من حياتي في اغتراب ... وجزء في مغانم أو تقيل
وأضناني التلفت والتداوي ... كأني والسقام بلا عقول
وجمعنا مطامع سوق بيت ... فنشبح للتجارب كالحقول
إذا هان العليل أو (الكوباي) ... سيلتحق النهاسي بالعميل
وإن تاب الضمير وعز مال ... ترول مناقب الماضي الطويل
وعذرا يا إمامي تاه شعري ... وتنتح طائري واهتاج غولي
وعفوا يا شريحة بعض جهلي ... كذا سعد) أو سعيد أو خليل
فلا تقسو علي قسوة حالي ... وأيامي البطيئة مثل ليلي
وسامحني على مر التنائي ... مترحالي غدا كالمستحيل
وأسقامي تكلمني بزلتي ... وأحلامي كنجمي في أفول

حنيف المنفى في 28-02-2004

Imm

صورة لمخطوط: هذه حياتي. الصفحة: الأولى

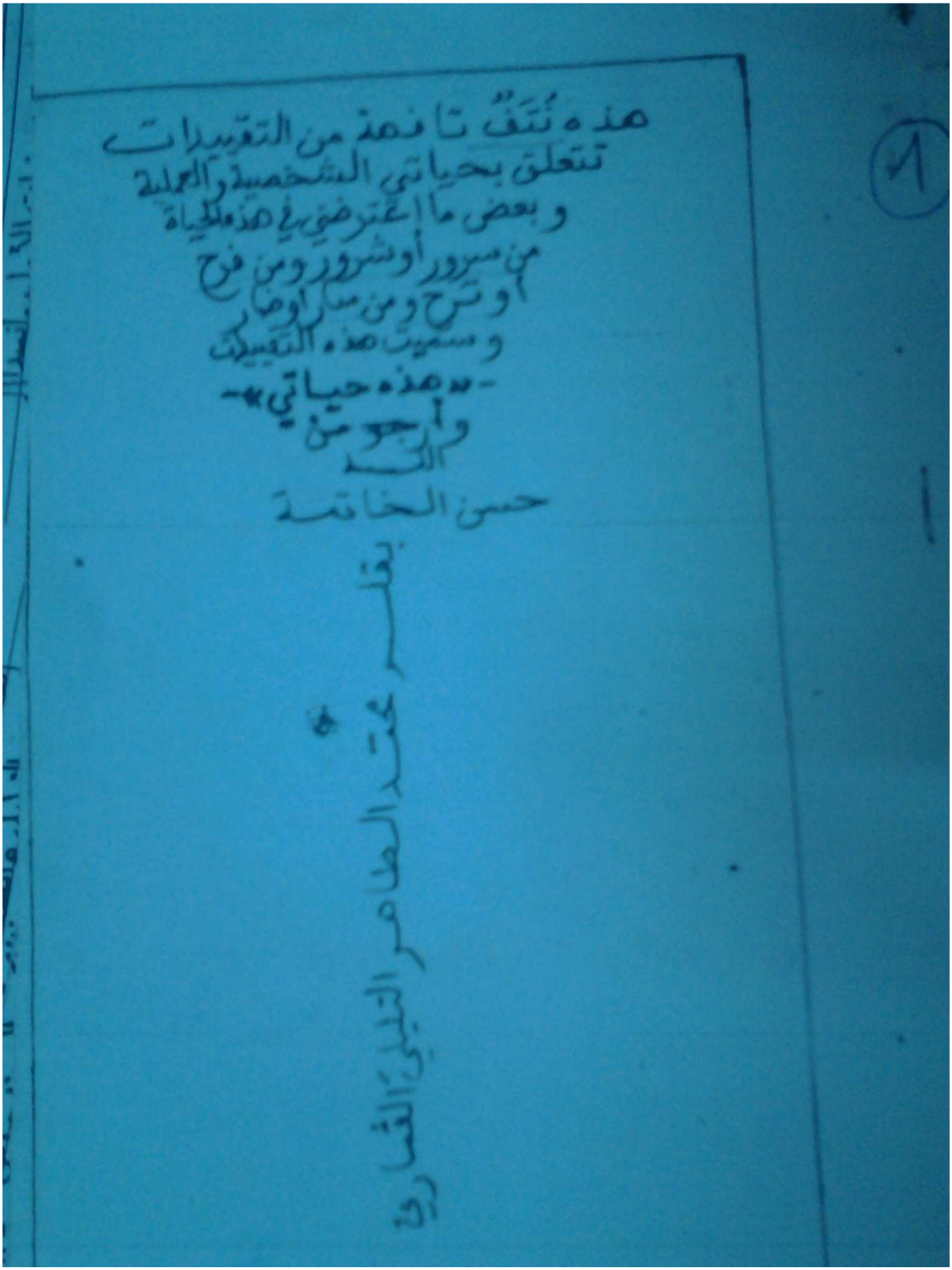

صورة من مقدمة هذه حياتي

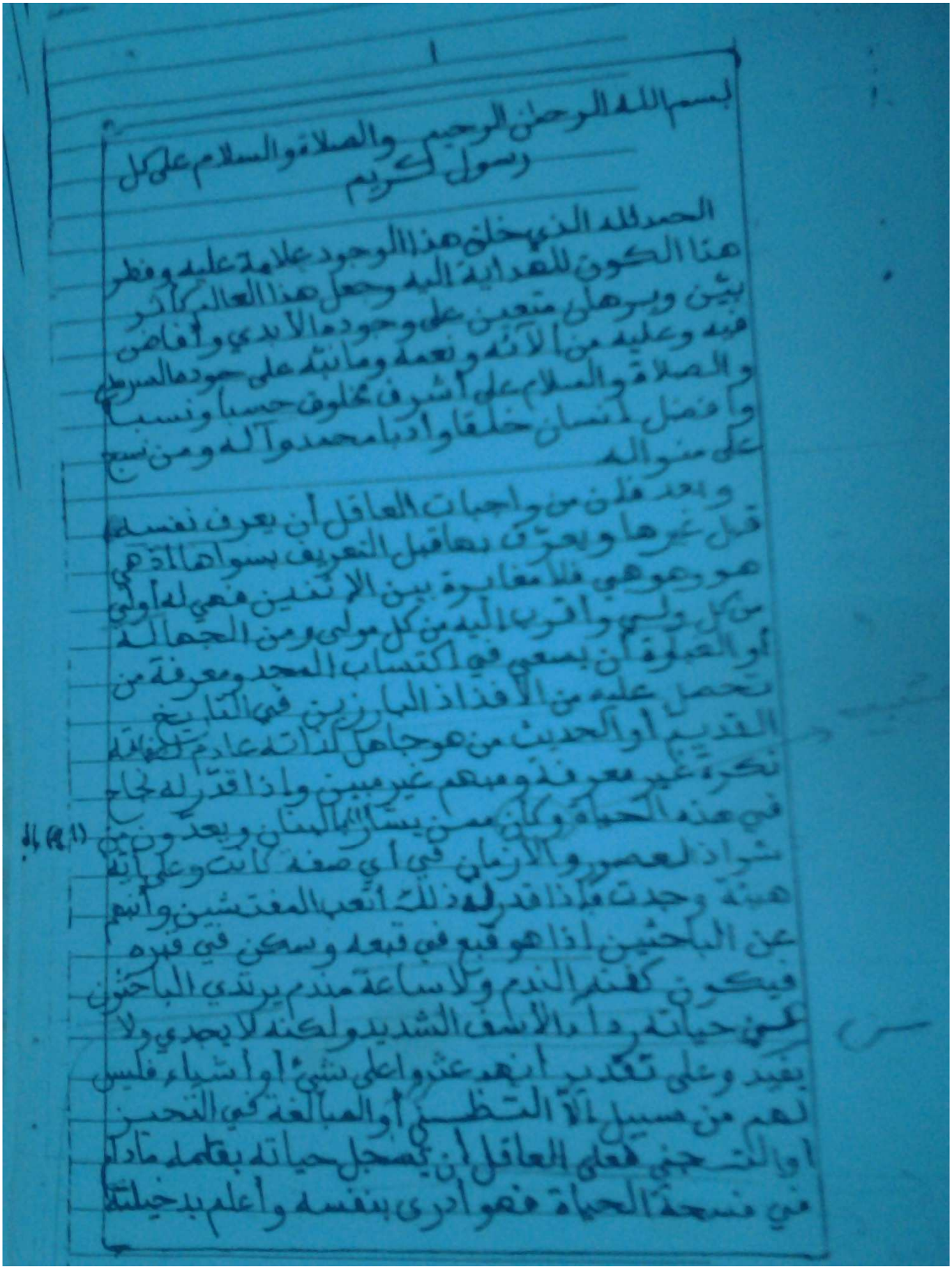

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على كل
رسول كريم

الحمد لله الذي خلق هذا الوجود علامة عليه وفطر
هذا الكون للهداية اليه وجعل هذا العالم كائنا
بيّن وبرهانا متعينا على وجوده الابدي وافاض
فيه وعليه من الآئه ونعمه ومائدة على جوده المسرحي
والصلاة والسلام على اشرف مخلوق حسبا ونسبا
وافضل انسان خلقا وادبا محمد وآله ومن نسج
على منواله

وبعد فلن من واجبات العاقل أن يعرف نفسه
قبل غيرها ويعرّفها قبل التعريف بسواها اذ هي
هو وهو هي فلا مغايرة بين الاثنين فهي له اولى
من كل ولي واقرب اليه من كل مولى ومن الجهالة
أو العبلة أن يسعى في اكتساب المجد ومعرفة من
تحصل عليه من الافذاذ البارزين في التاريخ
القديم او الحديث من هو جاهل لذاته عادم المعرفة
نكرة غير معروفة ومبهم غير مبين واذا قدر له نجاح
في هذه الحياة وكان ممن يشار اليهم بالبنان ويعدون من
شواذ العصور والازمان في اي صفة كانت وعلى اية
هيئة وجدت فاذا قدر له ذلك اتعب المفتشين وانهم
عن الباحثين اذا هو قبع في قبعه وسكن في قبره
فيكون كفيلم الندم ولا ساعة مندم يرتدي الباحثون
على حياته رداء الاسف الشديد ولكنه لا يجدي ولا
يفيد وعلى تقدير انهم عثروا على شيء او اشياء فليس
لهم من سبيل الا التظني او المبالغة في التخمين
او التكهن فعلى العاقل ان يسجل حياته بقلمه مادام
في نفحة الحياة فهو ادرى بنفسه واعلم بدخيلته

الفهارس

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1- إبراهيم العوامر ، الصروف في تاريخ صحراء وسوف ، تعليق الجيلاني بن إبراهيم العوامر . منشورات شالة الأبيار .الجزائر .2007.

2- إبراهيم رحماني، الشيخ محمد الطاهر التليلي وجهوده في البحث الفقهي الإفتاء، مطبعة صخري ،الوادي ، الجزائر، ط:1، ت:2011.

3- إبراهيم رماني، الغموض في الشعر العربي الحديث.

4- إبراهيم رماني، أوراق في النقد الأدبي، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ط 1، 1985 .

5- إبراهيم مياسي ، من تاريخ وادي سوف ،مجلة الثقافة ، تصدر عن وزارة الثقافة ، الجزائر ، .سنة 21/العدد113 ،1996، ص 199.

6- ابن أبي بكر الرازي، مختار الصّحاح، دار مكتبة الهلال ، بيروت ،لبنان،(د ط)، ت: 1988.

7- ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط 5، 1981، ج 1.

8- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط 5، 1981، ج 2.

9- ابن عبد الله القرطبي ،تفسير القرطبي ،مج:1 ،دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط:1 ،ت: 2000م ،تح: سالم مصطفى البدري.

10- ابن كثير ،تفسير ابن كثير، ج:1، دار و مكتبة الهلال ، بيروت، لبنان ط:1، ت: 2004م..

11- ابن منظور ، لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ج6،مادة "سير" .

12- ابن منظور، لسان العرب ،مج: 2 ،دار الكتب العلمية ، بيروت، لينان ،ط:1 ، ت :1424هـ - 2003م ،تح: عامر أحمد حيدر،

13- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، دار الآداب، بيروت، لبنان، 1967.

14- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930 ،ج:1، دار الغربي الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: 4 ، ت: 1992م

15- أبو القاسم سعد الله، خارج السرب ، مقالات وتأملات ، دار البصائر ،الجزائر، ط:2 ، ت:2009.

16- أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، دار الرائد،الجزائر، ط: 5، ت: 2007 ،ص: 86.

17- أبو القاسم سعد الله،شاعر الجزائر محمد العيد أل خليفة.

18- أبو بكر بن دريد الأزدي، الاشتقاق، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط:1، 1991.

19- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده تح، النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2000م، ط 1، ج 1،.

20- إحسان عباس ، فن السيرة الذاتية ، دار صادر ، بيروت ، دار الشروق ، عمان ، ط1 ، 1996.
21- أحمد الأمين الشنقيطي، شرح المعلقات العشر وأخبار الشعر فيها، تحقيق: محمد عبد القادر الفضلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، دط، 2001.
22- أحمد الخطيب ،الثورة الجزائرية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط: 1، ت: 1958.
23- أحمد الخطيب ،جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،(د ط)،ت: 1985،.
24- أحمد الطيب معاش ، التراويح و أغاني الخيام ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ، (دط) ،ت:1986، (الغلاف).
25- أحمد الفراهيدي،كتاب العين، دار الإحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان، ط: 1،ت: 1421هـ-2001م.
26- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ضبط: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية بيروت، لبنان، دط، دت.
27- أحمد الهاشمي، ميزان الذهب، تحقيق: حسين عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب القاهرة، مصر، ط 1، 1997م.
28- أحمد أمين، النقد الأدبي، موفم للنشر، وحدة الرغاية، الجزائر، 1992م، دط.
29- أحمد بن علي الفيومي المقرّي ،المصباح المنير ،الدار النموذجية صيدا ،بيروت ،معجم عربي –عربي، ت: 1425ه /2004م.
30- أحمد بن فارس، مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 2، 1986، ج1، مادة "سير".
31- أحمد زغب : الشعر الشعبي الجزائري . من الإصلاح الى الثورة . مطبعة مزوار ، الوادي ، الجزائر ، ط1 ، 2009.
32- أحمد زكي بدوي ،معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية،إنجليزي- فرنسي- عربي،مكتبة بيروت، لبنان،(د ط)(دت) .
33- أمل التميمي ، السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط1 ، 2005.
34- أمل التميمي ، السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر.
35- أمل عبد العزيز محمود، الأداء، القاموس العربي الشامل، عربي –عربي، دار الراتب الجامعية، بيروت ،ط: 1 ،ت: 1997.
36- أنيس المقدسي ، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة ، دار العلم للملايين ، لبنان ، ط3 ، 1980.
37- بن سالم بلهادف ، سوف تاريخ و ثقافة ،.

38- بوبكر منصور : من العائلة إلى التعاقدية – نظرة سوسيولوجية للتغيير الاجتماعي بوادي سوف – مطبعة مزوار ،الوادي ، الجزائر ، 2004 .
39- بوبيدي لامية: الشباب الجزائري بين الحفاظ على الهوية والوقوع في الهوة الثقافية ، الملتقى الوطني الثالث حول الهوية و التراث الثقافي في ظل العولمة انتماء أم انكفاء.
40- تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي .
41- عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي، المؤسسة العربية، للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2002.
42- التواتي بن تواتي المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ، دار الوعي، 2008.
43- ثريا تجاني ، دراسة اجتماعية لغوية لقصة شعبية . وادي سوف أنموذجا . دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ،1998م.
44- جبران مسعود، الرائد معجم القبائي في اللغة والأعلام ،دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط: 2، ت: 2005.
45- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979.
46- حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها – دراسة – منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا 1998، دط.
47- حسن نور الدين وعلي جمال سلوم، الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل.
48- حلمي علي مرزوق، في فلسفة البلاغة العربية(علم المعاني)، 1999.
49- الخطيب القروييني، الإيضاح في علوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
50- خليل الجر، لاروس – المعجم العربي الحديث –، مكتبة لاروس، باريس، (د.ط)، 1987م، مادة "سير" .
51- درويش الجندي، الرمزية في الأدب العربي، القاهرة، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر. 1982.
52- رابح خدّوسي ،موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين،دار الحضارة ، بئر التوته،الجزائر،(دط)،(دت).
53- الربعي بن سلامة ،عمار ريس ،محمد العيد ،عزيز العكايشي ،موسوعة الشعر الجزائري ،ج:1 ،دار الهدى ، الجزائر، ط:1،ت:2002.
54- الربعي بن سلامة، عمّار ويس، محمد العيد ،عزيز العكايشي ، ص: 320.
55- رجاء عيد، لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي الحديث، مطبعة أطلس، القاهرة، 1985.
56- رشيد مالك، سيميائية العنوان في رواية (نوار اللوز)، " لواسيني لعرج " ، أعمال وبحوث الملتقى السابع عبد الحميد بن هدوقة للرواية، وزارة الاتصال والثقافة، ط 6 ، 2003 م.
57- سامر صدقي محمد موسى، رواية السيرة الذاتية في أدب توفيق الحكيم، مذكرة نيل شهادة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية فلسطين، 2010 .

58- سعد سليمان حمودة، دروس في البلاغة العربية ، دار المعرفة الجامعية، 1999.
59- سعيد الوكيل، تحليل النص السردي، معارج ابن عربي، نموذجا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1998م.
60- سعيد بن زرقة، الحداثة في الشعر العربي، أبحاث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. ط 2، 2004.
61- السعيد ديدي : نظرة عامة حول وادي سوف ، ج01 ، (د ط) ، 1424هـ.
62- سليم دردوني :دور الخيمة كموروث ثقافي في رسم ملامح الأنا و الهوية ، الملتقى الثالث ،التراث الثقافي و الهوية ، مطبعة مزوار ، الوادي ، ط1 ، 2011.
63- سناء سعيد : فن النخلة بين التراث و العولمة ، الملتقى الوطني الثاني حول التراث الثقافي ، مطبعة مزوار ، الوادي ، ط1 ، 2009.
64- شوقي ضيف ، الترجمة الشخصية ، دار المعارف ، مصر ، ط3 ، 1987.
65- شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط 6، دت.
66- شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 6، دت.
67- صدوق نور الدين ، سير المفكرين الذاتية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط1 ، 2000.
68- طه حسين ، الأيام ، ج 1 ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 55 ، (د . ت).
69- عاصم نور الدين، معجم نور الدين الوسيط، عربي-عربي ،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 1 ،ت: 2005م .
70- عائشة حسن فريد، وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية.
71- عائشة حسن فريد،وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، دار قباء، القاهرة، 2000.
72- عبد الحميد بورايو : قضايا الشعر الملحون الجزائري ، الملتقى الوطني الأول حول التصوف في الأدب الشعبي الجزائري ، دور الشاعر أحمد بن معطار، منشورات الرابطة الوطنية للأدب الشعبي ، الجزائر ، 2008.
73- عبد الرحمان السّعدي ،تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان ،مكتبة الصفا،القاهرة، مصر،ط:1،ت:1425هـ-2004م،
74- عبد الرحمان الوجي، الإيقاع في الشعر العربي، دار الحصاد للنشر والتوزيع، ط 1، 1989م.
75- عبد الرضا علي، موسيقى الشعر العربي، قديمه وحديثه، دار الشروق، عمان، الأردن، 2007، ط 1.
76- عبد السلام محمد هارون، لأساليب الإنشائية في النحو العربي، - مكتبة الخانجي، مصر، ط2، 1979، ص13.
77- عبد الطيف شريفي، زبير دراقي، الإحاطة في علوم البلاغة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2004.
78- عبد العزيز شرف ، أدب السيرة الذاتية ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لوجمان – مصر ، (د. ط) ،

.1992
79- عبد العزيز شرف ، أدب السيرة الذاتية.
80- عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1992.
81- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق، هدربينر، اسطنبول، تركيا، وزارة المعارف، 1953، دط.
82- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق، محمد رشيد رضا، بيروت، لبنان، دار المعرفة، 1978، دط.
83- عبد الله إبراهيم، التلقي والسياقات الثقافية 14.
84- عبد الله حمادي ،شعراء الجزائر في العصر الحاضر،ج:1، دار بهاء الدين،الجزائر، (د ط) ، ت: 2007.
85- عبد الله خمار، تقنيات الدراسة في الرواية الشخصية، دار الكتاب العربي لطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، دط، ديسمبر، 1999م.
86- عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الناشر، القاهرة، ج1، 1999.
87- الملك مرتاض ،نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925-1954، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر ،ط: 2 ، ت: 1983.
88- عبد الملك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين،دار هومة، الجزائر،(د ط)،ت: 2008.
89- عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في البلاغة عند-ضياء الدين بن الأثير، مؤسسة شباب الجامعة للنشر، جامعة الإسكندرية، 1986.
90- عثمان زقب : الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في منطقة وادي سوف 1947/1918،(مذكرة ماجستير)، إشراف يوسف مناصرة ، جامعة الحاج لخظر ، باتنة ،(2005 . 2006) .
91- ثمان زقب : الهوية الثقافية لمجتمع وادي سوف من خلال تطور ثقافة العمران ،الملتقى الوطني الثالث حول الهوية و التراث الثقافي في ظل العولمة انتماء أم انكفاء،مطبعة مزوار، الوادي الجزائر ،ط01 ،2011،.
92- عثمان زقب ، الهوية الثقافية لمجتمع وادي سوف من خلال تطور ثقافة العمران ، الملتقى الوطني الثالث حول التراث الثقافي ،مطبعة مزوار ،الوادي ،الجزائر، ط01 ،2011.
93- على غنابزية ،مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية ق13هـ/19 ، (رسالة دكتوراة) ،جامعة الجزائر ، 2000م/2001م ، ص 11 .
94- علي الجندي، فن الجناس(بلاغة،أدب،نقد)، دار الفكر العربي،.
95- علي بن محمد بن عيسى الأشموني، شرح الألفية، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط، الأولى - 1998م، ج3.
96- علي غنابزية، مجتمع وادي من خلال الوثائق المحلية في القرن 13 هـ 19، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2001، قسم التاريخ.

97- علي مراد ،الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من1925-1940،تر:محمد يحياتي،دار الحكمة ،(دط)، (دت.

98- عمار طالبي، ابن باديس حياته وآثاره ، الأمام عبد الحميد بن باديس ،ج: 3، دار اليقظة العربية، الجزائر، ط: 1،ت: - 1968م.

99- غنيمي هلال، النقد لأدبي الحديث، دار النّهضة، مصر، 1997.

100- فاروق مداس : قاموس مصطلحات علم الاجتماع ، دار مدني للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 2003.

101- حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانه (علم المعاني) ،دار الفرقان،كلية الشريعة، الجامعة الأردنية،(ط1-ط4)،(1985-1998).

102- فضيلة بوجلخة، الظواهر المعنوية والفنية في ديوان "الدموع السوداء" للشيخ الطاهر التليلي، رسالة ماجستير.

103- فضيلة بوجلخة،"الظواهر المعنوية و الفنية في ديان الدموع السوداء للشيخ محمد الطاهر التليلي"،جامعة الحاج لخضر،باتنة،إ: عبد السلام ضيف،2008-2009،رسالة ماجستير في الأدب الجزائري.

104- فيليب لوجون، السيرة الذاتية – الميثاق والتاريخ الأدبي -، ترجمة: عمر حلي، المركز الثقافي العربي بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1994.

105- قاسم برسيم، منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري، ط 1، 2000.

106- ك، م، ليوتن، نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة عيسى علي العاكوب.

107- لقاء مع الدكتور أبي القاسم سعد الله بعد عصر الجمعة في بيت أحد أقاربه بقمار يوم2010/11/05.

108- لقاء مع الشيخ محمود سعداني ، في بيته الكائن بقمار، 2010/12/28 ، 11:00-12:30.

109- لويس معلوف، المنجد في اللغة، معجم اللغة العربية، ط:1،(دت).

110- مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، ترجمة عبد الصابور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط11، 2005.

111- مجموعة من المختصين، العلامة المصلح محمد الطاهر تدليلي، قراءات في سيرته و فكره و آثاره،شركة مزوار، الوادي،(دط)،ت: 2005.

112- محمد الأخضر عبد القادر السائحي، محمد الأمين العمودي، الشخصية المتعددة الجوانب، دار هومة، الجزائر، ط:2 ، ت: 2001، ص: 93 .

113- محمد الأخضر عبد القادر السائحي، محمد الأمين العمودي، الشخصية المتعددة الجوانب، دار هومة، الجزائر، ط:2 ، ت: 2001.

114- محمد البشير الإبراهيمي،عيون البصائر ،المقالات التي كتبها افتتاحيات لجريدة البصائر خاصة، دار المعارف،القاهرة،(دط)، ت: 1863.

115- محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف،منشورات شالة،الأبيار، الجزائر،(دط)، ت:2007.
116- محمد الطاهر التليلي ،رسالة المقتطفات المنظومة من مؤلفاتي
117- محمد الطاهر التليلي هذه حياتي مخطوط .
118- محمد الطاهر التليلي، إتحاف القارئ بحياة الشيخ خليفة بن حسن القماري، تح وتع أبو القاسم سعد الله، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، العدد 4، ربيع الأول 1248 / أفريل 2007، الجزائر، 2007
119- محمد الطاهر التليلي، إتحاف القارئ بحياة الشيخ خليفة بن حسن القماري، تح وتع أبو القاسم سعد الله، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، العدد 4، ربيع الأول 1248 / أفريل 2007، الجزائر، 2007
120- محمد الطاهر التليلي، إتحاف القارئ، بحياة الشيخ خليفة بن حسن القماري،منشورات المجلس الإسلامي الأعلى،الجزائر،ت:2007.
121- محمد الطاهر التليلي، الدموع السوداء، تح: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، ط:2011.
122- محمد الطاهر التليلي،مخطوط ، منظومات تربوية للمدارس الابتدائية، ت: 1935م - 1962م ،تابع للديوان،ص: 36.
123- محمد الطاهر بن بلقاسم التليلي القماري، مخطوط، هذه حياتي.
124- محمد الطاهر فضلاء، الطيب العقبي رائد الحركة الإصلاح الديني في الجزائر، الجزائر،(د ط)، ت: 2007.
125- محمد العيد محمد علي خليفة،ديوانه، ط: 3 ،الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب،(دت).
126- محمد بن سعيد طالبي، الشيخ محمد الطاهر التليلي ومنظومته قواعد البيان في الثابت والمحذوف في القرآن على رواية ورش، جامعة الحاج لخضر،عنابه،إ:منصور كافي،2007م-2008م،رسالة ماجستير علم القراءات.
127- محمد عبد الغني حسن ، التراجم والسير ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، 1969.
128- محمد مندور، الأدب وفنونه، نهضة مصر لطباعة والنشر والتوزيع، ط 5، 2005.
129- محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، (1925، 1975)، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1985.
130- محمد يوسف، السيرة الذاتية وحقائقها في التاريخ،10جانفي 2011 م،الساعة 21:00 .www.iid-alraid.de.
131- مقابلة مع الأستاذ عيد الرحيم سعد الله في بيته الكائن بقمار، 2011/03/22 ،10.00-11.30.
132- منير سلطان ، البديع تأصيل وتجديد ، منشأة معارف، الإسكندرية.
133- موسى ربابعة، جماليات الأسلوب والتلقي، دراسات تطبيقية.
134- ميشال دولون، " من أجل السيرة الذاتية "، ترجمة: محمد يحاتن، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو دار الأمل للطباعة والنشر، ماي 2006، العدد الأول.

135- نسيب نشاوي، المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر،الاجتماعية،الرومانسية، الرمزية،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (دط)، ت: 1984.
136- الونّاس شعباني ،تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، (د ط)،(د ت)،.
137- وهاب خالد، جمالية التلقي في مسرحية النخلة وسلطان المدنية، لعز الدين جلاوجي ، رسالة ماجستير .
138- وهاب خالد، جمالية التلقي، في مسرحية (النخلة وسلطان المدينة لعز الدين جلاوجي)، مذكرة ماجستير، جامعة سطيف، 2008-2009م.
139- يحي إبراهيم عبد الدايم ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي ، مكتبة النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، (د.ط) ، (د ت).
140- يحي إبراهيم عبد الدايم ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث.
141- يحي الشامي ،موسوعة الشعراء العرب، ج: 3 ، دار الفكر العربي، بيروت،لبنان،ط:1، ت: 1999.
142- يوسف خياط ،معجم المصطلحات العلمية والفنية ،عربي- فرنسي-إنجليزي-لاتيني، مج:4 ،دار لسان العرب،بيروت،(د ط)،(د ت).

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

المقدمة..... أ
مدخل: بيئة الشيخ التليلي تاريخا وفكرا 11
أولا: لمحة عن وادي سوف..... 07
1- الموقع والتسمية 07
2 - وادي سوف تاريخيا 08
3 - وادي سوف اجتماعيا واقتصاديا..... 12
4 - وادي سوف فكريا وثقافيا 16
الفصل الأول: الشيخ محمد الطاهر التليلي حياته و آثاره 29
توطئة 20
أصله ونشأته 23
إنجازات الشيخ 29
وفاته وآثاره 32
أخلاقه وآراء العلماء فيه 36
الفصل الثاني: أدب السيرة
المطلب الأول: مفهوم السيرة 42
المطلب الثاني: نشأة السيرة 53
المطلب الثالث :خصـائص السيـرة الذاتية 71
المطلب الرابع: دراسة كتاب إتحاف القارئ بحياة الشيخ خليفة بن حسن القماري..... 78
- البيان 79

الموضوع	الصفحة

- الكناية..... 85
- التشبيه 86
- البديع 87
- المقابلة 90
- الجناس 91
- المعاني 94
المطلب الخامس: دراسة مخطوط : هذه حياتي 96
- الدراسة البلاغية 97
الفصل الثالث : شعر الشيخ التليلي – الاتجاهات الإصلاحية - دراسة وتعليقا 123
المبحث الأول :الحركة الإصلاحية في الجزائر..... 134
المبحث الثاني :أعلام الحركة الإصلاحية في الجزائر..... 148
المبحث الثالث :الاتجاهات الإصلاحية في الديوان 184
ملخص..... 187
الفصل الرابع: جماليات التلقي في مسرحية الشيخ العجوز وزوجته 192
أولا: النص المسرحية 194
ثانيا. تقديم المدونة 196
ثالثا: تلخيص أحداث المسرحية 199
رابعا: تحليل المسرحية على ضوء نظرية التلقي .....
- قراءة لنص المسرحية:.....
المطلب الرابع: دراسة كتاب إتحاف القارئ بحياة الشيخ خليفة بن . القماري.....
- البيان .....

الموضوع	الصفحة

الموسيقى الخارجية..... 206
-القافية..... 208
- الموسيقى الداخلية:..... 209
- المحسنات البديعية:..... 215
السيولة والتدفق في تناسب الإيقاع..... 217
- اللفظ بين الجزالة والعذوبة..... 218
منظور القارئ التخيلي/النص:..... 225
الخاتمة..... 242
الملاحق..... 224
قائمة المصادر والمراجع 264

ملخص

لقد شهدت الساحة الأدبية في الجزائر نماذج ممن اشار لهم الباحثون تحقيقا وتحريرا فانبرى لها نقاد سجلوا أسماءهم بقلم من ذهب في تاريخ الأدب، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا، ونشيد بفحول تركوا بصمات مثيرة وكثيرة من أمثال محمد بن أبي شنب وعبد الله الركيبي، ومحمد ناصر وأبو القاسم سعد الله وعبد الملك مرتاض وغيرهم، ولقد جعلوا ما وصلت له أيديهم من مدونات مرجعا للدارسين.

ولعلي أحذو حذو هؤلاء الأفذاذ وأضم صوتي لهم، وإن كان ضعيفا، لأنفض الغبار على عالم مغمور له تواليف كثيرة في مجالات مختلفة اخترنا منها ما يخص الأدب إثراء للمكتبة الجزائرية وتعظيما لما قدمه لإرساء أفكاره الإصلاحية وجهاده للاحتلال الفرنسي الذي لم يدخر جهدا في طمس الهوية الجزائرية، إنه الشيخ محمد الطاهر التليلي هذا الأديب الزيتوني التكوين الإصلاحي المذهب، فكان عنوان رسالتي في الدكتوراه **"أدب الشيخ محمد الطاهر التليلي جمع ودراسة وتحقيق"**.

وككل باحث هناك دواعي ذاتية جعلتني أرخي العنان لقلمي للبحث والدراسة، وأسباب أخرى موضوعية، ومن هذه الأخيرة رصد أعيان الحركة الأدبية الجزائرية وما قاموا به من جهود خدمة للسان العربي ودفاعا عن المقومات التي بنت الشخصية الجزائرية، وإثراء للمكتبة العربية عامة والجزائرية خاصة.

وأما الأسباب الذاتية فميولي إلى الأدب الجزائري لما فيه من محفزات، ولكون الشيخ ابن منطقتي فكيف أترك القريب وأبحث عن الغريب، ثم هذه فرصة لتكريم شيخ قضى نحبه بعيدا عن الأضواء وترك إرثا لم يشأ إخراجه للنور إلا النزر اليسير منه فلعلي أجد في ذلك فسحة وفي البحث منحة لا يقدرها إلا الذي اكتوى بلظاها.

وما قصدت من خلال العنوان التحقيق المعلوم سلفا الذي يعتمد أصلا على مقابلة النصوص لسبب بسيط تمثل في أن الشيخ -عليه رحمة الله- أوقف أعماله لصالح مكتبة الشيوخ بجامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بقسنطينة فتعذر علي مقابلة النص بالنص لوجود نص واحد مخطوط، وعليه اعتمدت على نسخة واحدة مصورة طبق الأصل.

حاولت رصد أسئلة تفسح لي مجالا لدراسة أعمال الشيخ التليلي وتمكنني من ربط أفكاره بتاريخ الجزائر وأحوال شعبها أثناء فترة الاحتلال وبعد الاستقلال ومن جملة ما وضعت.

- هل استطاع الشيخ التليلي إبراز أفكاره الإسلامية من خلال أعماله الشعرية والنثرية؟
- كيف نقرأ أدبه في ظل الدراسات الحديثة؟
- ما مدى توظيف الشيخ لمكتسباته القبلية، وهل حقق الامتاع في ذلك والإقناع.
- في خضم المعترك السياسي هل دافع الشيخ عن اعتقاداته؟

هي أسئلة وضعت لي معلما سرت عليه في دراستي.

ككل باحث يطمح أن يرسم له صورة يعبر بها عن أفكاره، فلقد شدني هذا الأديب الزيتوني لأبرز قدرته في مجال الإبداع، ولأظهر للعالم بعدما ألف الركون في الظل، وليطلع الجزائريون على أدبائهم وكثير من الباحثين الجزائريين لا يمجدون أعلامهم فنجدهم يشرقون ويغربون ونسو أن للجزائر ثمة رجالا لا يمكن للآخر تهميشهم.

وعليه كانت دراستي لأدب الشيخ منتهجة للمنهج التاريخي الذي يرصد الظاهرة الأدبية ويرفل في تحليلها فكانت الرسالة قد افتتحتها **بمقدمة** بينت فيها الموضوع وليس اختياري له والإشكالية والمنهج المتبع والخطة، ثم **مدخل** فيه الحركة الأدبية وبيئة الشيخ

ملخص

تاريخا وفكرا. وجاء **الفصل الأول** عنونته بالشيخ محمد الطاهر التليلي حياته وآثارهن فذكرت نشأته، ورحلته العلمية ورجوعه من تونس مدرسا ومربيا، ثم ذكرت وظائفه وأخلاقه وأقوال العلماء فيه وآثاره.

ثم كان **الفصل الثاني** الموسم أدب السيرة عند الشيخ التليلي الذي عهدت فيه إلى عمل نثري فريد وهو مخطوط (هذه حياتي) وهو من قبيل السيرة الذاتية التي ترجمت لها سلفا وذكرت أسلوبه فيها.

ثم عرجت إلى **الفصل الثالث** الذي عنونته بشعر الشيخ التليلي واتجاهاته الإصلاحية حيث ذكرت الحركة الإصلاحية ورجالاتها ورصدت ما في ديوان (الدموع السوداء) من قصائد إصلاحية وكيف عالج الشيخ قضاياه.

ثم كان **فصل رابع** خصصته لدراسة مسرحية شعرية رسم فيها الشيخ جملة من الأفكار وبث خلالها رسائل المتلقي فنظرت فيها من جهة التلقي وجمالياته فكان عنوان الفصل جماليات التلقي في مسرحية الشيخ العجوز وقصة زواجه.

ثم ختمت البحث بحوصلة لما ورد من ثمرات ونتائج مما ظهر لي من خلال تتبع لأدب الشيخ.

ومما أعانني في البحث أعمال الشيخ بداية من مخطوط "هذه حياتي" والديوان " الدموع السوداء" وهما رأس الأمر في الدراسة وإن كان ديوانه قد تم طبعه حديثا بعدما كنت سجلت من المخطوط ما سجلت ولكني آثرت عملي على المطبوع.

ومن الدراسات السابقة رسائل جامعية لثلاث طلبة كانت تخص أعمال الشيخ وهم محمد طالبي ورسالته قواعد البيان في الثابت والمحذوف في القرآن وهي رسالة ماجستير من جامعة باتنة، وفضيلة بوجلخة ورسالتها الظواهر المعنوية من خلال الدموع السوداء وهي رسالة ماجستير من جامعة باتنة، والطالبة كرام قمرة ورسالتها المصطلح النحوي عند الشيخ التليلي من جامعة ورقلة.

كما لا يفوتني أن أنوه بالأستاذ الدكتور عبد السلام ضيف الذي احتضنني في مسيرتي الجامعية فالشكر موصول له بداية ونهاية وما من حسنة في هذه الدراسة فهي له وما من نقص أو مثلبة فهي لي وليس له فيها جرم.

والله أسأل السداد والتوفيق.

Abstract

This thesis tends to search a topic in the modern Algerian literature. In the introduction, I stated the reasons of choosing the topic, the problematic, the Method and the plans of the study. Then, in the preamble I talked about the literacy Movement in relation with the environment of Sheikh Mohammed Tlili historically and intellectually.

This study contains four chapters; the title of the first chapter is: Sheikh Mohammed Tahar TliliI: His life and productions. I dealt in this chapter with Sheikh's upbringing, his scientific trip and his return from Tunisia as an instructor and educator. Then, I stated his functions, morals and scholar's opinions about the Sheikh and his productions.

In the second chapter, I made an analytic reading in a unique prose; which is a manuscript called (hadihi Hayati) "This is my life", considered as an autobiography; it was translated and stated Sheikh's style beforehand.

The third chapter was intended for Sheikh's Tlili poetry and his corrective trends. I stated the reform movement, and discussed the content of the divan of "Addoumouaa assawda" (the Black Tears) through selecting some corrective poems and the way they were treated by Sheikh.

In the fourth chapter, I studied a poetic play that contains some ideas of Sheikh by sending messages to the recipient. I treated it from the point of view of the Reception and its aesthetic part. That' why the title of the fourth chapter was: Beauties of the reception in the Play of Sheikh and his marriage story.

This study has resulted in a summary of fruits and results of studying the Sheikh's literature.

It helped me in the research the Works of Sheikh; the manuscript of "Hadihi Hayati" and the divan of "Addoumouaa Assawda". These are the core of the study even though his divan has been printed recently; so that I worked first from the manuscript then I preferred to work on the printed book.

Abstract

From the previous studies, I noticed three thesis of students belonged to the work of Sheikh: the master's dissertation of Mohammed TALBI defended in Batna, named " Kawayid Albayane fi Thabet walmahdouf fi EL- Koran" (The statement's rules of the fixed and omissive speech in Koran, a master's dissertation of BOUDJELKHA Fadhila defended in Batna, called " Addawaher almaanwia min khilal addoumoua assawda" (The moral phenomena through black tears), and the dissertation of the student GUEMRA Kiram named " almostalah annahwi inda sheikh tlili" (the grammatical term and Sheikh Tlili) done in the university of Ouargla.

In this study, I confronted many obstacles: first, Sheikh endowed his works to Emir Abd-el-Kader Islamic University and the vehicle that carrying his heritage was exposed to a traffic accident destroyed much of it. In addition to the difficulty of reading a text printed in a manner requiring a concentrated vision. The other reason is that when I visited the Zitouna Mosque looking for information that may help me to analyze the period of the study of the Sheikh, I found that all works of the Mosque had been confiscated by the Tunisian regime, so that I came back empty handed.

Finally, I would like to thank Pr. DIF Abdessalam who helped me a lot to finish this work.

Thanks' to Allah the most merciful of the merciful.